

نحو إسلام حضاري وإخاء إنساني

حوارات مع الدكتور محمد حبش

أهم الحوارات الفكرية التي أجرتها المراكز العلمية خلال عام 2024

- الحوار الأول: د. مولاي صابر، مؤمنون بلا حدود
- الحوار الثاني: مصطفى الخليل، صحيفة المثقف
- الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط، مؤمنون بلا حدود
- الحوار الرابع: هيئة التحرير - أنفاس بريس
- الحوار الخامس: أسامة ياغي - صحيفة نينار
- الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية
- الحوار السابع: أحمد كامل - مركز حوار الثقافات
- الحوار الثامن: د. حسام الدين درويش - رواق ميسلون
- الحوار التاسع: جهاد عبد الله - ستيب نيوز
- الحوار العاشر: شيماء المناعي - جامعة تونس المنار

[Type here]

[Type here]

الماضي ليس مقدساً.... المستقبل هو المقدس

نأخذ من تراث الآباء الجذوة... لا الرماد

[Type here]

- الحوار الأول: مؤمنون بلا حدود مع الدكتور مولاي صابر
- الحوار الثاني: صحيفة المثقف مصطفى الخليل
- الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط
- الحوار الرابع: أنفاس بريس
- الحوار الخامس: صحيفة نينار أسامه ياغي
- الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية
- الحوار السابع: أحمد كامل - مركز حوار الثقافات
- الحوار الثامن: د. حسام الدين درويش - رواق ميسلون
- الحوار التاسع: جهاد عبد الله - ستيب نيوز
- الحوار العاشر: شيماء المناعي - جامعة تونس المنار

تمهيد

نقدم للقراء الكرام هذا السجل وثيقة موضوعية محكمة حول المقالات والحوارات التي أجراها الدكتور محمد حبس في عام 2024 في وسائل الإعلام والثقافة المعروفة لتوضيح موقفه في التجديد الديني والإخاء الإنساني.

وهو حصاد عام، وسنعتمد إلى نشر الحصاد نفسه خلال السنوات العشرين الماضية، حيث قدم الدكتور حبس حصاداً حوارياً وفكرياً متصلاًً منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وتقوم بنشره مراكز كثيرة للفكر والحوار والثقافة، ولكننا نجتهد هنا في جمعه وفاء للفكرة وتوثيقاً للاجتهاد، وأملأاً في إغناء الحوار والثقافة.

وقد تجنبنا الحوارات السياسية الراهنة ما أمكن، حيث الراهن السياسي يرتبط بأسباب وروده، على الرغم من أنه قد يقدم إشارات فكرية وعلمية مهمة.

ويأتي هذا العمل حلقة في سلسلة متتابعة من الحوارات والمقالات التي قدمها الدكتور حبس للرأي العام ونشرتها صحف أو مجلات أو دور نشر مهتمة.

وتجدر الإشارة أن معظم الحوارات أجراها كتاب أكاديميون موضوعيون، ولهم إسهام حقيقي في نشر الوعي والتنوير، وقد نجحوا في طرح الأسئلة الحقيقية في غور الفكرة، على الرغم من أنهم قد يحملون مشروعًا فكريًا مختلفاً.

وقد أجاب الدكتور حبس على أسئلة العصر بروح صريحة وقدم إجابات مباشرةً وشجاعية، وهي تشكل مصدراً ثرياً في نشر ثقافة التنوير كما كانت كالعادة سبباً لنقمة التيارات التي ترفض التنوير في الدين، وكذلك التيارات التي ترفض الآخر المختلف دينياً وسياسياً.

نقدم هذه الوثائق للتاريخ وهي على كل حال منشورة ومتحركة للناس في مواقعها الأصلية، ويمكن غوغلتها بسهولة، ولكننا نجمعها بهدف التوثيق ونقدمها في صورة كتاب إلكتروني يغنى المكتبة الالكترونية العربية.

[Type here]

الحوار الأول: مؤمنون بلا حدود - مع الدكتور مولاي صابر¹

14 حزیران 2024



¹ د.مولاي أحمد صابر، كاتب وباحث مغربي متخصص في قضيaya الفكر والدراسات القرآنية. يحمل الدكتوراه من الجامعة المغربية في احصاص الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية، صدر له كتاب منهج التصديق والهيمنة في القرآن الكريم، وكتاب الوحي دراسة تحليلية، كما صدرت له دراسات نقدية هامة حول فكر عابد الجابري وأبو القاسم حاج محمد والصادق النسفي ومالك بن نبي.

[Type here]

ال الكريم الدكتور محمد حبس المحترم تحية طيبة واسعد الله أيامك بكل خير، شكرأ لكم سيدى على قبول دعوة الحوار

أتمنى أن تناول أسئلتي إعجابك، ولك أن تعدل فيها، في انتظار ردكم لك مني كل المحبة والتقدير

مولاي أحمد صابر - المغرب

• مولاي أحمد صابر: الدكتور محمد حبس بصفتكم مختصا في مجال المعرفة الدينية بالأخص مجال الدراسات الإسلامية كيف ترى اليوم مسألة التجديد في حقل دراسة وفهم الإسلام؟ سواء كان ذلك من لدن أهله من المثقفين والمختصين والعلماء، أو من جهة المختصين في هذا المجال في الغرب.

• محمد حبس:

لقد بنت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسلام يفترض أنه حظي تاريخياً ولا يزال يحظى بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء وال فلاسفة، فالإسلام يحمل بذور شريعة متعددة ومتطرورة كل يوم.

ولكن هذا التوجه يرفضه بشدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء وال فلاسفة من تطوير الإسلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحجتهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصادر الشريعة بمصدرين اثنين فقط هما الكتاب والسنة، والتشكيك بالمصادر الأخرى باعتبارها عبئاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفسير النص الديني والاجتهاد فيه وذلك وفق قواعد وشروط معقدة تمنع التفكير خارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاجتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصر مقاصد الشريعة والاستنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتکاد تنحصر فرصة الاجتهاد عند هؤلاء على المسائل المستجدة والقياس على ما سبق من مسائل.

[Type here]

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسنة، فإني أعتقد أن الفقه الإسلامي في المعاملات يتطور باستمرار، وإن الفقهاء والخبراء سواء كانوا من أئمة الشريعة أو أهل الاختصاص من القانونيين وعلماء الاجتماع الذين تختارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصناعة والسياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير و حقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر. الجديد، وتقديم البديل الحقيقية للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دساتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمنا هو إقناع الجيل بتكامل الشرع والقانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشرع والقانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متقدمة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإسلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطاباً إسلامياً متساماً واقعياً، وتتجنب فتاوى التشدد والاستعلاء، وتفسح المجال للخطاب التنموي بقدر ما يتناسب مع مصالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسمي للحكومات العربية والإسلامية في كل قضايا التنشير مع التحفظ الشديد بالطبع على ما تمارسه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

• **مولاي أحمد صابر:** تبعاً للسؤال السالف الذكر في تقديرك ما هي المعضلات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي جعلت موضوع تجديد الإسلام لا يؤتي ثماره؟ واقعنا اليوم واقع مأزوم يغلب عليه ما هو طائفي ومذهبي في فهم المسألة الدينية، وقد اتسعت فيه دائرة التطرف والتشدد بشكل غير مسبوق.

• **محمد حبس:**

[Type here]

يواجه العقل المسلم في هذه الأيام الصاخبة صرخات متناقضة، تدور بين تقدير كل شيء ورفض كل شيء، بين الانتماء للتاريخ الإسلامي واعتبار هدي السلف خير هدي القرون، ودعوة البشرية إلى العودة لهدي السلف، وبين تيارات أخرى ترى أن التراث الإسلامي برمته صار عبئاً على الحياة والتطور وسبباً للقطيعة مع العالم وأنه لا خلاص لهذه الأمة إلا بنبذ الماضي كله واعتباره كذبة ضارة حالت بين هذه الأمة وبين لحاقها بالأمم.

ولا شك أن هذه الصورة غاية في الوضوح لكل متابع، ولن تنفعنا المجاملة في شيء فقد فضّلنا عالم التواصل الاجتماعي وكشفت لنا المنابر المفتوحة على موقع التواصل كلاً من التيارين الساخطين وقد توفر لكل منهما جماهير مليونية غاضبة لا سبيل لإنكارها إلا بقدر كبير من التعسّف والمكابرة، وقد بات من المؤكد أن الأصوات الأكثر صرخاً وتعصباً في الجانبين هي من يحصد الجماهير الهاדרة فيما يتخافت صوت الاعتدال والمنطق حتى يكون نادياً نخبوياً يكتب بحذر ومداراة على حروف المعاني ثم ينصرف مذعوراً من ضعف الحيلة وقلة النصير.

وفي السنوات الأخيرة تفجر الصراع الدموي المؤلم في بلاد الشام والعراق ومصر-وليبيا واليمن، وكان من تداعياته ما تكرس من انقسام مجتمعي خطير، بين الرؤية الإسلامية والرؤية العلمانية، وبات الانقسام بين الجانبين مريضاً وقاسياً، تتناوله الريب الصارمة، وتحولت الخصومة إلى عداء والاختلاف إلى صراع والاتهام إلى اغتيال، ولا زال المشهد يشي- بمزيد من الرعب والتشاؤم، وبدا أن البلاد العربية تشهد تماماً العصر الأوروبي في انتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وبات المشاركون في معمعة الخصام لا يبالون أن يأخذوا بلادهم إلى مواجهات فاصلة على مستوى بارتميو وحرب الثلاثين عاماً في سبيل انتصار ما يراه كل فريق الحق الذي لا مرية فيه.

ومع أن الأسباب الجوهرية لاشتعال المنطقة إنما هي الاستبداد في المقام الأول، والظلم الذي مارسه جيل من الحكام لا يؤمنون بالحرية ولا حقوق الإنسان، ولكن هذا الاستبداد الضاري استفاد لأقصى غاية من التناقض الثقافي في المجتمع، واستخدم الشعارات المتناقضة من الإسلام والعلمانية والسلفية والليبرالية وأجاد توظيفها خصماً وحكماً، ووُجد في كل مرة ثائرين غاضبين يقاتلون تحت رايات عمية وفي النهاية يخدمون الاستبداد من حيث ي يريدون أو لا يريدون.

[Type here]

ومع ذلك ومع أن السبب الأول لسقوطنا وتخلفنا هو الجانب السياسي ولكنني أعتقد أن معركة المثقف لا تقل عن معركة المحارب، وقد صار السيف والقلم في ساحة اختبار عنيف، ولكل منهما أداة انتصاره وانكساره، فلا القلم قادر أن يمحق السيف ولا السيف قادر أن يسحق القلم.

• **مولاي أحمد صابر:** وفق هذا السياق العام نقف عند موضوع الخطابة (نقصد هنا خطب رجال المؤسسة الدينية أيام الجمعة وغيرها) وقد مارست هذه المهمة سابقاً في مساجد متعددة، وهي مهمة لها حضورها في أنفس المتقلين من المؤمنين وغيرهم، سلباً أو إيجاباً، مع العلم أن الكثير من القنوات التلفزيية قد تحولت إلى منابر للخطابة، في تقديرك السنا اليوم في حاجة لتجديد هذه المهمة بما يتلاءم مع مقتضيات العصر شكلاً ومضموناً؟ بمعنى آخر كيف يمكن للخطيب أن يكون رسول سلام بين الناس والعالم؟

• **محمد حبش:**

لقد كتبت مراراً في الفرق بين الفقيه والوااعظ وأرجو أن أبدو واضحاً فهناك فارق كبير بين الوااعظ وبين الفقيه، الوااعظ الذي تتركز مهمته في رواية التاريخ ونقل كلام الأولين إلى مسامع الآخرين، وبين الفقيه الذي يهتم بإنتاج الأحكام الجديدة والإجابة على أسئلة العصر.

رجال الدين أو الوااعظون أو الخطباء أو الأئمة هم طبقة كريمة من المجتمع تقوم برعاية الأخلاق والفضيلة، وهم يقومون بالفعل بمواجهة التغيير باستمرار ويعتقدون أن أفضل طريقة للتوجه إلى الأمام هي الذهاب إلى الخلف، ففي عصر- السلف كمال مطلق يصلح لكل الأزمنة والأمكنة والأحوال.

أما الفقيه فهو لا يقبل بدور كهذا، والمقصود بالفقيه هنا هو عالم الشريعة والقانون، وهو الذي درس الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي والإنكليزي والدولي، ودرس مصادر الشريعة المعتبرة خارج النص وهو ينتج أحكاماً جديدة كل يوم،؟

[Type here]

رجل الدين أداته الرواية، ومصادره الكتاب والسنة، أما الفقيه فأداته الاجتهاد، يستنير بالكتاب والسنة ولكنه يشرع بالإجماع والاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع، رجل الدين يشدننا إلى السلف والفقية يشدننا إلى الأمام إلى المصالح الحقيقة للأمة.

ولو سألتني أين هم هؤلاء الفقهاء، فمن الطبيعي أنك لن تحدهم في المحاريب ولا المنابر، ولكنهم موجودون في اللجان التشريعية للدولة الحديثة، ولا زالوا كذلك منذ تولى القاضي أبو يوسف مهمة قاضي القضاة وصولاً إلى اللجان التشريعية في البرلمانات الحديثة ومجالس الشورى في البلاد الإسلامية وهي اللجان التي أنتجت الدساتير والقوانين الحديثة وفق اجتهاد فقهى مستنير بصير.

إن الدساتير الحديثة التي تنظم المواطنة والقانون والحقوق في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دساتير حديثة تماماً، لن تحددها في الكتاب والسنة، ولكنها تعمل بروحها، وكذلك قانون المعاملات المدنية مثلًـ الذي تحكم إليه كل الدول العربية وينظم كل علاقات البيع والشراء والرهن والكفالة والشركات، وتبني به المدن الحديثة الكبرى هو في الواقع قانون حديث لم تجده في الكتاب والسنة ولكن ستجده في الاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع، وهي مصادر يعرفها الفقيه ولا يعرفها رجل الدين الذي يطالب فقط بالكتاب والسنة

• **مولاي أحمد صابر: كيف ننتصر. اليوم لفكرة السلام بدل فكرة الحرب على مستوى المبدأ والتصور؟**

• محمد حبس:

الدين رسالة أشواق وأذواق، ويجب أن لا يخرج عن إطاره الروحي والتربوي، وهذه بالفعل سير سائر الأنبياء في القرآن باستثناء النبي موسى ومحمد اللذين قاما بتشكيل كيان سياسي، وقد نجح الفقهاء بجدارة بالتمييز بين تصرفات النبي الكريم بالإمامية وتصرفاته بالنبوة، ومن أفضل ما كتب في ذلك ما كتبه بالعنوان نفسه الصديق العزيز سعد الدين العثماني رئيس وزراء المغرب الأسبق، حيث بسط القول بوضوح في الفارق بين التصرفين، ومن المنطقي أن نقسم بيات الكتاب العزيز إلى قسمين قسم يطالب به الفرد، وقسم تطالب به الدولة، وإذا كان ذلك واحداً في شخص الرسول الكريم فهو ليس كذلك في التابعين له بإحسان، وفي هذا السياق

فإن كل آيات الحرب والجهاد والغزو هي مسؤولية الدولة، ومن واجبها أن تقوم بدراسة قرار الحرب والسلم بحسب مصالح الدولة العليا وليس بحسب قنوات المشايخ وآراء الفقهاء.

من وجهة نظري فإن القرآن الكريم والسنّة النبوية فيها نصوص كثيرة تتعلق بالحرب، وهي نصوص محكومة بمصالح الأمة والعلاقات الدولية، وحيث أقامت الدولة سفاراتها فقد وجب فيها قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، وهذا في الواقع هو ما تطبقه كل دول الأرض بلا استثناء وهو ما يجب أن تطبقه الدولة المسلمة.

أما المنطق الذي طالب به القرآن المؤمنين بأن يمارسواه مع المختلف دينياً ومذهبياً سواء كان كتابياً أو وثنياً أو ملحداً فهو واضح في صريح القرآن: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما أرسلناك عليهم وكيلاً، وما أرسلناك عليهم حفيظاً فذكر إنما أنت مذكور، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمياً فأفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.
ويقولون: الدين مصحف وسيف !

وأقول: بل الدين هو الرحمة والحب، ورسالة الإيمان هي الأخلاق والإشراق.. وهو لا يحتاج سلطة السيف ولا سطوة الدولة.....
السيف شأن القضاء... ومكانه المحكمة لا المسجد، ويأمر به القاضي وليس الفقيه... وينظمه القانون وليس الشريعة... ويعاقب به المجرمون لا المشركون...

• مولاي أحمد صابر: تحدثت في أكثر من مناسبة وفي مختلف كتبك عن موضوع تجديد الخطاب الديني، في تقديرك كيف نجعل من القرآن مدخلاً لهذا الموضوع؟ مع العلم أن المجال التداوili في الثقافة الإسلامية المعاصرة غني بالكثير من المشاريع الفكرية التي اشتغلت على موضوع سؤال المنهج في التعامل مع القرآن الكريم.

• محمد حبس:

لا يوجد دين مؤهل أن يتجدد ويتطور أكثر من الإسلام، لقد تم تطوير الإسلام في حياة الرسول نفسه 21 مرة بالإجماع، حيث نسخت آيات قرآنية أساسية لا زلنا

[Type here]

نرتلها في المصحف خلال عشر سنوات، ومن الفقهاء من قال إن المنسوخ مئات من الآيات وليس عشرات.

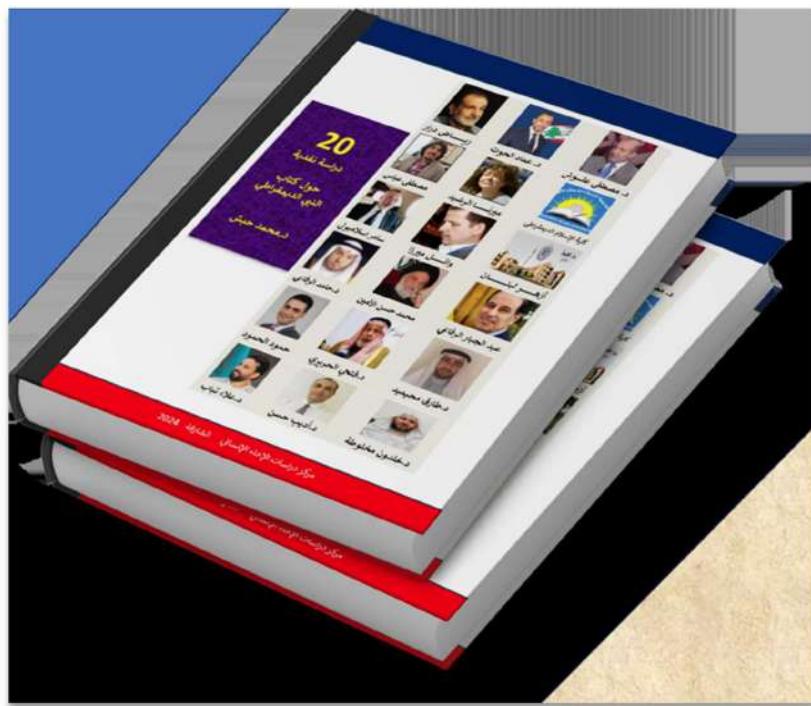
لا تحتاج هذه المسألة إلى أسرار، والتجديد يقتضي- تعديل القديم وتطوирه وأحياناً استبداله، وكل هذه الممارسات يجب أن تناج للمجتهد إذا كنتا نريد أن يبقى هذا الدجين حياً ويشارك في التطور الحضاري

إنه ليس مجدأً لأي فكر أو قانون أو دستور أن يتصلب بحيث يستعصي على التجديد، وإنه ليس مجدأً لأي نص بما فيه النص الإلهي أن نقول إنه فوق النقد أو فوق التطوير والتحديث، وأن نعتصم بالعبارة الانفعالية الإطلاقية التي لا معنى لها وهي صالح لكل زمان ومكان.

إن هذه العبارات الإطلاقيات تعكس لوناً من جحود الزمن، والنظرية البارميندوسية للحياة على أنها سكون مطبق لا يتقدم إلى أي مكان.

لقد واجه الفلاسفة منذ فجر التاريخ هذا التفكير بقوة ومنذ عهد هرقليليطس أعلن الفلاسفة أن الجمود موت والحياة حركة، والعالم ليس حقيقة قارة بل جدل متلاطم، ولذلك احتار هرقليليطس التعبير عن الهيولي الأولى بأنها النار، تلك التي لا تثبت على حالة، وتبدى وتعيد، وتخلق وتعدم، وحين قال إن لا تستحتم بماء النهر مرتين، فإن الناس فهموا أن ماء النهر يتغير باستمرار، ولكن هرقليليطس أراد أن الإنسان يتغير أيضاً، فيما أضاف هيغل بعداً جديداً لهذه المقوله وقال إن قانون الدهر يتغير أيضاً باستمرار.

بعيداً عن الفلسفة فإن الدين الذي يأمر بنسخ نصه الأسمى وهو القرآن الكريم بناء على مصالح الناس، وقد بينت ذلك في كتابي النبي الديمقراطي في أكثر من ثمانية وأربعين مسألة، وبذلك فإن الإسلام دين حيوي ومتجدد باستمرار، وللأسف فإن معم التجدديين لم يعودوا يؤمنون بالنسخ باعتباره قصوراً في الخالق ولكنني أراه جوهر التطور في الشريعة فحيث أذن الله بتطویر القرآن نفسه عشرين مرة على الأقل في عصر النبوة فهو سيأذن بذلك كلما جد تطور حيوي.



إن الأمة في كفاحها التشريعي حلال التاريخ حين نصبت لرجا لالتشريع مسؤولياتهم في الإجابة على الحلول المستجدة كانت تدفعهم باستمرار للاجتهد في مورد النص وفي غير مورده وفي وفاقه وفي شقاقه، فالغاية الإنسان والنص نفسه في خدمة الإنسان وليس العكس.

ويتعين القول إن معظم الفقهاء اختاروا مصطلحات لطيفة كتصنيص العام وتقيد المطلق، ولكن يجب القول إن عدداً غير قليل من الفقهاء تمسكون بمصطلح نسخ النص بالإجماع، ومن الجلي أنهم يرون أن بإمكاننا وقف النص القرآني إذا كانت مصلحة الأمة الحقيقة في وقف العمل به، وهذا ما جرى بالفعل في وقف العمل بنصوص النبي وملك اليمين وكذلك في نصوص قتال المشركين وفرض الجزية على غير المسلمين.

وقد يكون من الواجب هنا بسط القول بالأدلة فأقول:

أما نسخ القرآن بالقرآن فهو مذهب أهل السنة كافة، ولم ينكره من السلف إلا أبو مسلم الأصفهاني

وأما نسخ القرآن بالسنة فهو مذهب جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والحنابلة وقد انكره الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين

وأما نسخ القرآن بالإجماع فهو رأي غير مشهور منقول عن جماعة من السلف نعد منهم:

- الحافظ ابن عادل الحنبلي في كتابه اللباب في علوم الكتاب ج 3 ص 242 وقد علل ذلك بأنهم علموا وجود دليل تقديرًا.
- كما أورده ابن حزم في كتابه الإحکام في أصول الأحكام ج 4 ص 120
- كما أورده السرخسي في أصوله وانتصر له ج 2 ص 66
- كما أورده الأدمي في أصول الأحكام في معرض نسخ الثلث للأم بالأخوين ج 3 ص 163 وانتصر له البرذوي في كشف الأسرار ج 3 ص 175
- ونقله الزركشي في البحر المحيط عن الحنابلة ج 5 ص 287
- ونقله عن السرخسي أيضاً ابن الموقت الحنفي في التقرير والتحبير ج 3 ص 69
- ونقله علاء الدين الصالحي في التحبير وعلله بأنه على تقدير وجود ناسخ لم يظهر لنا ج 6 ص 363
- ونقله أمير بادشاه الحنفي عن أئمة الحنفية في تيسير التحرير ج 3 ص 209
- ونقله الشوكاني في ارشاد الفحول عن أئمة الحنابلة على تقدير الناسخ ج 2 ص 75
- ونقله بدر الدين العيني عن أئمة الحنفية في كتابه البناءة شرح الهدایة ج 3 ص 445

ومع أن هذا القول غير مشهور عن السلف ولكنه اليوم أكثر أشكال النسخ اشتهرًا، حيث تقوم البرلمانات في الدول الإسلامية عبر لجانها الفقهية والتشريعية باختيار الأوفق للناس والأكثر مطابقة للعدالة ولو كان خلاف ظاهر النص، وفي هذا السياق يمكن تفسير اتفاق المسلمين على منع الرق والسبي وبيع الأشخاص ووضع الجزية والكف عن حرب المشركين وقتالهم وإقامة حدود اعتبارية وفق القانون الدولي وهذا كله مناقض لظاهر النص ولكن تقبلته الأمة في مجالس إجماعها ولا يعرف له نكير معتبر.

- مولاي أحمد صابر: لكم مقوله مفادها " داعش أ Fowler التنظيم لا يعني Fowler الفكرة" هل يمكن أن تفصل لنا القول في هذه المقوله، على المستوى الثقافي والاجتماعي وال النفسي والعلمي.

• محمد حبس:

ماتت داعش ولكن أفكارها لم تمت أبداً، وقبل أيام نشرت على صفحتي ردًّا مباشراً على الشيخ عثمان خميس وهو شيخ سلفي مشهور لديه ملايين المتابعين على الشابكة ، وله مجموعة محاضرات ينشرها بنفسه على وسائل الإعلام الاجتماعي، وفيها يقرر بوضوح أن واجبنا الشرعي هو أن ندعو الناس إلى الإسلام فمن أجاب فأهلاً، ومن لم يستجب فإن واجبنا الشرعي أن نفرض عليه الجزية صاغراً فإن أبي فإن علينا أن نقاتلها!! فإن قتلناه فهو إلى النار وإن أسرناه فهو عبد حقير للمسلمين، لأنه لم يرض أن يكون عبداً لله فليكن عبداً للمسلمين!!

في الواقع ليس في هذا النقل أي مبالغة، والعبارات موجودة بالصوت والصورة ولم يعد في عالم الميديا شيء مسثور، وقد نشرـ هذا الربط بالذات تحت عنوان لا تخجلوا من دينكم وبوسع كل من يشاء أن يشاهده فهو منشور على عشرات المواقع، والأسوأ أنه منشور بكثرة على موقع معادية للإسلام كموقع ميمري الذي يديره فريق صهيوني برئاسة إيهود باراك كما ينص الموقع بصراحة وهناك ستجد كل هذه الأشرطة البائسة.

لا تحتاج داعش لفتوى أوضح من هذه وهي تمارسها كل يوم، إننا نروي هذه الأحكام لطلابنا ونشرـها لهم ببراعة الشيخ خميس نفسه، ولكن حين يقوم المتشددون الذين تلقوا هذا التعليم بارتكاب الفظائع نقول إنهم صناعة أمريكا وهم مؤامرة على الإسلام!!

قناعي إننا ننتج في لكل يوم مبررات جديدة لقيام منظمات لا تقل خطراً واثراً عن داعش ونحن نظن أننا نحسن صنعاً.

• مولاي أحمد صابر: لكم مؤلف حول إخاء الأديان وهو مفهوم فيه ابداع مميز، هل هذا الاصطلاح فيه تجاوز لحوار الأديان؟ وعلى ماذا يقوم هذا الاصطلاح وهذه الدعوة؟

محمد حبس:



لقد اخترت بالفعل مصطلح إخاء الأديان لأنني أراه تعبيراً دقيقاً فلا معنى لإضاعة الوقت في حوار الأديان ومقارنته الأديان، فلا أحد من أتباع الأديان يستطيع تغيير جوهر دينه وكذلك فإن مصطلح وحدة الأديان أو توحيد الأديان عبث لن يقبله أحد، ولكنني اخترت إخاء الأديان وهو سلوك اجتماعي محض في مواجهة ثقافة الكراهية حيث أقوم باحترام المخالفين وتقدير اجتهاداتهم من دون أن أكون قد عبرت عن موقف كراهية، وذلك على قاعدة لكم دينكمولي دين.

لقد اخترت الكتابة في إخاء الأديان وأنا أعلم بوضوح أنه حلم غير موجود، فالآدیان على الأقل في نمطها السائد اليوم وبالتحديد في الإسلام والمسيحية واليهودية لا يسمح كهنتها ببناء هذا الإخاء، فالآخر كافر شرير يمكننا أن نجامله أو نتعايش معه ولكنه ذا هب إلى النار يوم الدينونة، ولن يتغير شيء كثير إذا مارسنا المجاملات والصلادات لبناء عيش مشترك، طالما أن المخزون في الصدور ثقافة التكفير الرهيبة التي تجعلك تفقد بجارك كل احترام، وتترىص به الدوائر، وسرعان ما ترتد هذه الاصطفافات بشكل مرعب لدى أول امتحان، ويامكاني القول بأن تيار الإخاء بين الأديان على الرغم من حضور النخب فيه وخاصة من أهل القانون والتشريع والفلسفة والحكمة وكذلك التيارات الصوفية إلا أن السواد الأعظم من الناس لا زال خاضعاً لفكرة الآخر الكافر، والجحيم الذي ينتظره ووجوب بغضه في الله الذي تعبدنا ببغض الكافرين.



- **مولاي أحمد صابر: وفقا لطرحك إخاء الأديان، هل ذلك يعني الارتقاء لمستوى دين كوني ذو طبيعة إنسانية عالية، يخرج فيه الجميع من مختلف السياجات المغلقة باسم الدين؟**

- **محمد حبس:**

نعم لم أقصد بإخاء الأديان بناء جبهة من المؤمنين ضد الملحدين، لقد قصدت إلى بناء إخاء إنساني، فالغاية الإنسان وليس الأديان، ولا أريد أن أخرج من الاصطفاف المذهبي إلى الاصطفاف الديني فكلاهما مشروع كراهية، لقد قصدت إلى الفضاء الأرحب حيث يكون الإنسان أخا للإنسان، يحبه ويحسن إليه على الرغم من موقفه الاعتقادي، وفي القرآن الكريم من هذا المعنى: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله، وفيه ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.

لقد بسطت في كتابي الأدلة الكافية على إمكانية بناء المحبة بين أتباع الأديان من دون أن نشترط تحولهم إلى ديننا، والفصل الأول من هذا الكتاب فيه أكثر من أربعين دليلاً شرعياً من الكتاب والسنة والمصادر الأخرى على وجوب إخاء بين الناس مؤمنهم ومشركهم، وأن العداوة لا تكون إلا للعدو المحارب.

إخاء الأديان غير موجود إلا على مستوى النخب، ولكنه رسالة نبيلة وكبيرة، ولا أعتقد أن أي مشروع سلام ومحبة وإخاء إنساني يملك فرص النجاح إلا إذا عالج بشجاعة وقوه مسألة التناحر الديني الذي يؤسس للكراهية في جذور عميقة لا تقبل الحلول.

• الكلمة الأخيرة لكم

• محمد حبشي:

لقد اخترت هذا الطريق وهو طريق شائكة عسيرة، وربما لو أدركت تماماً عوائق خياري هذا لترددت عنه، فليس سهلاً أن تخسر مكانك بين الناس كمصدر روحي مأمون يبشرهم برغاب السماء ويحظى منهم بتقديس الأرض، لقد وجدت نفسي- فجأة في مكان آخر لقد بنيت حياتي على واقع صفر عداوات ولكنني فوجئت حين صارت الناس برسالي في التنوير بغضب ماحق وبيانات تترى من مراجع الدين والسياسة الكبار في بلادي، وووجدت نفسي- مهدداً في أكثر من سياق ولكن لا ضير فهذه هي سنة الحياة، وما أسهل أن تعيش صالحًا ولكن ما أصعب أن تعيش مصلحًا.

دعني أختتم بهذه الكلمات من الرباعيات، وهيآهات جارحة بثثتها في محراب عشقي للرسول الكريم ، فقد كنت أجد أنسني. وسلوتي في مناجاة الرسول، لقد شعرت تماماً أنه واجه هذه الأهوال حين قرر أن يواجه همود الناس وأوهامهم، لقد تبدل اسمه فوراً من الصادق الأمين إلى الساحر المحنون الكذاب.. !! ولكنne استمر ومضى.

لقد بدأت كتابة هذه الأبيات عند قبره الشريف منذ عشرين عاماً، ولكنني مستمرة في كتابتها إلى اليوم وقد صارت أكثر من ألفي رباعية، وعلى نسق إقبال في شكوى وجواب شكوى خاطبته بحديث الروح للأرواح تسرى فتسمعه القلوب بلا عناء:

أشرقت منه الليالي مصباحات

يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مَنْ وَجَهَهُ

[Type here]

يمنح الحائر أسرار الحياة

هل لدى كفيك براء مثله

قمت فيها ناسخا حكم السماء
يا لن — أتباع شوم جبناءأيها الصادق كم من وقفة
وشجاعا كنت في تغييرهاقد نكتبناها بنص مسند
أنها دستورهم للأبدأيها الصادق كم من نكبة
لم تكن تعلم لما قلتهاغارك العالى شفاء للقلوب
وتلقاءها على جنح الغيوبأيها الصادق أشواقك في
كنت تلقيها على جنح الدجىصار سقيا من دم مر وسم
ريما يقتل حبطاً أو يلمأيها الشاهد ما للمستقى
إن ماء المزن ترياق الحياةغير أشواق وأذواق ونور
فجرت أنغامها فوق السطورما النبوات التي كانت لكم
أشرقت شوقاً على أسماعكمرغم ما يشهده العالم هذا
ولماذا ولماذا ولماذا ؟فلماذا ختمت أنوارها؟
ولماذا طويت أسرارها؟

لقد ألقيت كلماتي حرّى حزينة واجمة... و كنت أرقب من ندى يديه ولحظ عينيه جواباً لهذه المشاعر العاصفة، لقد وجدتني بين يديه وهو يرتل علي رسالة نصّه، وهي رسالة من سجاف الغيب تكشف هول المواجهة مع العجahlية الثانية، ورسالة الحب في طوفان من الكراهة.

[Type here]

خدمة للعقل أوقفت النبوة
فخذوا أقداركم عني بقوة

لا تلمني يا صديقي إنني
لم أشأ أرضي لكم أوهامكم

جثث تسكن في جوف المقابر
واصعدوا أنتم على تلك المنابر

مجدكم في الأرض لا ترسمه
فخذوا أقداركم وانتبهوا

بيد قل لي أين منها ثورتك
بيد قل لي أينه مستقبلك

ثوري البيضاء في أرض الحجاز
أنا ماضيك الذي تذخره

نورك الباقي على مر العصور
ليس زيتني وأنا ابن القبور

إن مصباحي الذي أسرجته
إنما زيتك من يسّرجه

إن تراني تبصر الماضي وراءك
إنما دريك أبصره أمامك

أنا كالمرأة في سيارتكم
بيد لا يكفيك ماضٍ آفلٌ

هي كلماتي أيها العزيز، ولن يطول بنا المقام حتى نصبح قبراً، ولعل الآتين من الأجيال
يذكرون أننا نصحنا بما يملئه الواجب وأدينا حق الله في هذه الأمة، والموعد الله

الحوار الثاني: صحيفة المثقف - مصطفى الخليل²



2024 آب 21

الرئيسية

مقالات

أدب

حوارات

تقارير وتحقيقات

المؤسسة

الصل بنا

كتاب مشاركون

حوارات عامة

مصطفى الخليل يحاور د. محمد حبش حول كتابه "المذهب الإنساني في الإسلام"

هذا المحتوى: مصطفى الخليل - نشر بتاريخ: 21 آب/الصيف 2024

المذهب الإنساني في الإسلام

كتابات في بناء الدولة والحداثة

الدكتور محمد حبش

أسئلة حوارية مع الدكتور محمد حبش حول كتابه "المذهب الإنساني في الإسلام"

إعداد: مصطفى الخليل

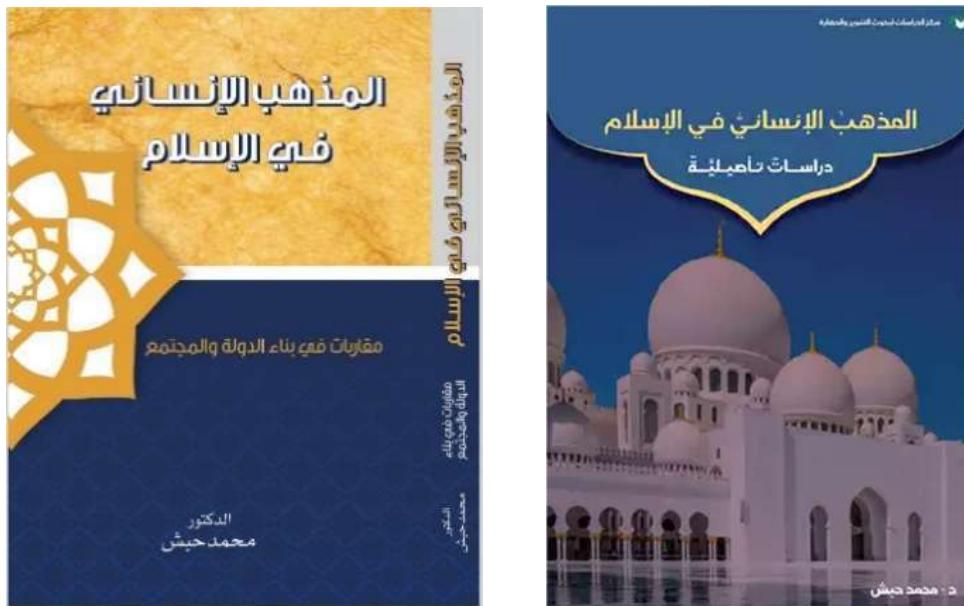
2024 آب 21

² مصطفى الخليل، صحافي سوري مهتم بالحوار بين الأديان وقضايا حقوق الإنسان، عمل في عدة وسائل إعلامية عربية، وأجرى حواراً عميقاً مع أبرز المفكرين والمستشارين وعدد من الساسة العرب والأجانب.

يرى المفكر الإسلامي الدكتور "محمد حبش" في كتابه "المذهب الإنساني في الإسلام" أن "الإنسان" أهم من "الدين"، مستدلاً على ذلك من القرآن الكريم، والذي أشار في مواضع كثيرة بوصف الإنسان "خليفة الله في الأرض" و"سيد الكون" وهذا ما يُعد أعظم تشريف وتكريم لبني الإنسان.

وينطلق الدكتور "حبش" من رؤيته حول علاقة الإنسان بالدين من الفلسفة الصوفية العرفانية التي ترى أن "المعرفة" أكثر شمولًا من "العلم" وأن "العلم" ما هو سوى فرع من فروع "المعرفة"؛ ويُقصد بالمعرفة هنا معرفة الله وأسرار وجود الكوني والإنساني؛ فهي رؤية فكرية، وعلمية، ودينية عميقة، تسعى إلى معرفة مباشرة وتفصيلية بالله سبحانه وتعالى، وفق منهج وبناء معرفي، أساسه الإشراق الباطني والكشف والشهود القلبي.

وصدرت الطبعة الأولى من كتاب "المذهب الإنساني في الإسلام" عن دار "لبنان الجديد" ودار "ندوة العلماء" عام 2022، ويقع في خمسة فصول، يتناول خلالها عدة محاور منها ظهور الاتجاه الإنساني في الإسلام، وملامح المذهب الإنساني في التاريخ الإسلامي، وأسباب تعااظم ثقافة الكراهية في المجتمعات الإسلامية، كما ويناقش ظاهرة "الإسلاموفobia" وانتشارها في الغرب، ومنعksاتها على العلاقات ما بين المسلمين والمجتمعات الغربية.



الطبعة الثانية 2023

الطبعة الأولى 2021



الطبعة الثالثة 2025

1- الدعوة إلى المذهب الإنساني في الإسلام ليست جديدة، وإن اختلفت المسميات، لكن برأيك لماذا تتعطل هذه الدعوة دائماً كلما حاولت النهوض والاستمرارية، على الرغم من أن التاريخ الإسلامي يحفل بالعديد من المواقف البارزة في هذا الاتجاه؟

هناك اتجاهان في التعامل مع المسألة الإنسانية أنسنة الإسلاميات أو أسلمة الإنسانيات، وقد حددت اتجاهي في الأفق الأول، وبات من تحصيل الحاصل أن أنسنة الإسلام ستؤدي إلى أسلمة الأنسنة لا محالة.

الحديث عن الإنسان كذات كريمة على الله ليست محل خلاف من أحد، وقد فصل القرآن الكريم الرواية في أكثر من عشر سور وكرر رسم المهرجان السماوي الأكثر جللاً حين سجدت الملائكة لابن آدم في صورة واضحة لتسخير الكائنات كلها من أجل الإنسان، بحيث يكون خليفة الله في الأرض.

ولكن هذا التراث الأدبي والإيحائي على الرغم من جلاله وهيبته، لم يكن كافياً من الجهة الحقوقية لاعتماد الإنسان محوراً للتشريع بحيث تنتج الأحكام وفق لحاجاته الحقيقية وتأسيساً على سعادته، وظل النص الديني ينوس بين تكريم الإنسان للغاية كسيد على الملائكة أجمعين وبين نصوص أخرى تنبه إلى هوان الإنسان وضعفه وعجزه وجهله، إن الإنسان خلق ضعيفاً، كنوداً، جهولاً، أكثر شيء جدلاً.

في قراءتنا للمذهب الإنساني في الإسلام كنا نعمل على تحقيق محورية الإنسان في التشريع بحيث تكون القيم الإنسانية التي اتفقت عليها البشرية مصدراً أساسياً للتشريع، لها قوة الكتاب والسنة، بل إن القيم الإنسانية التي اتفق عليها البشر تملك قوة نسخ الوحي الكريم أو تقييده أو تخصيصه، وهذا ما بنياه بوضوح في الكتاب.

2- كانت الشخصيات الإسلامية الأولى والمؤثرة مثل الخليفة عمر بن الخطاب وغيره أكثر جسارة من علماء المسلمين في عصرنا الحالي على ترجيح الجانب الإنساني على النص، وحتى على الحدود، ما هي أسباب ذلك؟

عمر شخصية عبقرية بلا شك، ولعل أوضح مواقفه في إعلاء الجانب الإنساني هو موقفه الشديد ضد حروب الردة، ورفضه إرغام الناس على الاعتقاد، وقد اشتد في معارضته وخلافه حتى أغضب الصديق وقال له: أجباري في الجاهلية خوار في الإسلام يا عمر، والله لو منعوني عناً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليهما.

وكان منحازاً باستمرار إلى الإنسان، وقد نجح في إنهاء حروب الردة فور تسلمه للخلافة، وبدلًا من الحروب عقد مصالحات للقبائل واعاد الاعتبار لكثير من قادة حروب الردة، ومن هؤلاء طليحة بن خويلد الأسدية وأصحابه لقيط بن مالك الأزدي، وأبو مريم الحنفي وآخرون وكثير منهم كان قد ادعى النبوة وأعلن أنه رسول ناسخ للإسلام، ولكن عمر تعامل معهم وفق منطق العدالة الانتقالية، ونجح في تأهيلهم مرة أخرى ليشاركون في بناء الحضارة الإسلامية.

وفي الجانب الإنساني أطلق عمر سلسلة مباردات جمعها الرواية فيما بعد تحت عنوان مواقفات عمر، وفيها كان عمر يتحدث عن اقتراحات على الوحي نفسه، ولو ذهبنا نستعرض هذه الاقتراحات لوجدنا أنها تتمحور حول حاجات الإنسان، وفي هذا السياق اعترض بشدة على قسمة الغنائم على الفاتحين، وحين جاءه الصحابة غاضبين أنه يغير ما كان عليه الرسول قال لهم بكل شجاعة: والله لا أقسم فيكم أرضهم ولا فيئهم، إنها أرضهم زرعوها في الجاهلية وقاتلوا عليها في الإسلام، ورد المال في العراق إلى أهل العراق، على الرغم من وجود نصوص صريحة تجعل القسمة للفاتحين.

إن أفضل طريقة لفهم الجانب الإنساني في سياسات عمر هو قراءة مواقفات عمر الثمانية عشرة التي كانت في معظمها استدراكاً على الوحي، ومن العجيب أن الوحي كان يأمر بتصحيح الأمر على وفق رؤية عمر، وفيما يرى النصوصيون ذلك تهوييناً من أمر الوحي، فإنني أراه انسجاماً بين الوحي والإنسان، واستجابة لمنطق ديمقراطية التشريع.

3- لماذا كلما تقدم الزمن ازداد المسلمين تمسكاً بحرفية النص وتقديسه؟
وهل هذا ناتج عن قصور في معرفة مقاصد الشريعة؟ أم بسبب ابتعاد
الناس عن دينهم (كما يرى الكثير من المسلمين اليوم)؟ أم أنه نتيجة حتمية
لتوقف الاجتهداد في الفقه؟

لقد شرح القرآن بوضوح أمراض الأمم، وأوضحتها مرض الغلو في الدين، وقد وقع
المسيحيون في الغلو في المسيح حتى نصبوه مع الله إلهًا، وأعتقد أن المسلمين
وقدعوا في الغلو في القرآن الكريم فأخرجوه عن سياقه ككتاب تربية وأدب وموعظة
إلى كتاب تشريع حاكم في كل زمان ومكان، وهو منطق لا يمكن قبوله إلا بقدر كبير
من التعسف ومحالبة العقل، حيث اتفق المسلمين في هيئاتهم الرسمية والأكاديمية
مثلاً على منع العمل بنصوص كثيرة لم تعد مقبولة في هذا الزمان، أو باتت مناقضة
للقيم الإنسانية بحكم تغير الزمان والمكان، وكان كثير من مشايخنا إلى عهد قريب
يطالبون بإحياء شعائر الإسلام من الجهاد والجزية والسبسي والاسترقاق وقطع
السارق ورجم الزاني، ولكن التطبيق الفعلي لهذه الممارسات عبر الحركات المتطرفة
فرض على المسلمين مراجعات عميقة في هذا الشأن وتوقفت هذه الدعوات على
مستوى الفقهاء الأكاديميين على الأقل، مع أنها لا زالت في جوهر الخطاب الوعظي
الغاضب.



وبدون أي تردد فإن بإمكاننا اليوم أن نرصد حركات الإسلام السياسي التي دخلت
البرلمانات واعتمدت الديمقراطية كما هو الحال في المغرب والجزائر وتركيا
 وأندونيسيا ومالزيا فإنه لا يوجد حزب إسلامي تحت قبة برلمان يطالب بهذه

العقوبات أو يدعوا إلى عودة الجهاد والفتح وتخير الناس بين الإسلام والجزية والسيف، لقد أصبح ذلك حزءاً من الماضي، وبات الفقهاء يتقبلون نظم الدولة الحديثة وقيم حقوق الإنسان.

لقد تطورت التشريعات والدساتير بشكل واضح في البلاد الإسلامية، بغض النظر عن التطبيق المحكم بإرادة الاستبداد، وباتت الدساتير في العالم الإسلامي كله تنص بوضوح على مساواة الأديان ومساواة الإنسان بالإنسان وبات كل تمييز بين البشر. يعتبر بمثابة انتهاك دستوري، وترى هذه الدراسة أن ذلك تم بجهود الفقهاء إلى جانب الإرادة السياسية.

ولكن هذا التطور لا زال يواجه اعتراضاً شديداً من الواعظين من رجال الدين الذين يطالبون بالعودة إلى الكتاب والسنة في النظام الحقوقي المحلي والدولي وهو الأمر الذي سيتناقض دون شك مع قيم مساواة الأديان ومساواة الإنسان بالإنسان.

د.محمد حبش

عدالة... لا انتقام

نحو تطوير شريعة العدالة والدول من النار إلى العدالة

د.محمد حبش

نفريتي

نفريتي - القاهرة

مركز دراسات إخاء إنساني - القاهرة



محمد حبش

كتاب سيرته يحمل الدكتوراه في الفقه
شترك في إنشاء العدالة العالمية ويفصل
وأحد من أعيان الفقهاء في مصر عام 2005
لتحقيق عدالة العدالة في مصر، والذين
يترأس على في مجلس الشفف العالمي
ويسعى ملوك عصوا في هذه الرؤية
لإرثه العظيم

بعد تلقيه الدور العظيم في إنشاء
العفيف العظيم عمل أستاذ مشارك في
جامعة أبو قير، وأسس مركز دراسات العدالة
الإسلامية، حيث أطلق عليه مهندسة العدالة
الإسلامية، ينطلق من الإيمان بـ العدالة
الإسلامية وذررها على العالم وذررها
وأدى إلى إرثه العظيم في إنشاء العدالة
وافتخر شفاعة العدالة العظيم
له الذي ينادي به في كل مكان في كل مكان
الدولي، ينادي به في كل مكان في كل مكان
والدولي، ينادي به في كل مكان في كل مكان
هذا

- * إصدارات
- * العدالة العظيم
- * إعلان حقوقي العدالة العالمية
- * العدالة من الفقيرية والآيات
- * العدالة والآيات
- * العدالة والآيات
- * العدالة والآيات

WWW.HUMAN-FRATERNITY.ORG

9 789776 865778

4- لماذا تمكنت السلفية وعبر فترة طويلة من الزمن من الثبات أمام كل التيارات الإسلامية الأخرى المناوئة لها، لا بل واستطاعت أن تتمظهر وتتجدد بأشكال مختلفة كما في عصرنا الحالي؟

لا بد من تحرير مصطلح السلفية أولاً، لأن كلمة السلفية تتصدّر عند الجماعات الإسلامية تحديداً إلى أتباع مذهب أحمد بن حنبل من مدرسة ابن تيمية وابن عبد الوهاب، ولكن أعتقد أن حواراً كهذا لا بد يتحدث عن السلفية كرؤيا ماضوية، وهي تشمل كل الذين يرون أن السلف كانوا أحكم من الخلف وأعلم وأنجح وأرضي لله، وأن علينا أن نتبع خطواتهم ومناهجهم وأساليب حياتهم، وبهذا المعنى فإن معظم الجماعات الإسلامية سلفية بما فيها الصوفية الذين يخوضون باستمرار حوارات طاحنة مع السلفية ولكنهم في النهاية ينكفؤون إلى احتيارات السلف من أئمة الرواية أو السلف من أئمة الطريقة، فالحال في الفريقين هو البحث عن الحلول في أعمال السلف، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.

5- بغض النظر عن أي تفسيرات أخرى.. أليس هذا دليل على مرنة السلفية وعلى قدرتها على مجاراة العصر ومتغيراته؟

السلفية فكرة سهلة، وهي أن الحلول موجودة بالكامل ولا يطلب إلا وضعها موضع التنفيذ وكلها مجللة بقداسة الوحي، وكلما أوغلت في العبارات الإطلاقية: للناس كافة، صالح لكل زمان وكل مكان، أأنتم أعلم أم الله؟ وفي اللحظة التي يقتتنع فيها المرء بأن السلف جيل مقدس وأنه أمواج ملائكية مشت على الأرض فإن اختيار المنطق السلفي سيكون تحصيل حاصل خاصة مع الاتفاق على بؤس الواقع وعقم الحلول النهضوية خلال العقود السابقة.

وفي الواقع فإن كل الحلول ترتد سلفياً في ظل الإحباط، وسيبقى الارتداد السلفي ملذاً وحضناً مرغوباً لدى الجمهور حتى يتم إنجاز مشروع نهضوي حقيقي ينقل الناس للعيش في الواقع.

إن ما نعمل لأجله هو مساواة الأزمنة، والنظر إلى عصر السلف بعين نقدية بصيرة، وإسقاط القدسية عن السلف الذين تحاربوا واقتتلوا ومارسوا الغزو والاجتياح

وقدّسوا الحرب بكل تفاصيلها وعواقبها، ونقول بوضوح المقدس ليس في الماضي .. المستقبل أولى بالقداسة من الماضي.

6- هناك من يرى أن السلفية تمتلك قراءة موضوعية منطقية تتناسب مع الظروف التي تحيق بال المسلمين خاصة في ظل تصاعد خطاب "الإسلاموفobia" في الغرب في حين أن الصوفية والعرفانية لا تمتلك برنامجاً واضح المعالم (بحسب وجهة نظر الكثير من المسلمين) ما هو ردك على ذلك؟

يمكن القول إن المنهج السلفي يقدم نفسه بصورة محكمة متينة، فهو فكرة واضحة، تملك النموذج الظهراني الذي يعرفه الناس، وقد حظيت في العقود الأخيرة بتطور مهم نقلها من السلفية الشعائرية إلى السلفية السياسية وكان للأعمال الهامة التي كتبها المودودي وسید قطب تأثير كبير في إحكام الموقف السلفي كمشروع سياسي انقلابي قائم على الاستعلاء رافض للمساواة، حيث لا يمكن على الإطلاق في الإطار النظري المساواة بين شرع الله وشرع الناس، وهو ما كان وقود الحرب التي أشعلت العالم الإسلامي بلا هواة.

وبعيداً عن السلفية الجهادية التي تؤمن بالتغيير عن طريق العنف فإن السلفية تكرس التمايز بين المسلم والعالم، وتعتبر الصراع حتمية وجودية، وتصر- على نفي التشبه بالكافار في لباسهم وعاداتهم وللأسف في ديمقراطيتهم وفي وعيهم بحقوق الإنسان.

فيما يعتبر التيار الصوفي أكثر تصالحاً مع العالم، فهو يقوم على مبدأ التوسيع في قبول إيمان الآخرين، وتفويض الحساب إلى الله ووجوب نشر المحبة بين الناس، ولكن التيار الصوفي والعرفاني لا يطرح مشروع دولة، ويمكنه أن يتبيأ الواقع المحبط إسلامياً أو غير إسلامي.

إن القدرة على نفي الصراع من وجهة نظرى هي نقطة إيجابية تماماً، في حين أن حتمية الصراع ستبقى فكرة مدمراً مهماً تجنبت الصراع العسكري فهي ستستنزف

قدرات الأمة ولن تنجح في تحقيق النموذج المتفرد إلا على ركام من الخصومة والعداوات والقطيعة.

إن مواجهة الإسلاموفobia لا يمكن أن تتم بالغربيوفobia ولا بالديمقراطوفobia، سندور في الحلقة المفرغة، ولكن السبيل الصحيح هو بناء الجسور مع القوى المحبة للسلام وتعزيز مكانها في المجتمعات الغربية وصولاً إلى شراكة حقيقة في إعمار الأرض بدلاً من الخصام الأبدى.

7- هناك رأي عند جمهور علماء المسلمين وعند العامة من المسلمين أيضاً، أن الفقه الإسلامي كامل متكامل ولا حاجة لبروز مذهب جديد تحت أي مسمى، ولا بأس من تعديلات طفيفة وفق المقتضيات الحرجية، وهناك قسم آخر يرى أن إشكاليات العالم الإسلامي ماهي إلا نتاج محاولات التجديد السابقة ويستدلون على ذلك من خلال ما أفرزته الآراء الفقهية لشخصيات إسلامية مثل ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، ما هو ردك على ذلك؟

يجب التفريق بين الفقهاء وبين رجال الدين، فرجال الدين هم الذين يقمن بالشعائر وإلقاء الموعظ في المساجد ووسائل الإعلام، أما الفقيه فهو ذلك العالم الذي يكلف من الدولة بإنتاج الأحكام العملية لوضعها موضع التنفيذ والإشراف عليها شرعاً وقضائياً، وهذا الدور مستمر منذ فجر التاريخ الإسلامي وهو اليوم يتحقق بشكل لافت في الجهود التشريعية التي يقوم بها الفقهاء المشرعون، ومن هذا الفقه الإسلامي ولدت القوانين الحديثة في المعاملات والجنايات والأحوال الشخصية في أكثر بلاد المسلمين.

قانون المعاملات المدنية في الإمارات مثلاً هو أبو القوانين وهو الذي نظم الحياة التشريعية في نهضة الإمارات وكل ما قام من جسور وجامعات وطرق ومتاحف وملاعب وكل ما قدم من شركات عالمية كبرى تستثمر في الإمارات فقد تم تحرير عقودها وحقوقها عبر قانون المعاملات المدنية المستموج بالكامل من الفقه الإسلامي كما تقول ديباجته، والذي يأمر بالعودة إلى المذهب الحنفي عند سكوت النص، ولكن بالطبع ليس المقصود كتب المذهب العتيقة وإنما تطور الفقه

الإسلامي المستمر ، وهي ليست سحراً ولا إعجازاً بل هو حال كل القوانين في العالم التي تتطور بتطور الشعوب وتزدهر معها.

وقوانين المعاملات المدنية متتشابهة في البلاد العربية في مصر - والشام وال العراق والخليج كلها نمت في روضة الفقه الحنفي وتطورت بتطور الحياة ولا تزال كذلك.

أما الفقه بمعنى العودة إلى مذهب أبي حنيفة أو مذهب الشافعي أو مذهب مالك وأحمد فهذه سلفية أخرى ولا تحمل أي رؤية واقعية أو تجديدية للحياة. المطلوب من الفقيه أن يجتهد لأن يقلد، وهذا هو معنى الاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع وهي مصادر عقلية بامتياز مارسها الفقه الحنفي والماليكي خصوصاً وحكمت بها الدول الإسلامية قرونًا طويلاً، وهي تتجدد في رؤية مقاصدية باستمرار.

نعم إنني أطالب بنقد عميق للرواية ولكنني أثق ثقة كبيرة بالفقه باعتباره يحمل الأدوات القادرة على الاجتهد الجديد بعيداً عن قفص الرواية.

8- في النهاية. ما هو موقف المذهب "الإنساني" من الشهادة في سبيل الله

بدون أي تردد لا أعتقد أن الإنسان مدعو أن يضحى بحياته من أجل أي قيمة أخرى، إن النبي الكريم نص على أن المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة، ولو أن خلاص العالم يتطلب أن تقتل طفلاً بريئاً لظل هذا العمل غير أخلاقي.

إننا نحتاج لمن يعيش في سبيل الله وليس لمن يموت في سبيل الله، ومن المؤسف أن ثقافة الموت والشهادة تجاوزت منطق القرآن: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وتوسعت حتى صار الموت أصلاً والحياة استثناء، وهذا عكس حركة التاريخ، وفي ظل هذه الفكرة تم خوض حروب طاحنة، وفتورات خطيرة ومدمرة، كان يمكن تجنبها لو أن الناس نشأت على ثقافة الحياة لا على ثقافة الموت.

الحوار الثالث: د. عبد السلام شرمط³

حوار مع الدكتور محمد حبش

حاوره. د. عبد السلام شرمط



نشرته مؤمنون بلا حدود 1 تشرين الثاني 2024

الكاتب

عبد السلام شرمط

باحث مغربي . وأستاذ جامعي سابق، أشرف على العديد من البحوث الجامعية، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية، له كتابات تجمع بين الفكر والتقى، حصل على شهادة الإجازة في اللغة العربية وأدابها من جامعة القاضي عياض-بني ملال، وشهادة استكمال الدروس من جامعة محمد الخامس-الرباط، وشهادة الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها.

حوار مع محمد حبش

عبد السلام شرمط

www.momouni.com

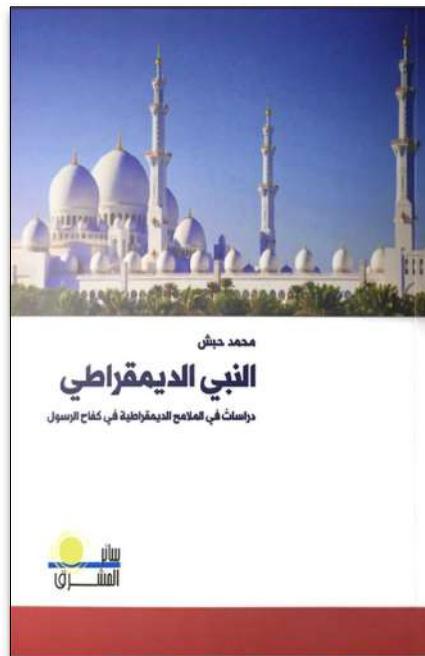
27

³ باحث مغربي ، وأستاذ جامعي سابق، أشرف على العديد من البحوث الجامعية، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية والمحلية، له كتابات تجمع بين الفكر والتقى، حصل على شهادة الإجازة في اللغة العربية وأدابها من جامعة القاضي عياض-بني ملال، وشهادة استكمال الدروس من جامعة محمد الخامس- الرباط، وشهادة الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها.

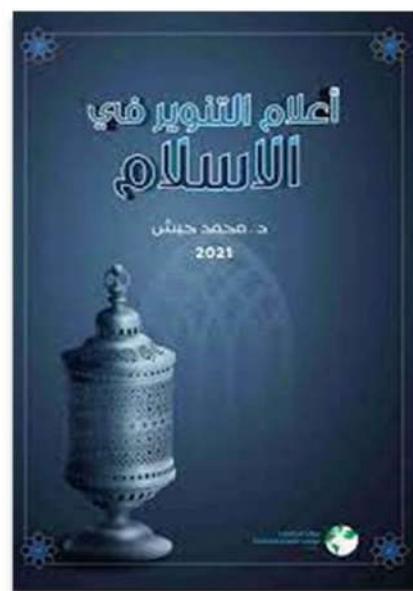
*- بصفتكم باحثا في التنوير الإسلامي وحوار الأديان، تبنيتم مشروع التجديد الديني، انطلاقا من قضايا عدة أهمها: رفض احتكار الخلاص، تجديد فقه المرأة في الإسلام، إحياء مصادر الشريعة الغائبة، ما يعني منح دور أكبر في التشريع للعقل على حساب النص، ما دور العقلانية في تجديد الوعي الديني؟

ظهر الجدل بين تيار العقل والنقل منذ فجر الإسلام، ومنذ عصر الصحابة كان هناك من يخوض في باطن القرآن تأويلاً واستشرافاً وكان فيهم من يقول: أي سماء تظلني وأي أرض تقليني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم!! وقد ظهرت هذه الثنائية خلال التاريخ: العقل والنقل، الرأي والأثر، الاتباع والابتداع، الاجتهاد والتقليد، المفوضة والمؤولة، السلفيون والتجديديون، الفقهاء والظاهريه، العقلانيون والمحافظون، وكلها ثنائيات تصف مشهد الانقسام في الفكر الإسلامي، وهو انقسام طبيعي يمكن تلمسه أيضاً في كل حضارة وفي كل ثقافة وفي كل دين.

وقناعتي أن دور العقل في التشريع كبير جداً، لقد بسطت القول في هذه الحقيقة في كتابي النبي الديمقراطي، وبالطبع فإني لا أزعم أن ما تبنيته كان خيار الجميع، فالمجتمع الإسلامي خلال التاريخ كسائر المجتمعات فيه المتسامح وفيه المتصلب، وهذا بالضبط ما كان يجري في كل عصر، وفي تبعي للتيار العقلي بين الفقهاء يمكنني القول إننا نملك تراثاً غنياً بالحرية العقلية، كما نملك أيضاً تراثاً متصلباً يرفض إعمال العقل، وقد تم هذا التصنيف منذ فجر الإسلام كما بناه، ولا أجد أي سبب يدعونا للتسليم أن الدين هو موقف إلحادي للعقل، بل إنني على قناعة تامة أن الدين بستان يتسع للفريقين، ولكل أداته ومناهجه. ولكن علينا كعقلانيين أن نتوقف عن الدلع، فلا ينبغي أن ننتظر من الناس قبول تفكيرنا وتقديره واحترامه، العقلانية في زماننا تواجه تحدياً سلفيّاً كبيراً، ومن الطبيعي أن يواجه دعوة العقل رفضاً وتشهيراً، كما قال نيتشر لا تتوقع أن يحبك الناس لأنك تخبرهم الحقيقة، الناس تميل لمن يزخرف لها أوهامها، والحقيقة الكاملة يقولها أولئك الذين يرغبون في الرحيل، وهذه هي حركة التاريخ.



كما إنني ضد المبالغة في وصف معاناة العقلانيين في الإسلام كأبي حنيفة وابن سينا وابن رشد والفارابي، فهذه المعاناة ذاقها أبناء التيار المحافظ أيضاً، وابن حنبل وابن تيمية وابن القيم هم خريجو السجون أيضاً، وشهداء التيار العقلاني ليسوا أكثر من شهداء التيار الأصولي، والسياسة هي اللاعب الأكبر في تحريك المقصلة، وكل ما في الأمر أن التدافع قائم بين العقلانيين وبين التراثيين، وجولة هنا وجولة هناك، وعلينا أن نكون في الجانب الصحيح من التاريخ.



رفض احتكار الخلاص

احتكار الخلاص ظاهرة ترتبط دوماً بالمتحدثين باسم الغيب، وقد ظهرت في الأديان الإبراهيمية خاصة، وهي موجودة بشكل أقل في الديانات الفيدية، فيما لا توجد هذه الظاهرة في الديانات الفولكلورية والفلسفية في الشرق الأقصى.

وقد طرح القرآن الكريم ظاهرة احتكار الخلاص بوصفها مرضًا خطيراً من الأمراض التي وقع فيها أتباع الديانات، وذلك في آيات أربعة:

وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، بل ملة إبراهيم حنيفاً (البقرة 82)

ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم (البقرة 88)

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (البقرة 113)

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أماناتهم (البقرة 111)

وقد ذهب القرآن في الآية الأخيرة خاصة إلى التأكيد بصورة أكثر وضوحاً، فبعد أن قال إن احتكار الخلاص هو أماناتهم، عاد فقال:

ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فائزئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً (النساء 123)

ولست أدرى كيف تمكن العقل الظاهري من اغتيال دلالة هذه النصوص كلها، وفرض تأويلها أو نسخها بأيات الجهاد وأيات الجزية، مع أن النصوص محتملة ومترقبة ولا تستعصي على التأويل.

وقد ظهر احتكار الخلاص أيضاً في مرويات السنة بشكل أكثر تفصيلاً، ونسب إلى الرسول الكريم قوله: والذين نفسي- بيده لا يسمع بي أحد يهودي أو نصرياني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار، وفي البخاري أن الله يقول يا آدم أخرج بعث النار فقال يا رب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وباإمكانك أن تتصور جيلاً ينشأ على قناعة سوداء مفادها أن 999 من كل

ألف إنسان يستحقون النار، ولا يجوز محبتهم ولا الرفق بهم، ويتعين بغضهم في الله وتطبيق الأحكام الشرعية عليهم في الجهاد والجزية!!!

ولا يشفع لهذه الفكرة الخطيرة أننا نحيل إلى الغيب، فالحساب عند الله قائم على أساس صحة العقيدة، ومعنى ذلك أن الرب سينكل بال مختلف اعتقادا وسيذيقه ألوان السعير، وستفرض هذه النتيجة تلقائياً سؤالاً بدهياً: إذا كان الرب الذي هو الرحمة والمحبة لن يرحم هذا المشرك أو الملحد أو المخالف في الاعتقاد فلماذا تريدين أن أرحمهم !!

ومن جانب آخر فإن احتكار الخلاص كان أخطر أمراض الشعوب، وقد تصدر له أبرز فلاسفة عصر الأنوار، وفي كتاب فولتير رسالة في التسامح شرح عميق لأثر ثقافة احتكار الخلاص على تمزق المجتمع الأوروبي والحروب الدينية المدمرة، ويمكن القول إنه ما من فيلسوف من فلاسفة عصر الأنوار إلا أفرد بحثاً خاصاً في مواجهة احتكار الخلاص واحتقار الله واحتقار الدين واحتقار الحقيقة، ولو لا تفكير هذه الفكرة المدمرة لما أمكن قيام أي دولة إنسانية حقيقية.

هل وجدت تأثيراً لفكرة إخاء الأديان في بناء إخاء إنساني حقيقي؟

يجب الاعتراف مسبقاً أن إخاء الأديان ليس موجوداً في الواقع الحالي، على الأقل في الأديان الإبراهيمية، فهذه الأديان تعتمد على فكرة احتكار الخلاص، وهي فكرة هدامة للأخوة والمحبة والترابط.

وخلال التاريخ فإن الصراعات بين الأديان الثلاثة لم تتوقف واتخذت شكل الحرب العالمية في الحروب الصليبية، وكذلك في حملات الفتوح، وإلى حد ما كان الاستعمار يعتمد على التناقض الديني.

بالطبع لن ننكر لجهود فقهاء التسامح في الأديان كلها وكذلك الخلفاء النوادر الذي أظهروا تسامحاً غير معتاد مع الأديان الأخرى، ولكن لا يمكن لذلك كله أن يخفى حقيقة الكراهية والبغض في الله والتمييز الإنساني بين أتباع الأديان والذي يختبئ عادة في أثواب الكهنة، ولكنه سرعان ما ينطلق لدى أول فرصة تتيحها السياسة وكانت الحروب الصليبية تنطلق من الفاتيكان، وتشترك فيها الملوك والأباطرة، ولا

يمكن أن نتجاهل أيضاً أن حروب الجهاد كانت تنطلق من المساجد ويشارك فيها الخلفاء والأمراء.

إن قناعتي أن الأديان تحمل في نصوصها الأولى قيم التسامح والرحمة، وخاصة في الإسلام، وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتاب إخاء الأديان، وهذا ما يجب البناء عليه، وهو ما أفردت له فصلاً مطولاً زاخراً بالأدلة والأمثلة في كتابي إخاء الأديان، ويجب كذلك الاعتراف بأن نصوص القسوة والبغض في الله أيضاً لها أسانيدها وأصولها الولية في مصادر الأديان.

ومن جانب آخر فإن رسالة إخاء الأديان تعمل في اتجاهين: دعم الإيجابي من ثقافة الإخاء بين الأديان وإحياء رموزه وأبطاله، ومواجهة السلبي في الكراهية وتعريه رموزه وأيقوناته التي لا تزال تنشر في الأرض الكراهية

***- من القضايا التي دعوت إليها، ضرورة النظر إلى قضية الحجاب، ليس قضية دينية، ولا قضية سياسية، بل هو مسألة شخصية بين المرأة وربها، وليس مسألة تتولى الدولة أو المجتمع فرضها؟**

الحجاب أدب إسلامي كريم، ليس ارتداؤه ركناً في الدين ولا تركه كبيرة من الكبائر، ولم يذكر أحد من الفقهاء الذين صنفوا أركان الإسلام أمر الحجاب فيها، ولم يذكر أي من الذين صنفوا الكبائر أن ترك الحجاب واحد منها.

لقد صنفت في ذلك كتابي المرأة بين الشريعة والحياة، 2001م وتحدثت فيه عن مكانة الحجاب ومنزلته كأدب كريم، وكذلك عن حق المرأة في العمل والإدارة، وكذلك حقها في القضاء وفي المناصب العليا وفي إماماة الصلاة،



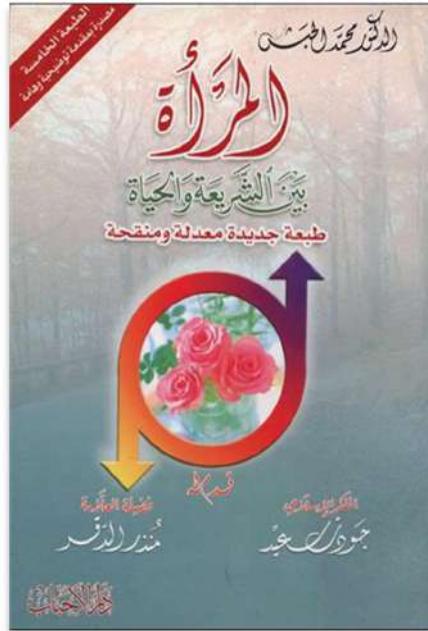
أثار الكتاب صدمة في المدارس الدينية المحافظة، واعتبر خروجاً على الثواب، وواجهت في ذلك هجوماً عنيفاً وصدرت بيانات حكومية ظالمة تلية على المنابر بأمر وزارة الأوقاف السورية قبل عشرين عاماً.

كلن ذلك خياراً قاسياً، وقد كان ذلك متوقعاً، وأنا آسف، أنني نقلت الحوار إلى تجربتي الخاصة، وربما يجب التأكيد أن الناس تتسامح في قضايا خلافية كثيرة حتى إذا اتصل الأمر بثياب النساء فإن الحوار يتحول إلى ساحة اتهام وانتقام لا ترحم.

ولعل أوضح صور الانتقام الذكوري من فتاوى المرأة ما واجهه الفقيه الكبير الإمام الطبرى، حيث تحدث بصراحة عن حق المرأة في كل منصب، ومن ذلك القضاء كله، وحقها في إماماة الصلاة إذا كانت أفقهه من الرجال، وحقها في الإمامة الكبرى وحكم الدولة، وقد كانت هذه الفتوى مادة جيدة لخصومه الحنابلة الذين ذهبا إلى تكفيره وإعلان زندقتة، على الرغم من أنه أشهر المفسرين وأكبر المؤرخين، وسلط عليه غلاة الحشوية من الحنابلة ورموا داره بالحجارة حتى كادت تنغم!! حتى تفرغت الشرطة لحماية الدار التي بقي حبيساً فيها إلى موته، وحين مات فإن الغلاة لم يأذنوا للناس بالصلاحة عليه ولا دفنه في مقابر المسلمين فدفن في بيته .

وبالتأكيد فإني أرفض كل محاولات إجبار المرأة على لباس مختار سواء كان ذلك بسلطان الدولة أم بسلطان الفقيه، وأعتبر ذلك حقاً ومسؤولية للمرأة دون سواها،

وأن ما ورد في القرآن الكريم من ذلك هو أمر استحباب وإرشاد واستحسان وهو كثير في القرآن الكريم.



وأمر الاستحباب كثير في القرآن الكريم، فالقرآن مثلاً يأمر بضرب المرأة الناشر، بصيغة واضريوهن، ويأمر بالصيد بقوله فإذا حلتكم فاصطادوا، ولكن لم يقل أي فقيه بأن الضرب الذي ورد بفعل الأمر هو واجب ملزم، ولم يقل أحد بأن الصيد فريضة في الحج، والأمر في القرآن يدور بين الوجوب والاستحباب والإباحة على كلام فصله الأصوليون، ومن الواضح أن الأمر هنا معمل بشكل واضح: (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وهو ما يجعل الأمر أمر استحباب تقدره المرأة وحدها في ظروفها وحاجاتها.

إنه من المحزن أن قضية حجاب المرأة تم التعامل معها بمعزل عن أي قيمة إنسانية، وذهب الفقهاء الذين فرضوا الخمار على المرأة إلى اعتبار عورة الرجل السوأتين! وكذلك أفتوا بأن عورة الأمة السوأتان، وهي الأنثى المجردة من حريتها وقد تكون غاية في الفتنة والجمال، بل حرموا عليها الحجاب! وكذلك فقد أباحوا للمرأة أن تجلس مع أرحامها وقرابتها من الرضاع مكشوفة الصدر والظهر بادية الثدي، ومنهم من أجاز لها ذلك مع العبيد أيضاً، وهذا كله مما تستقبه العقول

السليمة حتى لو لم ينزل وحي ولا كتاب، وبات من العادي جداً أن تجد من يقبل ذلك كله على ما فيه من تهاون ولكنه يصر على ارتداء المرأة الخمار.

إنه أمر محزن أن نشاهد نتيجة سياسات القمع الثيابي التي مارستها إيران وتمارسهااليوم طالبان وما عادت به من نتائج كارثية على المجتمعات المنقمعة، وأقسى- منه ما تشهده اليوم المناطق التي وقعت تحت حكم التشدد الإسلامي في إدلب وشمال حلب حيث تقام الحفلات على منصات المدارس والجامعات بأشباح سوداء لا يظهر منها ظفر ولا عين، ثم تتحدث ملثمات منهن عن تكريم المرأة وحريتها وحقوقها!!

إنني أشعر بالحرج إننا مطالبون ببيان الرأي في ثياب المرأة، وتفصيل القول في ذلك، مع أنه من وجهة نظري لون من تدخل المرأة فيما لا يعنيه فليس في القرآن نص يأمر الرجال بضبط أزياء النساء، بل فيه توجيه أخلاقي للنساء للتزام العفاف وألا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، حيث يكون العفاف الاجتماعي مسؤولية الجميع، ويقوم به الرجال والنساء على السواء.

*- كتاب "إقبال: فيلسوف التجديد الإسلامي" هو استكشاف شامل، تناولتم فيه أفكار إقبال وفلسفته من خلال ثلاثة محاور رئيسية شرحتم فيها رسالة إقبال التجددية، المتتجذرة في إيمانه بحاجة المسلمين إلى إعادة الاتصال بتراثهم الروحي وإحياء تقاليدهم الثقافية والفكرية. كيف يرى محمد إقبال دور الإسلام في العصر- الحديث؟

تجربتي مع إقبال غنية وقديمة فهي الكلمات الأولى التي جرت على أسننتنا حين كنا أطفالاً، ووجدت نفسي راوية متخصصاً بشعر إقبال، خاصة لما كان بترجمة صديق مقعد الدراسة الشاعر زهير ظاظاً، وقد توثقت صلتي بالمشروع الإقبالي حين زارنا في دمشق جاويد بن إقبال، ونشأت بيننا مودة خاصة، ثم سعدت بزيارة ضريح لإقبال في لاهور مرتين، وأقمت في مكتبة عبد الجبار شاكر الضخمة في لاهور التي خصصها بالكامل لما كتبه إقبال أو ما صدر عنه من أعمال علمية وأدبية وفكرية.

إقبال رسالة نبيلة عابرة للقارات وهو أكثر شعراء العالم الإسلامي تأثيراً في ضمير المسلم، وقد اختارت الحركات الإسلامية كافة إقبال كشاعر الإسلام الأشهر، ولا

تزال قصائده خاصة تلك التي ترجمها الصاوي شعلان صارت نشيد شباب الصحوة الإسلامية وحدهم وغناء أرواحهم.

ولكن رجال الصحوة لم يدرسوا إقبال إنهم فقط قرؤوا أغانيه، وشغفه بالحضارة الإسلامية والوحدة الإسلامية، ولكن إقبال من وجهة نظرى هو أهم أعمال التجديد الديني في القرن العشرين، وكتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام يعتبر خطوة ثورية متقدمة في الوعي بحاجات المسلمين ومطالب تقدمهم. وربما لو أتيح لكثير من القساة التكفيريين أن يطلعوا على ما كتبه إقبال فيه لواجهوه باتهامات الهرطقة والزندقة كما يصنعون مع كل أصحاب الأقلام الحرة والأصوات الجريئة، ولكن يبدو أن قاعدة يحق للشاعر ما لا يحق لسواه ليست شائناً لغويًّا بل هي شأن اجتماعي أيضاً ويغفر للشاعر ما لا يغفر لسواه.

إقبال الذي كان يعيش صخب التلاطم العنيف في القارة الهندية، وطرح حلم المسلمين في القارة الهندية بوطن مستقل وحر، ولكنه لم يكن يعيش حلمًا طالبانياً، ولم يكتب أبداً في استنساخ نظم الدول الإسلامية الآفلة، لقد تحدث عن دولة حديثة ملهمة، لا سلطان فيها للكهنة الذين خصهم بقصائد كثيرة تشير إلى دورهم السلبي في تعطيل كل قيام وإجهاض كل صحوة.

إقبال عبر بوضوح عن أتعابه بالحركة البابية والبهائية كحركة إصلاحية في الجسم الشيعي، وعبر عن إتعابه بكمال أتاتورك كحركة إصلاحية رائدة في الجسم السني، وكتب بإعجاب عن تجربة أتاتورك وتمنى لكل بلد في الإسلام زعيماً كأتاتورك. وفيه يقول: إن تركيا، في الحق، هي الأمة الإسلامية الوحيدة التي نفضت عن نفسها سبات العقائد الجامدة، واستيقظت من الرقاد الفكري، وهي وحدها التي نادت بحقها في الحرية العقلية، وهي وحدها التي انتقلت من العالم المثالي إلى العالم الواقعي، تلك النقلة التي تستتبع كفاحاً مريضاً في ميدان العقل والأخلاق.

ترفع إقبال عن التقليد الأعمى للغرب، وكان مصراً على التفوق الشرقي الساحر للروح على المجتمعات المادية الصاخبة بالسكك الحديدية والكهرباء ودخان المصانع، ولكن ذلك لا يعني أنه كان راضياً عن همود الأمة وسباتها، ولم يكن ليسلمها إلى سبات ساذج ... لقد أعلن مشواره الإصلاحي في داخل البيت الشرقي الإسلامي، وهناك قرر إقبال أن يقول الحقيقة الكاملة، وأن يواجه بشجاعة وقوة ثقافة الإرث المعصوم الذي يوجب على السلف اتباع الخلف، ويأمر بالوقوف على

ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وقفوا وأن كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف، وهناك اختار إقبال أن يقول الحقيقة كاملة بلغة النثر لا بلغة الشعر، ليكون أكثر دقة ووضوحاً.

ومن مواقفه الرائعة في كتاب التجديد الديني في الإسلام نظمت أكثر من ثلاثة
بيت من الشعر تحكي رسالة إقبال في الوعي بالقديم والنهضة بالجديد، وأختار منها
حواريته الجميلة التي اشتكت فيها للرسول همود مكة ونهضة الإفرنج، فقال ثائراً
يخاطب الرسول:

غيرة أشواق وأذواق نور فجرت أنغامها فوق السطور

النبوات التي كانت لكم
أشرقت شوقاً على أسماعكم

رغم ما يشهده العالم هذا
ولم____ اذا ولم اذا ولماذا؟

فالماء اذا ختمت اسرارها
ولم اذا طویت أنوارها

فكان جواب الرسول الكريم في مواجهته حيرته وثورته:

خدمة للعقل أنهيت النبوة
فخذوا أقداركم عن بقوّة

جث تسكن في جوف المقاابر
واصعدوا أنتم على تلك المقاابر

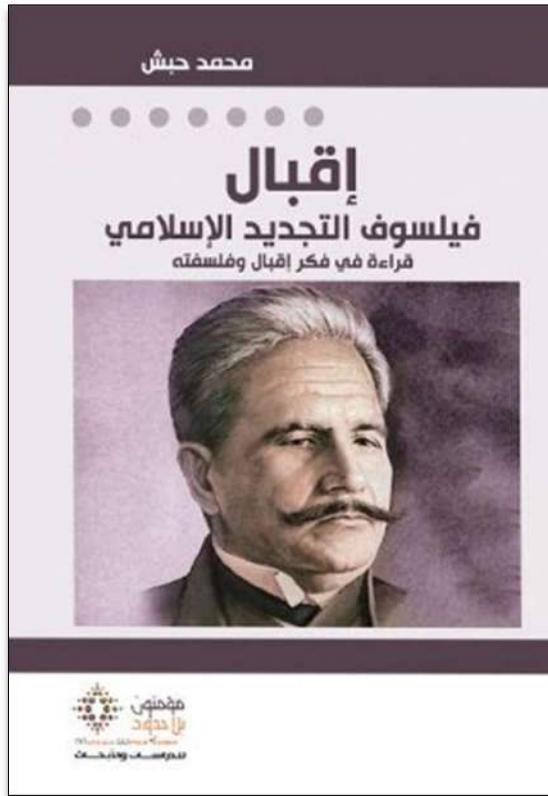
مجدكم في الأرض لا ترسّمه
فخذلوا أقداركم وانتبهوا

إِنْ مَصْبَحَيِ الَّذِي أَوْقَدْتَهُ
إِنْمَا زَيْتَكَ مِنْ يَسْرَجَهُ

ما البديل الذي قدمته فلسفتة في مواجهة تحديات العالم الإسلامي؟ وما دور الفكر الفلسفي في عملية التجديد الديني؟

ولكن أعظم ما نادى به إقبال هو ثورته باتجاه الوعي بالرسالة الخاتمة، فقد قدم للعالم رسول الله بوصفه خاتم الأنبياء، وأنه الرجل الذي أخرج الناس من ضباب الخوارق إلى ضياء السنن، ورأى في قدمه نهاية عالم الغيب وبداية عالم الشهادة،

ولقد قدمت في كتابي قراءة دقيقة لموقفه الفريد في اعتبار ختم النبوة في مبعث الرسول وليس في يوم رحيله. حيث أعلن إقبال أن الرسول مستمر في عقول أتباعه، ورأى أن سلوكه الديمقراطي في التشريع والإدارة كان في الواقع إعلاناً وافياً بختم النبوة، وتأكيداً لولادة العقل الاستدلالي.



لقد أنكر بقوة فكرة الوقوف عند لحظة اليومن أكملت لكم دينكم، وطالب بوعي جديد، ورفض تحول النبوة إلى ورقة نعي للعقل، يوجب الاستسلام للتأنويل النصي، والوقوف على ما وقف عليه السلف، وأعلن يوم ختم النبوة أعظم أيام العقل مجدًا في تاريخ الإنسانية.

لقد رأه نبياً لا كائنياً، وإذا كانت معجزاتهم في عجائبهم فإن إعجازه كان في إنجازه، وهو نبي العقل ورسول المنطق، وتاريخه تاريخ كفاح بشري بامتياز فيه نصر وفيه انكسار، وفيه نجاح وفيه إخفاق، وأنه بذلك يصلح قدوة للعالمين في بناء دولة حديثة لا تعتمد على خوارق السماء بل على سنن الأرض.

وإلى جانب وعيه بالنبوة الخاتمة بوصفها إنتهاء للشّرائع التي تقود الأرض بوعي السماء، وإنتهاء للحضارات العاجزة المرتبكة التي تنتظر من السماء أن ترشدتها في

بناء حضارتها، فإنه ذهب إلى خيار استثنائي في رفض الإيمان بالقدر، وإنكار أن يكون ركناً في الدين، وأعاده إلى مكانه كفكرة فلسفية، ونص بوضوح أنه لا يؤمن بالقدر بوصفه جبراً مكتوباً على ابن آدم.

ويبدو إقبال مدهشاً في موقفه من القدر، الذي بات يُدرس على أنه سادس أركان الإسلام، ومع أن إقبال لا يناقشه لاهوتياً، لكنه لا يترك شيئاً للاهوت!! بعد أن حطم كل تلك الأيقونات التي كانت ترسف على ضمير المسلم، وتحيله إلى شيء خاً تعصف به رياح الأقدار، وتتصرف به الأمم الغالبة كما تتصرف بأشيائها، ويقدم في الوعي بالقدر سلسلة مواقف جريئة لا يمكن للعقل السلفي تقبّلها بأي سبيل، ولكنه لا ينفك عن ربط رؤيته لحرية الإنسان وكرامته بنصوص الوحي المبين، وجواهر القرآن الكريم في دعوته للحرية والكرامة، ويعجب إقبال كيف غابت هذه الحقائق عن العقل المسلم.

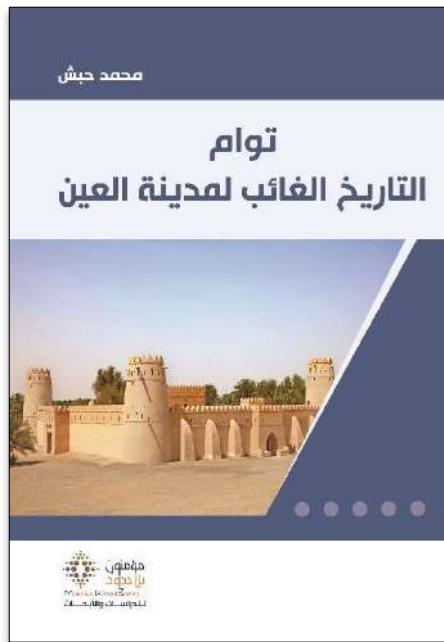
لقد مضى- قرن من الزمان سكن فيه إقبال في القلوب عزيمة في الأفئدة وأغنية على الشفاه ولوحة في محاجج العيون ترسم ما هو جميل ورهيب. وكأني به يدنو من التأثير الشامخ بخطاب الحرية والكرامة والتضحيّة، يدعوك أن تكون سيد قدرك، وأن تقرأ كتاب التاريخ كما كتبوه، وكتاب المستقبل كما تخطّه بيّنك وترسمه بريشتوك وتصنّعه بساعديك:

بيد قل لي أين منها ثورتك	ثوري البيضاء في أرض الحجاز
بيد قل لي أينه مستقبلك	أنا ماضيك الذي تذخره

*- شهدت أرض الإمارات العربية التسامح والانفتاح مع الواقع منذ تاريخ قديم، وقد عبّرتم عن هذا في مفتاح كتابكم "توم التاريخ الغائب"، كيف أثرى دخول الإسلام قيمة التسامح في هذه المدينة؟

دخلت الإمارات عام 2012 وحصلتُ فرصة عمل في جامعة أبوظبي وبدأت تدريس المساقات الإسلامية في كلية الآداب وكلية القانون، وكان كثير من محاضراتي في فرع

الجامعة في العين، حيث قمت بالتدريس فيه نحو سنتين، الأمر الذي منحني وصالاً وقرباً بهذه الأرض الطيبة، ورأيت من الوفاء أن أتحدث عن تاريخ الإمارات بشكل خاص في مرحلة دخول الإسلام التي بدأت تحديداً من مدينة العين.



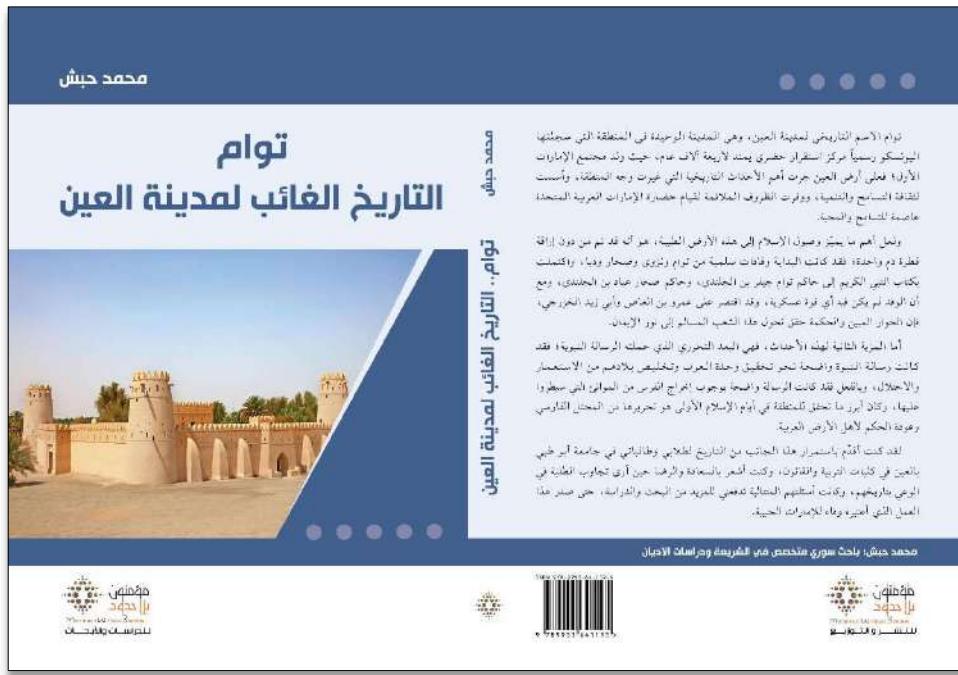
لقد حاولت أن أقدم سردية ممتعة لأيام التحول الأولى للإسلام، ومن الرائع أن التحول كان سلماً بالكامل، وقد تم على يد اثنين من الصحابة عمرو بن العاص، وأبو زيد الخزرجي، وتضمن الكتاب سردية ممتعة لحوارات عمرو بن العاص وجيفير وعباد ابني الجلندي، ومن المدهش أن الرسول كان يرسل إلى الملوك كتاباً واحداً، في حين أكد سائر المؤرخين وكتاب السير أنه أرسل إلى عمان كتابين اثنين إلى ملكي عمان، مما يؤكد وجود حاضرتين اثنتين في تلك الفترة من التاريخ.

وتشير الدراسة بوضوح إلى ظاهرة الانتشار السلمي للإسلام في توام، ومنها إلى كل مناطق أرض الإمارات، ويوضح كيف انعكس ذلك على الواقع السياسي والمجتمعي في القرون التالية، وفي حين اتخذت عمان موقفاً إباضياً معارضًا لخلافة علي وكذلك لخلافة الأموية والعباسية، فإن أهل الإمارات اختاروا سياسياً سليماً وكانوا باستمرار

على وفاق مع الخلفاء بل إن قبائل الإمارات شاركت بفعالية في الحضارة الإسلامية وخاصة في دولة المهلب بن أبي صفرة وذرته التي استمرت قرناً ونصف حكمت بلاد فارس وطرفاً من العراق.

كذلك فإن الكشف الأثري أكدت وجود كنديسين تاريخيين على الأقل يعودان للعصر الإسلامي الأول وهما كنيسة صيربني ياس، وكنيسة ساحل أم القيوين، وهذا يكشف عن روح من التسامح تحلى بها حكام المنطقة بعد دخولهم إلى الإسلام.

وتتعين الإشارة هنا إلى الجيوش التي قدمت إلى المنطقة في سياق حروب الردة، فقد وقع قتال بالفعل على تخوم الفجيرة في بلدة دبا التي سيطر عليها خصم سياسي لجيفر، هو لقيط بن مالك، وهو أمر مؤسف بكل تأكيد، وشخصياً لا أبرر حروب الردة، وأميل إلى رأي عمر بن الخطاب الذي عارض الحرب طيلة عصر أبي بكر، وأوقفها تماماً في الأسبوع الأول لحكمه، ولكن تجب الإشارة إلى أن هذا الجيش كان ملائكاً بطرد الفرس من المنطقة وبالفعل فقد خاض حرباً ضاربة ضد الفرس الذين كانوا يتجمعون في دستجرد قرب صحار، وبالفعل خرج الفرس من شرق الجزيرة العربية، وكان تحرير المنطقة من الاستعمار أحد النتائج الأساسية لدخول الإسلام إلى أرض الإمارات.



وما تجليات التسامح والتعايش اليوم في دولة الإمارات؟ وما دوره في تحقيق الهوية الوطنية؟

في الواقع فإن روح التسامح أصلية في الإمارات، وهو توجه رسمي للدولة الإماراتية، وهي تحتاج باستمرار لبرامج في التسامح حيث تعتبر الإمارات وفق تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة 2019 أكثر بلد مضياف في العالم، ففي حين تتراوح نسبة المهاجرين إلى المواطنين على مستوى العالم 4% فإنها ترتفع في الخليج عموماً إلى 61% ولكنها تبلغ في الإمارات تحديداً 89% وهو أعلى رقم في العالم لاستضافة مهاجرين ومقيمين وافدين، وهذا الرقم يفرض تحديات أساسية على بلد يريد العيش بنجاح وسلام، ويستضيف وافدين من 200 جنسية حول العالم، يختلفون في أديانهم وألوانهم وثقافاتهم وأعراقهم.

لقد طرحت الإمارات بآفاق فريدة من التسامح في العالم، حيث تستضيف أكثر من 84 كنيسة ومعبدًا لغير المسلمين، كما أقامت صرح العائلة الإبراهيمية التي يتجاوز

فيها مسجد وكنيسة وكنيس، كما أصدرت قانوناً خاصاً يعاقب على ازدراء الأديان، كما استضافت أول قداس لبابا الفاتيكان في البلاد الإسلامية بحضور أكثر من مائة ألف مشارك، كما أنها الدولة الإسلامية الأولى التي تستضيف معبد هندوسيّاً وبوديّاً وسيخياً وبهائياً، وتسهر على رعاية هذه المشاريع وزارة متخصصة منحت اسم وزارة التسامح، ومنحت صلاحيات استثنائية، وهي تعقد مؤتمرات قمة التسامح وقد أطلقت المعهد العالي لدراسات التسامح، كما أنها تقوم بضخ مبادرات التسامح في سائر الجهات الحكومية والشعبية والأهلية في الدولة.

لقد توضحت الهوية الوطنية للإمارات في عنوانين رئيسيين الإسلام والعروبة، وينص النشيد الوطني على عبارة شعبية محببة: عشت لشعب دينه الإسلام هديه القرآن ، حصنتك باسم الله يا وطن.

إنني أعيش في الإمارات وأعمل كأخصائي أول في التسامح والهوية والوطنية، وقد أطلقت على الصعيد الشخصي- مركزاً خاصاً لدراسات التسامح والإخاء الإنساني، وأشعر أن البيئة حاضنة بشكل مثالي لجهود التسامح والتراحم وإعداد المختلف وتقديم نموذج متقدم عن روح التسامح والمحبة في الإسلام.

وفي سياق حماية الهوية الوطنية فقد حصلت على ترخيص تطوعي لتأسيس فريق حماية اللغة العربية، وهو فريق حيوي يشارك فيه الآن 350 متطوعاً يعملون لحماية الهوية الوطنية واللغة العربية في الإمارات، ذلك أن الانفتاح والتسامح لا يجوز أن يكون على حساب الهوية الوطنية، وينبغي أن يعمل المخلصون على حماية الهوية الوطنية للبلاد حيث هي مسؤولية مشتركة بين الدولة وبين كل من يقيم على هذه الأرض الطيبة.

وفي ترسیخ ثقافة التسامح في الإمارات أود الإشارة إلى أمر ذي دلالة، فقد كتبت دراسة خاصة حول مصطلح "العدو" عدو الوطن وعدو الشعب وعدو الأمة وعدو

الثورة، هذا المصطلح الذي تلقيناه في الدول الثورية مع حليب أمهاتنا، وتعاقبت المدارس والمساجد ، والكنائس ، والحكومات ، والأمهات والآباء على التحذير منه، منه حتى باتت قناعة العربي في الدول الثورية أن العالم كله يتآمر عليه، ففي بلادي مثلاً تبدأ فكرة العدو من إسرائيل بوصفها كياناً غاصباً، ثم تتبعها أمريكا بوصفها داعماً لإسرائيل، ثم أوروبا بوصفها تابعة للأمريكيين، ثم الدول العربية بوصفها متخاذلة عن نصرة الحق العربي، ثم يبدأ اكتشاف الأعداء في الداخل، فيتم تخوين المختلف حزبياً ودينياً وسياسياً وحتى اقتصادياً، واعتبارهم جميعاً خونة متآمرين، وتصدر لواحة الترصد والاعتقال، وسيشعر المرء بأن أعداء الوطن يحيطون بالوطن من شعبه الأربع وأنهم في الداخل أكثر منهم في الخارج، وإذا كانت لديك عشر رصاصات، فاضرب تسعة منها في رؤوس مواطنيك من الخونة ورصاصة واحدة للعدو. !!!

هذه الثقافة التي تبدو طبيعية وعادية في التعليم المدرسي والجامعي والحزبي والإعلام الحكومي والشعبي في البلاد العربية الثورية، غير موجودة على الإطلاق في الإمارات، وخلال ثلاثة عشر عاماً مرت بي في هذا الوطن السعيد لم أسمع من أي مسؤول حكومي كلمة "أعداء الإمارات" أو "أعداء الوطن" ولا يعيش الإماراتي هذا الجو المشحون بالكراهية لأي سبب، وهكذا تعيش الإمارات كمتحف للتعدد الديني والقومي والعرقي، ولكن الناس لا تعيش عقدة المؤامرة ولا يستعملون مصطلح العدو، ويعملون في سياق تعاون بناء يتجاوز العرق واللغة والدين ، وقد منحهم هذا الموقف المتسامح صداقة شعوب الأرض، ويمكن للإماراتي أن يدخل 181 بلدًا في العالم بدون فيزا، وهو أقوى جواز سفر في العالم، ولا شك أن ذلك نتيجة طبيعة لرؤية التسامح والتكامل مع شعوب العالم.

نستطيع اليوم أن نقول بلا تحفظ إن هناك دولاً إسلامية باتت رائدة في ثقافة التسامح والتعاون الدولي ولا شك أن الإمارات هي أبرز تلك الدول.

*- جاء كتابكم الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود معنواناً بـ "توم التاريخ الغائب"، ما سبب هذا التوصيف؟ التاريخ الغائب؟ هل غائب أم مغيب؟ ولماذا؟

على الرغم من العناية بمدينة العين، ولكنني فوجئت بإهمال شديد لحقبة أساسية من تاريخها حيث يتحدث الأرشيف الوطني في الإمارات عن العصرـ الحجري والنحاسي والحديدي الأول والحديدي المتأخر، ولكن الأرشيف يقفز فوراً من العصر الحديدي المتأخر حوالي 300 ق.م مباشرة إلى العصر البرتغالي عام 1507 ميلادية.

لقد آلمني غياب فترة تاريخية مهمة لمدينة العين، ولم أجد فيها كتابات وافية، الأمر الذي دفعني إلى البحث عن المدينة الغائبة في التاريخ، وبالفعل فإنك لن تجد شيئاً باسم العين، ولكن عليك أن تبحث عن الأسماء التاريخية التي أطلقت على المنطقة وبالفعل فإن الاسم الذي عرفت به خلال التاريخ الإسلامي هو توم، وقد أدهشني حجم المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة ووُجدت ثلاثة عشر مصدراً من الكتب الأمهات في التاريخ والسيرة تتحدث عن توم وكلها في القرون الهجرية الأولى.

وتوم كما يعرفها ياقوت الرومي الحاضرة الثانية في عمان، وهي حاضرة الجوف (الأحواف) وصحرار حاضرة (الأسياف) البحر، وقد ربطتها بقريش رابطة الهجرة القديمة حيث هاجر إليها سامة بن لؤي، وهو عم جد النبي قصيـ بن كلاب، وقد وصل سامة مع عشيرته الكبيرة إلى توم وأقام فيها، وكان علينا في الدراسة أن نبحث عن الأخبار الباقية لهذه الأسرة الكريمة، ودورها في تحول توم إلى الإسلام وكذلك

في جهود بناء الحضارة الإسلامية الآتية الأمر الذي أشار إليه العلامة ابن خلدون في إشارة مهمة وهي أن الدولة السامانية التي حكمت وسط آسيا من بخارى طيلة القرن العاشر الميلادي هي من بني سامة بن لؤي في توام.

لقد قامت حكومة الإمارات بعمل جيد حيث أطلقت الاسم التاريخي للعين على عدد من المنشآت الحيوية في العين حيث دوار توام ومشفى توام ومدرسة توام، وهي تحفيز جيد للعمل على إحياء هذه الفترة المهمة من تاريخ العين.

نعم إن غياب التاريخ المدون لتوام أمر محير، حيث يتم الاعتماد كلياً على المصادر الروائية للتاريخ العماني، وهي بحاجة إلى ظهير محلي، وعلى كل حال فإن عملنا هو الإسهام في الكشف عن هذه الحقبة التاريخية ولا شك أن آخرين يعملون على ذلك، وقد نجحت في توثيق حضور توام التاريخي في ثلاثة عشر مصدراً من الكتب الأصول في التاريخ الإسلامي، ونتمنى من الأرشيف الوطني أن يهتم بهذه الدراسة التي تؤرخ لفصل بالغ الأهمية في تاريخ المنطقة.

*- يعد مفهوم التسامح في الثقافة العربية جانباً حاسماً من جوانب التوازن الاجتماعي وخلق بيئة ثقافية متنوعة، كما أنه شرط ضروري للدولة الحديثة والمواطنة وسيادة القانون ومبادئ التسامح والتعددية. تعتبر دراسة التسامح في الثقافة العربية أمراً بالغ الأهمية لفهم التحديات التي تواجه المجتمعات العربية اليوم، ما العلاقة بين الدولة والمواطنة، ومن ثم مبادئ الحرية والعدالة وسيادة القانون؟

لا شك أن التسامح هو جوهر الدولة الحديثة، ومنذ معاهدة وستفاليا 1648 م تغير العالم، وتوقفت الأفكار القديمة التي كانت تنص أن الناس على دين ملوكها، وتم الإعلان عن حق الإنسان في الحرية والتدين واللادين.

ولكن قيام تسامح حقيقي يفرض على قادة الفكر الإسلامي أن يقوموا بجهود جبارة لتصحيح ما استقر في الذهنية الشعبية من تكريس للدولة الشيولوجية وما تنتجه من تعصب وترمت وسحق لحقوق الإنسان.

في الواقع الإسلامي يجب الاعتراف بأن كتب الفقه الإسلامي كرست حدوداً قاسية ضد المختلف في الدين، حيث فرض الفقهاء حد الردة، الذي يتم فيه قتل من ترك العقيدة الإسلامية، كما فرضوا أحكام الجهاد والجزية في حق المخالفين من الأديان الأخرى، فيما اختار الشافعية والحنابلة موقفاً أشد تعقيداً حيث أمروا بقتل كل إنسان لا يقبل الإسلام، وقصروا الجزية فقط على أهل الكتاب من غير العرب، فلا يقبل من العربي إلا الإسلام أو السيف! ولا يقبل من غير الكتابي إلا الإسلام أو السيف.

وفي موقف أشد غرابة واستهجاناً فإن كتب الفقه لا تزال تنص بوضوح على قتل تارك الصلاة، أو منكر ما علم من الدين بالضرورة، وفي العام الماضي خضت جدلاً كبيراً مع أهم واعظ سوري في هذه الأيام وأكثراهم انتشاراً على يوتوب حيث أفرد شريطاً خاصاً تحدث فيه بوضوح وصراحة عن واجب الدولة في قتل كل تارك للصلوة!! سواء كان تركها جحوداً أو حتى كسلاً!! وحين واجهت هذه الفتوى فإنهم قدفوني بأكثر من مائة عنوان لكتب فقهية شهيرة تنص على ذلك بدون تحفظ في كتب المذاهب الأربعة!!

وكذلك فإن الحدود الآمرة بالرجم والقطع والصلب والجلد لا تزال في كتب الفقه التعليمية كما كانت في العصور الوسطى، ولم يطرأ عليها تطور حقوق يتناسب مع لغة العصر وروح الإسلام.

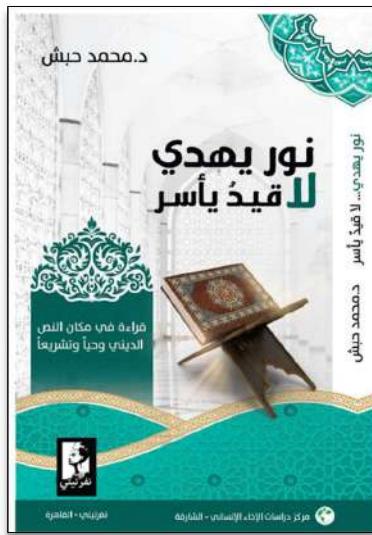
إن هذه الحقائق المرعبة لا زالت في كتب الفقه الإسلامي ويتم تدريسها بشكل آلي دون الانتباه إلى نتائجها المدمرة على المجتمع الإسلامي نفسه قبل المجتمعات الأخرى.

وحتى لا نتهم بالمبالغة فإن أول ما يدرسه طلبة المدارس الدينية الشافعية والحنبلية اليوم هو كتاب الأربعين النووية الذي يفتح بحديث: أمرت أن أقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوها عصموها مني دماءهم.

ومن المدهش أن الدول الإسلامية قاطبة تركت من الناحية العملية تطبيق شيء من ذلك، بل إن 54 دولة إسلامية من أصل 57 غيرت قوانينها بوضوح بمشاركة عدد من كبار فقهاء الشريعة وعلمائها، ولم يعد فيها حد الردة أو حكم الجزية أو وجوب الجهاد، ولكن الفقهاء شيء ورجال الدين شيء آخر، ولا تزال منابر رجال الدين تنكر هذا كله، وبدلأً من أن ترى في توجه الحكومات إلى هذا التطور الحقوقي استجابة لمقاصد الإسلام فينشر السلام والرحمة فإنهم يرون هذا كله ردة عن الإسلام، ويكرسون منصاته للهجوم على هذا التهاون في حدود الله، ويطالعون بوسائل شعبوية متعددة بوجوب ترك هذه الأحكام الوضعية والعودة إلى الفقه القديم، وإعادة الحدود كلها بما فيها قطع السارق ورجم الزاني وقتل المرتد وصلب المحارب.

وبهذه المناسبة فإني حريص على التفريق بدقة بين الفقيه وبين رجل الدين، وقد شرحت ذلك في فصل من كتابي: نور يهدي لا قيد يأسر، حيث أوضحت فيه أن الفقيه هو ذلك الحقوقي البصير الضليع في الفقه والقانون، والمطلع على قوانين الأمم، والذي تكلفه الدولة بإعداد القوانين، كما هو حال فقهاء الإسلام الكبار، الذين كتبوا قوانين الدولة الإسلامية في التاريخ، من أمثال القاضي أبي يوسف

والقاضي الماوردي والجويني وابن الخطيب والقاضي ابن رشد، وهم اليوم يؤدون الدور نفسه ويكتبون للدولة دساتيرها، ويكتبون قانون المعاملات المدنية وقانون العقوبات وقوانين الأحوال الشخصية، وهي قوانين حضارية في الغالب، تنص بوضوح على مرجعية الإسلام فيها، وهي معمول بها في كل العالم الإسلامي.



أما الفقيه فهو الوعاظ المتخصص بالرواية عن الكتاب والسنة ومسؤوليته الأخلاق والتربية والعبادات والدار الآخرة وليس تشريع القوانين، ومن غير المعقول أن يكلف الوعاظون لمجرد كفاءتهم في الخطابة والصوت الحسن وحفظهم للقرآن بكتابة القوانين التي تنظم شؤون الحياة إلا إذا طوروا أنفسهم وتحصلوا على علوم القانون من مصادرها وعرفوا قوانين الأمم والقانون الدولي.

وقد فصلت القول في هذا الأمر بالذات في كتابي الذي يصدر نهاية العام بعنوان: **فقهاء لا كهنة**.



نعم إن دساتير الدول الإسلامية وقوانينها باتت قوانين حضارية، تنافس ما هو معمول به في الدول الحضارية المتقدمة، ويعمل الجميع في إطار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولكن يجب القول أننا ما زلنا نعاني أمرين اثنين: الأول: هو رجال الدين من الوعاظين الذين يرون هذه القوانين قوانين وضعية كافرة يجب نبذها والعودة إلى الفقه القديم، والثاني وهو الأخطر والأئمّة وهو الاستبداد الذي يكتب أجود القوانين ويقوم بأسوأ الممارسات.

***- هل ترى في الدعوة إلى التسامح حلًّا لمواجهة إشكالية التأثر التاريخي، على غرار رواد النهضة مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم؟**

يجب القول إن التسامح والإخاء الإنساني ليس برنامجاً كافياً لقيام أمة، فالنهوض الحضاري يتطلب رؤية وقوانين ونظم إدارية متقدمة، ولكن التسامح جزء من بناء

الدولة السعيدة، إننا نعمل في هذا الحقل بهدف رفع القيود والآثار التي ألقاها التعصب على القيام الإسلامي، وبذلك فإن دور الإصلاح الديني برمته لا يرقى إلى مستوى بناء الدولة، ولكنه ضروري جداً لرفع العوائق التي توضع أمام برامج البناء الحقيقة.

لقد قام رواد المهمة بدور أساسي في ذلك ولا زالوا يقومون، ولكن النجاح الذي حققناه لم يبلغ شأو النجاح الذي حققه فلسفة عصر الأنوار في مواجهة التصلب الكنسي، ويبدو أننا لم نتعلم ما يكفي من التاريخ، ومن لم يتعلم من التاريخ فهو محكوم بإعادته، وهذا بالضبط ما يحصل، وعلينا أن لا نصاب بالإحباط جراء الأثر المحدود الذي حققه الإصلاح.

لم يكن لدى الأفغاني ولا محمد عبده ولا رفاعة الطهطاوي ولا علي عبد الرزق ولا طه حسين ولا قاموس أمين برنامج نهضة، لقد كانوا فقط أصواتاً تحت على القيام، وتميط الأذى عن طريق القيام، وهذه الإرادات الطيبة تحتاج لهم قعساء تتولى وضع برامج وطنية حقيقية للقيام، ترفعها قوى شعبية واجتماعية، في إطار دستوري لتحقيق النهضة المأمولة.

لقد قام الرواد بجهود جبارة لنشر الوعي في المجتمع، وانتبهت حكومات أساسية في العالم الإسلامي إلى مطالب النهضة، وشهد العق الأخير تغيرات مهمة في العالم الإسلامي وخاصة في أندونيسيا وال سعودية وتركيا، وصار من الواضح أن المطلوب هووعي مختلف للإسلام لا ينحبس في مناهج المدارس الدينية، بل ينفتح على العالم، بروح واعية بصيرة/ تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم.

إنها روح العصر وسنة الله في العالم، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

الحوار الرابع: أنفاس برس

جريدة الكترونية مغربية تعنى بالتنوير وثقافة التواصل الحضاري

النافس عبد الرحيم الرماح : أفاق الحوار الاجتماعي بال المغرب **النافس** " هلين " ... ثالث أعلم أخبار العالم باليوليات المتحدة يقتل أحد [أنفاس برس](#)

الجمعة 4 أكتوبر 2024 | ٢٠٢٤

أنفاس برس ANFASPRESS.COM

نشاط ملقي | سياسة | مجتمع | اقتصاد | خارج الحدود | فن و ثقافة | رياضة | جالية | جرائم | موضة و مشاهير | منوعات | متجر أنفاس | [أنفاس](#)

طبخ عربي

محمد حبش: سيداو.. المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية

الكاتب: أنفال بريش | الخميس 27 يوليوز 2022, 14:37 | 268485

محمد حبش رفقة بابا الفاتيكان

محمد حبش: سيداو.. المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية

النافس 3 أكتوبر 2024

لحسن العسبي: نفي الحاجة إلى التقاليف والاعلامي المواجهة "النصف الهوياني" ...

النافس 4 أكتوبر 2024

محمد عزيز الوكيبي: مرة أخرى، فرض الجزائر للتشتتها على ...

النافس 3 أكتوبر 2024

عبد الرحيم حضرى: لبنان، شرلى مالك وأنطونى جولى ...

النافس 3 أكتوبر 2024

سعد الكهل: عدم على طرقان الأقصى.. (الكتلة والمال) ...

النافس 3 أكتوبر 2024

حنين: مهرجانات سينمائية وخدمة تفتح كل المستفيدين الجازة المكرى! ...

النافس 3 أكتوبر 2024

سعید شیخ: الدين والذين وشائیة "القرب" و"القرب" ...





محمد حبش: سيداو.. كفاح المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية

جمعت أنفاس برس هذه الفقرات من مقالات متعددة للدكتور محمد حبش ونشرتها في 27 كانون ثاني 2024

إنها اليوم رسالة، وأسائل الله الإخلاص والثبات... وهو دفاع عن المرأة التي كرمها الله ولكن المجتمع المتخلف نظر إليها كفتنة لعينة، وضلع عاجز وعقل قاصر، ومنعت من السفر للعلم، ومنعت من إظهار وجهها، ومنعت من حقها في قرار الزواج والطلاق، ومنعت من حقها في العمل السياسي، ومنعت من حقها في الفن والغناء، واعتبرت زينتها وعطرها زنا وإثماً، مارس عليها الذكور أباً وزوجاً وأخاً وأبن عم الصفع والضرب للتأديب!! وومنعت من حقها في الملكية وإدارة أموالها، ومنعت حتى من نصف الميراث وأجبرت على الزواج طفلة، وأجبرت على الصبر على حياة الجحيم.... وقبل قليل كنت أواجه مشكلة منع النساء حتى من العمل التطوعي والإغاثي وكل ذلك بحجة سد الذرائع....!!

سيداو.. محاولة قام بها المجتمع الدولي منذ 1980 لمساعدة المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية وهو صلب مقاصد الإسلام..... ولكن.. تشتد الحملة هذه الأيام على سيداو بوصفها كالعادة مؤامرة صهيونية ماسونية عالمية تهدف إلى تخريب الأديان ونشر الفحشاء وتبير المثلية.

سيداو تهدف لرفع الظلم عن المرأة وتمكينها من العمل والزواج والسفر والمساواة والمشاركة السياسية ومنع استغلال النساء ومنع التمييز ضدهن، وهي تتفق بشكل جوهري مع قيم الدين الكبرى في تمكين النساء وحماية الأسرة.

وفي الواقع فإن هذا الوهم الذي يمارسه الخطاب الانفعالي ليس جديداً ولكن المؤسف هو انضمام بعض المشاهير في حقل الوعظ الديني لهذه الحملات الساخطة، وهو ما بات يفرض مناقشة هادئة واعية، ويتأكد ذلك لجملة أسباب:

أولها: الاتفاقية تم توقيعهااليوم في 54 دولة إسلامية من أصل 57، يعني كل الدول الإسلامية إلا إيران والصومال والسودان، وهناك تحفظات معروفة في 12 دولة منها، ولا شك أن هذا الهجوم الساحق على الاتفاقية يعني ضمناً تورط 95% من الدول الإسلامية في هذا المشروع الإجرامي!! وبالتالي هو دعوة للغضب والريب والشقاق الاجتماعي وتقسيم المجتمع بين ملحدين ومؤمنين، وبين دعوة الرذيلة ودعاة الفضيلة، على أساس إقرار سيداو أو رفضه، وهذه كارثة اجتماعية بكل المقاييس.

ثانيها: التيار الانفعالي المحارب بضررها لسيداو بات يرى أن كل مطلب تحرري للمرأة ينصفها ويحمي كرامتها هو مؤامرة دولية، وشهدنا لدى مشاهير الوعاظ تراجعاً كبيراً في خطاب تمكين المرأة وعوده لتمجيد خضوع المرأة لزوجها وتلذذها بضررها وسخطه وصبرها على شراسته ومزاجيته، وتنهاها عن حقوقها، كما تحول التعدد من ضرورة تأذن بها الشريعة بشروط دقيقة إلى فضيلة يجب أن يتسابق إليها المتدينون!! وكذلك فقد صار اعتراض المرأة وحريتها حتى في حدود رغباتها الجسدية تمرداً على الله تلعنها به الملائكة ويهتز له عرش الرحمن!

ومع أنني كتبت كتاباً كاملاً عن سيداو منذ 2003 وطبع عدة طبعات، ولكنني اليوم أفضل أن أناقش هذا النص الاتهامي الذي يتم الترويج له على منابر المشاهير بغضب، دون أن يدرك هؤلاء الغاضبون حجم المغالطات التي يتضمنها خطاب كهذا يقفز فوق العقل والعلم ويمارس الكذب والتلون، لمصلحة العقلية الذكورية التي لم تعد تبالي حتى بقيم القرآن نفسه في المساواة والحريات.



وحتى لا نتهم بالمبالغة فقد تم تداول هذا النص في فقراته العشر على موقع التواصل أكثر من مليون مرة!! وتداوله مشاهير الوعاظين من السنة والشيعة، ولعلها إحدى المرات القليلة التي يتفق فيها خطاب الوعاظين السنة والشيعة، وسأذكر الفقرات العشر واحدة واحدة:

1- سيداو تقول إن المرأة مثل الرجل!!!. القرآن يقول: "وليس الذكر كالأنثى"

وجوابي: أن الله لم يقل وليس الذكر كالأنثى وإنما هي حكاية عن أم عمران، ولا يصح نسبة ذلك إلى الله، بل إن لغة الجندر في القرآن تشمل المساواة ألف مرة، وفي آية واحدة وردت المساواة إحدى عشرة مرة: إن المسلمين وال المسلمات والمؤمنين والمؤمنات...

2- سيداو تقول لا يسمح للرجل بالتعدد!!!. القرآن يقول: "فانكروا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع".

وجوابي إن سيداو لم تذكر كلمة التعدد أبداً، ومع ذلك فإن آية التعدد مشروطة بالعدل، وقد قال القرآن الكريم: ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، والحقيقة أن كثيراً من فقهائنا الراسخين يدعون إلى الزوجة الواحدة وكان رسول الله يأخذ العهد على أصهاره ألا يتزوجوا على بناته، وهو نفسه لم يتزوج على أم عياله أبداً حتى ماتت.

وزاد بعضهم أن سيداو تدعوا إلى تعدد الأزواج للمرأة!! وهو تصور كاذب تماماً والمساواة في حق الزواج لا تعني أكثر من وجوب موافقتها ومنع الإجبار على الزواج، وإذا كانت الأمم المتحدة تناهض تعدد الزوجات!! فكيف نتصور أنها تطالب بتعدد الأزواج؟؟.

3- سيداو تقول الأولاد ينسبون لأمهاتهم في التسمية!!! القرآن يقول: "ادعوهم لآبائهم".

والحقيقة أن سيداو لا يقول انسبوا الأولاد لأمهاتهم بل لآبائهم في حالة ، أما الولادة من حرام فإن الشريعة وسيدوا يأمرنون بنسبة الولد لأمهه بنص الحديث الشريف: الولد للفراش...

4- سيداو تقول: لا يوجد عدة للمرأة!!! القرآن يقول: "والملحقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء".

والحقيقة أن سيداو لم يتعرض للعدة في قليل ولا كثير...

5- سيداو تقول الرجل لا يملك الولاية على المرأة والأب لا يملك الولاية على بناته!!!. القرآن يقول "الرجال قوامون على النساء".

والواقع أن سيداو لم يقل إن الرجل ليس قواماً، بل دعا إلى التشارك في المسؤولية، وتبادل الخدمة والقوامة وهو قريب جداً من كلام الله: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

6- سيداو تقول الذكر والأنثى في الميراث واحداً!!!. القرآن يقول: "للذكر مثل حظ الأنثيين".

والواقع أن سيداو لم يقل هذا، بل دعا إلى المساواة والعدالة، ويجب القول إن الميراث في الشريعة أيضاً مداره على العدالة، وهو يدور على أحوال مختلفة تتساوى فيها المرأة مع الرجل وأحياناً تناصفه وأحياناً تزيد عليه وأحياناً تنقص عنه، ومدار ذلك على اجتهاد الصحابة والتابعين والفقهاء.

7- سيداو تقول الرجل يمكنه الزواج ب الرجل مثله، المرأة يمكنها الزواج من امرأة مثلها!!!. القرآن يقول : "أتأنون الذكران من العالمين".

وفي الواقع سيداو لم يقل حرفاً واحداً عن الشذوذ الجنسي على الإطلاق!!!! وهذا افتراء مفضح !!.

8- سيداو تعطي المرأة حق الإجهاض!!!. القرآن يقول: (ولا تقتلوا أولادكم). وفي الواقع سيداو لم تتعرض للإجهاض في قليل ولا كثير!!.

9- سيداو لا تجرم العلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية لكلا الزوجين!!!. القرآن يقول : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً).

والحقيقة أن سيداو لم تتحدث عن العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج على الإطلاق، ودعوتها لحرية المرأة والرجل على قدم المساواة، لا تمنع التشريعات التي تعاقب على الخيانة والدعارة والاغتصاب ويمكن للدولة الإسلامية أن تمنع كل أنواع الزنا دون أن يكون ذلك ناقضاً للاتفاقية.

10- سيداو تقول: المرأة ترتبط بمن تشاء وتنفصل متى تشاء وتعاود الارتباط متى تشاء!! القرآن يقول: (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان).

وسيداو لا تقول هذا، وإن تنص على المساواة مع الرجل في الزواج والطلاق تعني أن لها الحق في رفض الزوج ابتداء، وكذلك طلب فراقه بعد الزواج وهو ما أعطاها إياه

الفقه الإسلامي أيضاً بالخلع والفسخ والضرر وهو يتطور باستمرار بجهود الفقهاء الكرام.

11 - سيداو تقول: سن الزواج بعد الثامنة عشرة!!! القرآن يقول: (وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح).

وفي الواقع لا يوجد أدلة تعارض بين النص والآلية، القرآن لا يتحدث عن سن محددة، بل يطلب الرشد، وقد حدد الفقهاء الكرام اجتهاداً سن 18، وقد أقرت ذلك معظم قوانين الأحوال الشخصية في البلاد الإسلامية.

ليس هذا بالطبع ردًّا علمياً وافياً.. بل هو جواب على استسهامات نظرها بلغة خطابية غاضبة، دون أدلة تمحيص ونظن أنها حقائق نهائية، ولا أشك أن من كتب هذه الوثيقة الهاجحة لم يقرأ الاتفاقية نفسها بعين واعية.

وأكثر ما يوجهه المشايخ هو رفض المادة 2 التي تنص على إدراج المساواة في الدستور، وكذلك المادة 16 وهذا نصها:

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج وال العلاقات العائلية، وبوجه خاص تضمن، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة:

(أ) نفس الحق في عقد الزواج.

(ب) نفس الحق في حرية اختيار الزوج، وفي عدم عقد الزواج إلا برضاهما الحر الكامل.

(ج) نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه.

(ح) نفس الحقوق والمسؤوليات بوصفهما أبوبين، بغض النظر عن حالتهما الزوجية، في الأمور المتعلقة بأطفالهما وفي جميع الأحوال، يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(هـ) نفس الحقوق في أن تقرر، بحرية وياً دراك للنتائج، عدد أطفالها والفاصل بين الطفل والذي يليه، وفي الحصول على المعلومات والتنقيف والوسائل الكفيلة تمكينها من ممارسة هذه الحقوق.

(د) نفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم، أو ما شابه ذلك من الأعراف، حين توجد هذه المفاهيم في التشريع الوطني، وفي جميع الأحوال يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(ز) نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة، بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة والمهنة ونوع العمل.

(ح) نفس الحقوق لكلا الزوجين فيما يتعلق بملكية وحيازة الممتلكات والإشراف عليهما وإدارتها والتتمتع بها والتصرف فيها، سواء بلا مقابل أو مقابل عوض.

وهي المادة التي بني عليها المشايخ كل التصورات العشرة السابقة... وهو لزوم ما لا يلزم، وفي الواقع فإن هذه الحقوق بدفيهية في الفقه الإسلامي، وكان بالإمكان أن نقلها بالحرف وننسبها إلى فقيه مستنير كإمام أبي حنيفة أو الشاطبي أو ابن حزم دون أي تثير أي إشكال، وقد سبق كثير من فقهائنا الأمم المتحدة في تقرير ذلك، ويمكن التوقع عليها دون أن تتخلى عن أي من ثوابت ديننا.

نعم الاتفاقيّة تلزمنا بالتخلي عن كثير من التراث الفقهي المتعصب، ومنعه من التسلل إلى قوانين الأحوال الشخصية، ولكنها لا تناقض أبداً قيم الإسلام في حماية المرأة، أو على الأقل إنها تطابق تصور فقهاء مسلمين كبار كانوا سباقين إلى إنصاف المرأة ومنحها هذه الحقوق وأكثر.

مفكر سوري / أستاذ في جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة



الحوار الخامس: أسامة ياغي - صحيفة نينار NINARPRESS

22/9/2024

أجرى الحوار الكاتب والأديب أسامة ياغي⁴



⁴ اسماء آتى كاتب وأديب وإعلامي سوري، من دير الزور، درس في كلية الزراعة في جامعة حلب، ثم تحول إلى العمل الإعلامي وترأس عدة مؤسسات إعلامية آخرها مؤسسة نينار التي كانت تنشر من تركيا ثم تحولت للنشر من دمشق. عرف بمواقفه الرافضة للعنف والتدخل الخارجي، وتأييده الكبير للثورة السورية البيضاء

د. محمد حبش" محاكمة التاريخ بأدوات الحاضر لا تُنتج نقداً موضوعياً"

الدكتور محمد حبش المحترم

تحية طيبة وبعد

التنوير مصطلح أوربي بُرِزَ في عصر النهضة، قام على مفهوم قوّة العقل وقدرته على فهم الظاهرات الطبيعية والعلمية والاجتماعية.

أما التنوير الإسلامي فهو يحتاج إلى إضاءة مفهومه والركائز التي نهض عليها.

ترغب صحيفتنا نينار برس أن تجري معكم حواراً واسعاً حول معنى التنوير الإسلامي ومفهومه، والركائز الفكرية التي ينهض عليها، وفيما يلي الأسئلة:

السؤال الأول:

هل يمكنكم تقديم تعريف علمي لمفهوم التنوير الإسلامي؟

أشكرك..

التنوير الإسلامي هو مصطلح عفوي يطلق على الكتاب الذين يقررون بأننا نعيش في واقع مظلم، وهو مصطلح حديث، ويعكس الرغبة الأكيدة في القيام بدور مشابه لما قام به فلاسفة عصر الأنوار لكسر قيود الكنيسة وقاعداتها الكثيبة والانفتاح على الحياة.

والتنوير مصطلح جديد لم يستخدمه أعلام النهضة التجديدية في عهد الآباء الأوائل في القرن العشرين، ويمكن القول إنه بدأ في الانتشار في النصف الثاني من القرن العشرين.

ولا يمكن إنكار ما في المصطلح من نرجسية لأنه بوضوح يقرر أننا نمارس النور وأن الآخرين يمارسون الظلام، ولعل الإصلاح الأكثـر تعبيراً عما نقوم به هو الإصلاح الديني.

أين يكمن جوهر التنوير الإسلامي؟ في إضاءة النص القرآني، أم في إعادة نقد العقل الإسلامي وفهمه للعالم على قاعدة العلم؟

النص القرآني نور يهدي، لا قيد يأسر، ولقد كتبت كتاباً خاصاً بهذا العنوان، حيث اعتبر ان أكبر مشاكلنا التاريخية هي الغلو، وإذا كان المسيحيون قد وقعوا في الغلو في حب المسيح فعبدوه، فإننا وقعنا في الغلو في حب القرآن، حتى اعتبرناه حكماً نهائياً لكل زمان ومكان، وحين فرض تطور الحياة حقائق صارخة تناقض مفهوم النص ظهرت حملة القراءات المعاصرة، التي تعيد قراءة النص على قواعد أخرى غير التي ذهب إليها السلف، وتقوم بإنتاج أحكام عصرية من النص القرآني عبر نبذ قواعد الفقه القديم، واعتماد خيارات اللغة وعجائبه ومفرداتها، وقد تعمقت هذه الدراسات، وهي تنطلق من مسلمة أساسية هي أن النص يحكم كل زمان ومكان ولكن بفهم جديد، وشخصياً فإني أفضل تصنيف القراءات المعاصرة في باب الإعجاز اللغوي، وهي صورة من تصور الإعجاز تشبه ما يدعو له فقهاء كثير من إعجاز جغرافي وإعجاز قلقي وإعجاز عددي وإعجاز صوتي في القرآن، وهي بكل تأكيد قراءات غلو في القرآن لم يكن يعرفها أحد من السلف أصلاً، ولم يشر- إليها الرسول في كثير ولا قليل.



وفي الواقع فإن القراءات المعاصرة عموماً تفرض سؤالاً في غاية الإحراج، وهي غموض النص والتيه في فهمه والخطأ في تطبيقه الذي استمر قروناً طويلة، وبالتالي مما هو ذنب هذه الأجيال التي اتبعت النص بشكل خاطئ، ولماذا لم يكن القرآن مبيناً. ولماذا نزل بهذا التعقيد والاحتمال؟

قناعتي أن النص محكم بظروف تنزله، وأن المنطق أن نفهمه كما فهمه سائر الناس، بوصفه برنامجاً تاريخياً أنشأ حضارة كاملة في القرن السابع، ولكنه ليس بالضرورة وصفة لكل القرون والبلدان والأجيال، والزمن هو البعد الرابع للأشياء، ولا معنى لاي معطى علمي دون اقترانه بالزمان والمكان، وفي الواقع فإن القرآن الكريم لم يذكر أي جغرافيا خارج مصر والجزيرة العربية، ولم يذكر شيئاً عن الشعوب العالمية من غير نسل إبراهيم، وهذا في الواقع يحدد الأفق الذي تنزل القرآن فيه، لتنذر أم القرى وما حولها، مع أنه جاء رحمة للعالمين، فليس في القرآن الكريم ذكر أوروبا ولا أمريكا ولا الهند ولا الصين، وليس فيه ذكر السلاف ولا البربر ولا الآريين ولا الفايكنغ ولا الكارولنجيين، هذا كله لا يعييه ولا ينقصه، ولكن يفرض موضوعياً علينا نحن أهل القرآن والتوحيد أن لا نحمل القرآن ما ليس فيه وأن لا نستنطه بما لم ينطق فيه، وأن نترك أفقاً أكبر للعقل في المسكون عنه في النص.

وفي القرآن قيم أخلاقية مستمرة وأحكام حياتية متغيرة، وقد نجح الفقهاء منذ فجر الإسلام باقتراح حلول كثيرة للتعامل مع النص القرآني باحترام وعقلانية، منها الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقييد، والمتشابه والموقوف، وهي أبواب أصولية وفقهية شهيرة، تعكس قدرة أصولية كبيرة في التعامل مع النص القديم، ولكننا اليوم نكتفي للأسف بروايتها عن الأولين ولا نسمح لاي مجتهد بتكرار التجربة بحيث نصل إلى قوانين حديثة متطورة.

ما هي المسائل والقضايا التي لقت اهتماماً أكبر من التنويريين المسلمين؟

يكتب التنويريون في هموم الأمة، في المشكلات التي تعيق النهضة والقيام، في مواجهة الفكر الخاطئ الذي أدى بنا إلى هذا الانحطاط، وكل يكتب في حقله المعرفي.

بالنسبة لي فالقضية الأكبر هي التشريع، وقد بسطت القول فيها في كتابي : النبي الديمقراطي ، الذي قدمت فيه ثمانية وأربعين تجربة خاصتها النبي الكريم في التشريع إنشاء أو إلغاء أو تبديلاً أو نسخاً، وكلها تعكس حيوية التشريع بالأدوات الديمقراطية والعقلانية، ونجاحه في تقديم تشريع مناسب لعصره، وتقديم نموذج حيوي للحركة المستمرة التي تحكم الحياة المدنية، وهذا هو التشريع الذي يمارسه الفقهاء بدون توقف منذ فجر الإسلام إلى اليوم، وهو الذي يحكم تطور الحياة، وبه قيام الدولة وبناء الحاضر والمستقبل.

ولكن هذا الجهد التشريعي كله بات اليوم مطارداً بهم الكفر والردة باعتباره تشريعاً وضعياً معانداً للقرآن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

من المؤلم الاعتراف بأن هذا الفهم الحرفى لظاهر هذا النص تحديداً كان وراء عشرات الاشتباكات الأهلية في البلاد الإسلامية، والتي تسببت في دماء كثيرة وسجون مظلمة وانهيار دول بحالها، ابتداء من حركة إخوان من طاع الله في نجد وصولاً إلى الحركات الجهادية القائمة والنائمة في حاضر العالم الإسلامي اليوم.



والعجب أن هذا النص نفسه لم ينزل في وجوب تحكيم القرآن بل في وجوب تحكيم التوراة والإنجيل، وأنصح القارئ الكريم بقراءة هذه الآيات الكريمة المتالية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون/الظالمون/الفاسقون، في سورة المائدة 44 وسيجد أن الحديث عن التوراة والإنجيل، وهو يختتم بعبارة: وليرحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله في ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.

ولا شك أن الإخوة السلفيين يعلمون هذا ولكنهم تأولوا ظاهر الآية وقالوا ظاهرها منسوخ والحكم بما أنزل الله يعني الحكم بالقرآن والسنة وكل زيادة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلاله في النار

السؤال الثاني:

التنوير الأوروبي نهض على قاعدة قوة العقل في فهم العالم، أي أنه ابتعد عن اعتماد النص الالاهي في ذلك.

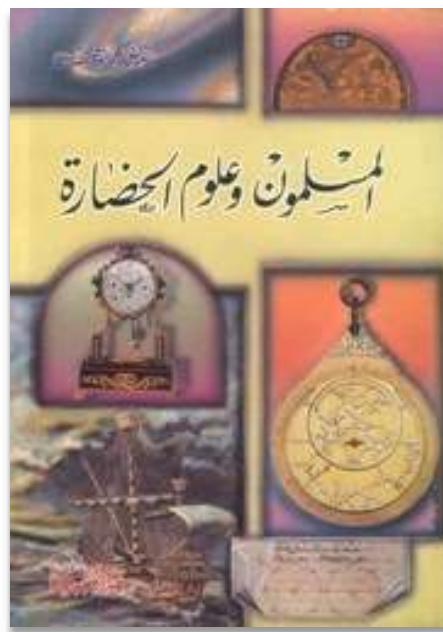
هل التنوير الإسلامي هو اجتهداد جديد على النص القرآني؟

وهل يمكننا القول إن التنوير الإسلامي هو نقد الفهم السائد للدين والذي تأسس في زمن الأئمة؟

هل التنوير الإسلامي محاولة لتجميل الفهم الديني على قاعدة نقد الفهم والاجتهداد السائدين؟

الاعتماد على قوة العقل هو الركن الأساسي في كل قيام، ولا شك أن هذا الاستحقاق كان وراء أول انقسام في المجتمع الإسلامي ، وظهرت على الفور الثنائيات المشهورة: أهل الرأي وأهل الحديث، النص والاجتهداد، النقل والعقل، التأويل والظاهر، المفوضة والمؤولة، الظاهرية والفقهاء، وكان الجدل كله يدور حول مكان العقل في التشريع، وكان التنوير دوماً يناضل من أجل مكان أكبر للعقل، وأجد من الواجب ان أشير إلى أن الفقه حقق انتصارات كثيرة ولعل أبرزها علم أصول الفقه الذي تجاوز القاعدة السلفية الشهيرة: الدين كتاب وسنة وما وراءه بدعة وضلال، قف على ما وقف عليه الأولون، فإنهم عن علم وقفوا، والدين ما كان فيه قال حدثنا ** وما سوى ذاك وسواس الشياطين !!

وقد استطاع علماء الأصول وضع قواعد للتشريع استناداً إلى العقل، وفي مرحلة لاحقة أصبحت هذه المصادر قسمية للكتاب والسنة، وهي الاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع وغيرها، فهذه المصادر الشرعية قادرة على إنتاج الأحكام في التشريع، وهكذا كانت الدول التي نشأت في التاريخ الإسلامي وأسهمت في الحضارة الإنسانية كانت تجد نصوصها وقوانينها من خلال اجتهداد الفقهاء بهذه المصادر، وما كان يترتب عليها من انتصار للعقل على النقل.



إن الفهم السائد للدين والذي حرره الأئمة في القرون الأولى للإسلام ليس خياراً سيئاً، وإن بدا اليوم كذلك، ولكن ظروف الزمان والمكان والعصر هي التي تقرر جدوى هذه الأحكام وإيجابيتها

من حقنا بالطبع أن نوجه النقد للماضي بكل اختياراته، ولكن ينبغي أن لا نقع في مطب النرجسية وننسب أنفسنا حكاماً على التاريخ، فمحاكمة التاريخ بأدوات الحاضر لا تنتج نقداً موضوعياً.

ال العبودية مثلاً نظام قبيح، وقد صار يعتبر اليوم نظاماً إجرامياً، وقد وقعت كل دول العالم بلا استثناء على اتفاقية منع الاتجار بالبشر، ولكن علينا أن نتذكر أن أمريكا على سبيل المثال خاضت حرباً أهلية ضاربة في منتصف القرن التاسع عشر كادت أن تودي بوحدتها، حيث اصطفت ولايات الجنوب في مواجهة ولايات الشمال وكان العنوان الرئيس هو الدفاع عن العبودية، حيث كانت ولايات الجنوب ترفض بشدة تحرير العبيد، وكان العبيد هم كور الثورة ومادتها، ووقفوا يقاتلون الأفكار الشيطانية التي كانت تدعوا لتحررهم وخلاصهم من العبودية والرق، لقد تسبّع العبيد بحب العبودية، بعد أن أقنعهم أسيادهم أن تحريرهم يعني أن يصبحوا بلا سيد ولا مأوى ولا معيل، وأنهم سيتحولون إلى هومليس في الشوارع، ومن أجل ذلك قاتلوا بضراوة للدفاع عن عبوديتهم في وجه الإرادات الشريرة لتحرير العبيد!!!

كان ذلك قبل قرن ونيف من الزمان في الأرض الأمريكية التي يفترض أنها أكثر بلاد العالم استعداداً للتنوير والانفتاح والحريريات.

بهذه المقارنة يتبعين أن نعترف بأن تطبيق المعايير المعاصرة على حركة التاريخ لن ينبع قراءة موضوعية مستقلة.

بالنسبة لي ما قام به الأئمة كان جيداً، ولم يكن ديناً موازياً، ولكن تصنيف ما فعلوه في التاريخ، واعتباره إجماعاً يجب اتباعه ولا يجوز الخروج عليه، هو مقتل لهذا الجهد الإصلاحي التشرعي الذي قدموه.

السؤال الثالث:

الدين الإسلامي يرتكز في جوهره على النص القرآني. والنص القرآني هو نصُّ الله الثابت غير القابل للنقض. وهذا يعني منع العقل من نقده.

لقد أشرنا في السياق إلى ظاهرة الغلو في القرآن وهي الظاهرة التي أدت إلى منع أي نقد لنص الوحي، وحين بدأ الخليفة المأمون مشروعاً حيوياً لتطوير الإسلام تأسياً على قاعدة خلق القرآن وارتباطه بحوادث معروفة في الزمان والمكان ظهر في مواجهة ذلك تيار متشدد رفض تحديد أي مناط للقرآن زمانياً أو مكانياً، واندفع الحنابلة للقول بقدم القرآن، والقول بسرمديته في الزمان والمكان، ومع أن هذه الفكرة خطيرة جداً على التوحيد لأنها تقول ببعد القدماء، وقد رفضها العقلاةيون بشدة في التاريخ الإسلامي ولكن الحنابلة في النهاية اعتبروها انتصاراً لكتاب الله، وأظهر الإمام أحمد بن حنبل صلابة شديدة في التمسك بهذا الرأي، وبعد سجن وتعذيب واضطهاد استمر أيام المأمون والمعتصم والواثق انتصر الخليفة المتوكل للحنابلة وفرض رؤيتهم في المذاهب الإسلامية.

إن مسألة خلق القرآن ليست مسألة هامشية أو عابرة، ومن التسطيح القول بأن الأمة الإسلامية سقطت ضحية خلاف لفظي لا أثر له، لقد كانت مسألة خلق القرآن في صاراً صاراً بين تيارين، تيار يرى عبادة النص وتكريسه أزلياً سرمدياً، فهو

نص أزلي غير مخلوق، ويقتضي ذلك أنه عابر للزمان والمكان، وهو منتهي الغلو، ومقتضاه أن النص بظاهره صالح لكل زمان ومكان وإن علينا أن نقاتل بكل الوسائل لفرض دلالات الكتاب الظاهرة على كل المجتمعات في العالم

وتيار يرى أن النص مخلوق، وقد نزل بحوادث معروفة وأجاب على مسائل محددة، وأنه نص أدبي وتربيوي كريم، ثابت في قضايا الأخلاق والتوحيد، ولكنه في المعاملات وسائل شؤون الحياة محكوم بالواقع، وهو نص محدود والأحداث بلا حدود، أو وفق عبارة **الأصوليين** النصوص متناهية والأحداث غير متناهية، وما يتناهى لا يضبط ما لا يتناهى.

كانت رسالة المأمون هي تكريم القرآن كنص تاريخي مخلوق، وفتح المجال للعقل للاستنباط والاجتهاد فيما يتصل بالحياة في سائر شؤونها.

هل توافقون علمياً على اعتماد منطق العقل في نقد النص القرآني؟ أم أن هذا النص غير قابل للنقد باعتباره نصاً من عند الله؟

هل التنوير الإسلامي فكرٌ يعمل على نقد ما بعد النص القرآني؟

تحمل كلمة النقد ذاكرة سيئة لدى المتكلّي في مجتمعاتنا، لأنها ترتبط بالنقد الهدام، ولكن النقد البناء هو جزء من استكمال حيوية المشروع وفعاليته، وأول ما يتمناه الكاتب أو المفكّر أن تقوم دراسات نقدية حول دراسته، فالنقد استكمال لروح الرسالة وإحياء لمقاصدها.

على كل حال لسنا بحاجة إلى استخدام مصطلح نقد القرآن، ويمكننا الاكتفاء بما حرره الفقهاء المتقدمون في التعامل مع النص القرآني، حيث قرروا تقسيمه إلى محكم ومتشبه، ثم إلى ناسخ ومنسوخ، ثم إلى خاص وعام، ثم إلى مطلق ومقيد، وهي خطوات جريئة ومتقدمة تمنح العقل قدرة واضحة على إعمال النص وعلى التوقف فيه، إنهم لم يناقشوا ثبوته وقداسته ولكنهم ناقشوا دلالته ومناطه، وهذا كان كافياً لبناء دول متطرفة في زمان في عصر متقدم، بل إن الحنفية كانوا أكثر جرأة فقسموا القرآن الكريم إلى قسمين:

الواضح وهو أربعة: المحكم والمفسر والنص والظاهر

وغير الواضح وهو أربعة: الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه ولو اننا استخدمنا اليوم وصف السادة الحنفية في آية قرآنية بأنها مشكلة او مبهمة او خفية او أنها من باب غير الواضح لاتهمنا في ديننا، مع أن هذه التصانيف كانت عادلة وموضوعية في العصر الذهبي في الإسلام.

لقد تعامل الفقه الإسلامي بوعي متقدم حين تعرض لنصوص الوحي بواقعية موضوعية، ونجح في تصنيف كثير من نصوص الكتاب في باب المجاز الذي لا يراد ظاهره، أو المؤول على خلاف ظاهر النص، وكذلك القول بالنسخ سواء النسخ بطريق الكتاب أو بطريق السنة أو بطريق الإجماع، كل هذه الوسائل العلمية باتت اليوم في دائرة التابو، ولا يمكنك التقدم بخطوة منها إلا بإسناد إلى السلف.

كيف يمكننا عقلنة التنوير الإسلامي دون نقد الرؤية القرآنية للكون والحياة والمجتمعات البشرية؟

إن دعوات التنوير التي تطالب برفض آيات في القرآن هي دعوات غير واقعية وتدعي أثراً ضاراً في الوعي الإسلامي، بل المطلوب هو وضع هذه الآيات في سياقها الزماني والمكاني، والدعوة لـإعمال العقل في الحاضر والمستقبل.

في عبارة مهمة لأدونيس في كتابه موسيقى الحوت الأزرق أشار إلى أن التنوير الأوروبي لم يذهب إلى إصلاح الدين وإنما ذهب إلى إصلاح الدنيا، وفي الواقع فإن فلاسفة التنوير لم يقوموا أبداً بتحديد نصوص مقبولة ونصوص محذوفة من الكتاب المقدس، وإنما ذهبوا إلى وضع إطار لـإعمال هذه النصوص، بحيث لا تكون حكماً سرمدياً على الحياة وإنما هدي إرشادي مرتبط بعصر زمان ومكان، قد يصلح في زمان ولا يصلح في آخر.

لقد قامت نصوص الكتاب المقدس وبشكل خاص نصوص العهد القديم بتبرير جرائم الحروب الصليبية، وكان الصليبيون القادمون بالأمسنة والموت والنار يرثلون نصوص أشعيا كما يفعل نتنياهو اليوم، ويثيرون حفائظ الجندي برتيل الكتاب الذي يأمرهم بـإبادة أعدائهم، وقد تمكّن الكهنة بقيادة بطرس الناسك من إقناع الجمهور بأن إرادة الرب تفرض عليكم قتال المسلمين الكفار إلى النهاية، وقد استمرت هذه

الكوارث مائتي سنة ودمرت استقرار العالم وأشعلت الحرب بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب إلى الأبد..

والاليوم فإن نصوص الكتاب الذي أمر بالقتال الصليبي موجودة بنصها في العهد القديم لم يتغير حرف منها، ويرتلها الكهنة بخشوع وبكاء، ولكنها لم تعد تصنع إرهاباً ولا تطراً، ولم تعد تحشد جيوش الحروب الصليبية ضد الكفار، فما الذي تغير؟ إن التغير الحقيقي طرا على العقل الأوروبي وليس على الدين الأوروبي، لقد نجح الفلاسفة في إقناع الجمhour المسيحي أن الكتاب المقدس مخلوق، وأنه محكوم بظروف نزل فيها وأنه لا يمكن اعتباره حكماً صالحأً لكل زمان ومكان، وانتهى الجميع إلى قناعة واضحة بفصل الكنيسة عن السياسة، والتشريع بالأدوات الموضوعية للفقه والاجتهداد دون انحصار في قفص النص.

السؤال الرابع:

التنوير الأوروبي نقد الفهم الديني المسيحي للحياة الاجتماعية.

هل مارس التنوير الإسلامي نقد الفهم الديني الإسلامي للحياة الاجتماعية؟

ما الموضوعات الرئيسية الاجتماعية التي تناولها التنوير الإسلامي بالنقد؟ وما الموضوعات الاجتماعية التي لم يقترب من نقدها هذا التنوير؟

حين اعلن نيتشه موت الله، كان يعبر بوضوح عن ثقافة عصره وفلاسفة عصره، ومع أن عبارته كان تهكمأً بعقيدة الكاهن المهرج الذي يعبد المسيح وفي الوقت نفسه يؤمن بصلبه وموته، ولكنها اتخذت طابعاً أبعد، وهو وجوب الانتهاء من حكم النصوص التاريخية مهما كانت قداستها في الواقع الإنساني، وأن الرب الذي يؤسس لأخلاق ضعيفة مهزوزة تشتمل على الاستسلام والاستخذاء والضعف غير قادر على حماية نفسه، وقد وجد مصلوباً، وهو غير جدير أن يعبد وشريعته غير جديرة أن تتبع.

لقد كانت نيتشه يكرر ما كرره إبراهيم في قومه من قبل حين قال هذا ربى، ثم قال لا أحب الآفلين، إن الإله الذي تغرب شمسه ويكون محكوماً بظروفه الخاصة لا

يجوز أن يمنح حق التصرف بأقدارنا ومستقبلنا ولا يجوز أن نفotope بكتابa الشرعية التي نحتكم إليها.

لقد كان نيتـة واحـداً من عـشرات الفـلـاسـفـة المؤـثـرـين الذين عـصـفـوا بـسـلـطـانـ الـكـنـيـسـةـ فيـ الـحـيـاـةـ التـشـرـيـعـيـةـ وأـجـبـرـواـ الـكـهـنـةـ أـنـ يـنـسـحـبـواـ مـنـ سـدـةـ التـشـرـيـعـ،ـ ليـتـمـكـنـ الـفـقـهـاءـ وـالـحـقـوقـيـوـنـ الـمـتـخـصـصـوـنـ مـنـ كـتـابـةـ قـانـونـ الـحـيـاـةـ بـقـلـمـ عـلـمـانـيـ بـعـيـدـاًـ عـنـ تـأـثـيرـاتـ الـلاـهـوـتـ.

إن ما يجب التأكيد عليه هنا هو أن هذه الحركة الفعالة في التنوير قد تم إنجازها بالكامل في العـصـرـ الإـسـلـامـيـ الـذـهـبـيـ،ـ وـذـلـكـ عـلـىـ يـدـ الـمـتـنـوـرـيـنـ مـنـ الـفـقـهـاءـ الـذـينـ عـمـلـوـاـ فيـ خـدـمـةـ الـدـوـلـةـ الـعـبـاسـيـةـ وـالـدـوـلـةـ الـمـصـرـيـةـ وـالـدـوـلـةـ الـعـثـمـانـيـةـ،ـ وـقـدـ وـجـدـ هـؤـلـاءـ السـبـلـ الـكـافـيـةـ لـتـحـيـيـدـ نـصـوـصـ كـثـيـرـةـ بـاتـتـ لـاـ تـصـلـحـ لـلـتـطـبـيقـ وـذـلـكـ عـبـرـ قـوـاـدـرـ أـصـوـلـيـةـ حـيـوـيـةـ شـرـحـنـاـهـاـ فـيـ السـيـاـقـ وـكـانـتـ بـالـفـعـلـ قـادـرـةـ عـلـىـ إـنـتـاجـ فـقـهـ مـلـاـئـكـ لـلـعـصـرـ الـذـيـ كـانـوـاـ فـيـهـ.

قناعـيـ أنـ مـاـ طـالـبـ بـهـ فـلـاسـفـةـ الـأـنـوـارـ هـوـ مـاـ حـقـقـهـ الـفـقـهـاءـ الـمـسـتـنـيـرـوـنـ،ـ حـينـ وـضـعـواـ قـوـاـدـرـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ وـأـقـامـواـ الـإـسـتـحـسـانـ وـالـعـرـفـ وـالـذـرـائـعـ مـصـادـرـ شـرـعـيـةـ كـامـلـةـ فـيـ مـوـاجـهـةـ ظـاهـرـ النـصـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـكـرـرـ الـيـوـمـ،ـ وـيـحـقـقـ لـلـمـجـمـعـ قـوـانـينـ حـيـوـيـةـ وـاقـعـيـةـ،ـ وـلـكـنـ تـكـمـنـ الـمـشـكـلـةـ فـيـ أـمـرـيـنـ اـثـنـيـنـ.

الأـولـ:ـ أـنـاـ أـصـبـحـنـاـ فـيـ مـكـانـ آـخـرـ،ـ وـتـقـلـيـدـهـمـ لـنـ يـنـتـجـ فـقـهـاـ حـيـوـيـاـ،ـ بـلـ النـسـجـ عـلـىـ مـنـوـاـلـهـمـ وـكـتـابـةـ فـقـهـ جـدـيدـ مـخـتـلـفـ عـمـاـ اـخـتـارـوـهـ،ـ وـلـكـنـاـ لـلـأـسـفـ لـأـنـمـلـكـ الـجـرـأـةـ الـتـيـ كـانـوـاـ يـمـلـكـوـنـ،ـ وـقـدـ تـحـولـنـاـ فـيـ قـرـاءـةـ فـقـهـمـ الـحـيـوـيـ إـلـىـ مـنـصـةـ الـرـوـاـيـةـ دـوـنـ أـنـ يـكـونـ لـنـاـ قـدـرـةـ الـإـبـدـاعـ وـالـابـتـكـارـ.

الـثـانـيـ:ـ إـنـ مـاـ أـنـجـزـهـ فـقـهـاءـ إـلـاسـلـامـ الـكـبـارـ فـيـ حـقـلـ مـصـادـرـ الـشـرـعـيـةـ قـدـ رـفـضـهـ رـجـالـ الـدـينـ إـلـاسـلـامـيـ،ـ وـهـنـاـ يـتـعـيـنـ التـفـرـيقـ بـيـنـ الـفـقـيـهـ وـبـيـنـ رـجـلـ الـدـينـ،ـ فـالـفـقـيـهـ هـوـ الـبـصـيرـ الـعـارـفـ،ـ الـذـيـ اـطـلـعـ عـلـىـ تـجـارـبـ الـأـمـمـ فـيـ الـفـقـهـ وـالـتـشـرـيـعـ،ـ وـعـرـفـ الـقـانـونـ الـمـقـارـنـ،ـ فـيـ الـأـمـمـ الـمـخـتـلـفـةـ،ـ وـهـوـ الـقـادـرـ عـلـىـ إـنـتـاجـ الـأـحـكـامـ بـنـورـ النـصـ وـلـكـنـ لـيـسـ فـيـ قـيـودـ،ـ وـيـمـكـنـكـ أـنـ تـجـدـ هـؤـلـاءـ الـفـقـهـاءـ فـيـ التـارـيـخـ وـفـيـ الـحـاضـرـ فـيـ الـلـجـانـ التـشـرـيـعـيـةـ الـاـخـتـصـاصـيـةـ الـتـيـ تـشـكـلـهـاـ الـدـوـلـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ قـوـانـينـ حـيـوـيـةـ،ـ وـلـيـسـ الـفـقـهـاءـ

بالضرورة أكثر الناس صلاة وصياماً ولحى وجلابيات، بل هم أكثر الناس معرفة بالقانون المحلي والدولي والفرنسي والروسي

أما رجل الدين فهو الوعاظ الذي يرتل الروايات ويقود الشعائر الدينية ولا يتوجه فيها إلى أي ابتكار، وليس مطلوباً منه أصلاً أي ابداع ولا جديد.

السؤال الخامس:

سبق وأن نهض الاجتهد على تفسير النصّ الديني في السابق على مبدأ "يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا"

التنوير الغربي رفض تدخل الدين في صياغة العقد الاجتماعي. هل يستطيع التنوير الإسلامي رفض الاعتماد على النص القرآني في صياغة العقد الاجتماعي للشعوب الإسلامية؟

هل يمكن اشتقاق فهمٍ جديد لتجاوز مفهوم الطاعة كما ورد في نص الآية القرآنية المذكورة؟

لقد أشرت في كتابي المعتمد في أصول الفقه إلى قاعدة غاية في الأهمية، وهي حقولي الأمر ومسؤوليته في ترجيح الرأي الفقهي، فحين يقوم الفقهاء بتقديم فتاوياً لهم وآرائهم حول أمر ما، وتصدر الفتوى المتعددة، فإن رجال الدين اليوم يقومون بالترجح بناء على قوة السند ودقة الرواية وعلم الرجال، ولكن هذه القاعدة التي اعتمدها المحدثون ليست قاعدة الفقهاء التاريخية، هي قاعدة الرواية وليس قاعدة الفقه، لقد أتاح الفقهاء لولي الأمر ترجيح الرأي الفقهي، واختياره وعند ذلك يصبح هو الرأي الراجح الذي يجب العمل بما فيه.



وولي الأمر هنا ليس شخص السلطان، بل هو مؤسسات الدولة التشريعية من لجان تشريعية ووزارة عدل ومجلس شوري ومجلس نيابي وبرلماني، ووفق ذلك فاختيارولي الأمر للمسألة يجعلها فقهياً أقوى الآراء، بغض النظر عن قوة سند الدليل ووهنه، وهو للأسف ما يعارضه الوعاظون ورجال الدين، في حين أنه صورة التطبيق الحقيقى للشريعة في العصر الذهبي للإسلام.

هذا الوعي يمكن الوقوف عليه بسهولة في كل كتب التفاسير الأولى عند آية النساء: يا أيها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فسائر المفسرين ذهبوا إلى أن أولي الأمر هم الدولة، ولكن هذا الوعي لا يستقيم في الدولة الفاشلة المستبدة، بل يستقيم في الدولة الحقيقية، أما الدولة التي يختصرها لويس الرابع عشر بقوله أنا الدولة والدولة أنا، فهي ليست المقصودة بكل تأكيد، وهذا تكريس للاستبداد والفردية، وقد كانت الآية واعية تماماً، فلم تقل بطاعة صاحب الأمر، ولا حتىولي الأمر، وإنما بطاعة أولي الأمر، وهذا تعبير مؤسسي جمعي ينطبق على فريق عمل منظم وليس على إرادة فرد مستبد.

إن هذا الذي نطرحه هنا ليس اختراعاً نبتدهعه، بل إنه ليس شيئاً اخترعته الحضارة الإسلامية بل هو منطق الأشياء، وهو جوهر مسؤولية الدولة الحديثة، التي تقوم بتنظيم القانون العام والقانون الخاص في كليات متخصصة، وتميز بين حقوق

الأفراد التي يمتلكونها باستقلال وبين الشأن العام الذي يفرض وجوباً تدخل الدولة وترجحها وقرارها، وهو بالضبط المقصود بالآية الكريمة: أولي الأمر منكم.

ألا يعتبر تدخل المشايخ الإسلاميين "رجال الدين" في توجيه الرأي العام في فهم الصراع الاجتماعي هو شكلٌ من إعادة إنتاج الطاعة لأولي الأمر بدلاً عن الحاكم؟

أليس هناك ضرورة لأن يكون الدين عبادات لله الواحد، وليس تيارات سياسية تريد فرض رؤيتها الشمولية على الحياة المتغيرة؟

لا يمكن منع الإسلام السياسي، الرسول كان إسلاماً سياسياً وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والسياسة كانت حاضرة في مشروع الرسالة الأولى، ومن حق الإسلام السياسي أن يشارك في الحياة، ولكن من حق الآخرين أيضاً أن يمارسوا نقد موقفه ورؤيته.

أما الحديث عن دور رجال الدين فهو حديث مكرر، وعلينا أن نفهم دور رجال الدين في سياق صحيح، وقناعتي أنه يمكن بإرادة سياسية أن يكون رجال الدين عنصراً إيجابياً في حركة التطور، إذا نجح السياسي في دعم تيار مسؤول من الفقهاء الذين يمتلكون رؤية التجديد، وهذا من وجهة نظرى قد تتحقق بشكل مرض في تجربة الخليج العربي، حيث يقوم رجال الدين بدورهم بشكل فعال كمرشدين أخلاقيين وتربييين، بعيداً عن السياسة، فيما يتولى مجلس من الفقهاء المتنورين أمور التشريع في البلاد، ويقوم السياسيون باحترام ما أنجزه الفقهاء، وبالطبع فإن هذه التجربة أثبتت نجاحها في ظل الأنظمة الملكية، وربما يتعدى نسخ التجربة إلى الأنظمة الجمهورية ولكن يمكن استلهامها والبناء عليها.

السؤال السادس:

النص القرآني نص ثابت المعنى "إنا له لحافظون"، بينما حياة الإنسان الاجتماعية تخضع للتغيير والتطور باستمرار وهذا جزء من ناموس الحركة في الكون.

كيف يمكن قياس المتغير في الحياة على الثابت من النص القرآني؟

تخصّص الحياة للتطور، وأقرب طريقة للموت هي التوقف عن الحركة والتطور والتغيير، وهذه قاعدة عقلية معروفة، وقد عبر عنها هرقليطس بوضوح يوم قال: إنك لن تستحمل بماء النهر مرتين، ومع أن المفهوم القريب أن الماء يتغيّر، ولكن الحقيقة أن الإنسان أيضًا يتغيّر بين يوم وآخر، بل إن قانون الطبيعة يتغيّر هو الثالث، مما يجعل كل حدث في الطبيعة إنجازًا كاملاً حرياً بالدراسة والاعتبار.

وفي التشريع الإسلامي فإن الرسول الكريم هو مؤسس الفكر المتنور، عبر مواقفه الكثيرة وطريقة تعامله مع النص القرآني تقوم على قاعدة نور يهدي لا قيد يأسر، وقيامه بشجاعة وحكمة بنسخ نحو عشرين آية من القرآن الكريم وثمانية وأربعين من السنة الشريفة، والتحول إلى أحكام جديدة تناسب تطور العصر، على الرغم من أن التحول الحضاري بين مكة والمدينة كان محدوداً وقصير الأجل.

وقد تم هذا التطور الكبير دون أن يسيء الرسول الكريم إلى قداسة نص الوحي،
ودون أن يأمر بـإلغاء شيء منه وكان واضحاً في دعوة الأمة لترتيب هذه النصوص
وتدبرها دون أن تذهب إلى الاحتکام إليها.

كما يمكن التماس هذا الجهد النبيل لدى أعلام الفكر الإسلامي في عصر السلف الأول وعلى رأسهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعائشة بنت أبي بكر ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ولو جمعت ما أثر عن هؤلاء الأعلام لكان مدهشاً لجهة احترامهم للنص المقدس وشجاعتهم في الاختيار لحياتهم الجديدة من هدي العقل وتجارب الأمم.

على أن تأصيل هذه المواقف التشريعية تم في القرن الثاني على يد الإمام الجليل أبي حنيفة النعمان الذي يعتبر مؤسس علم الفقه الإسلامي، حيث أطلق قدرة المسلم في الاستحسان بعنوانه الكبير: هو اجتهاد يندرج في عقل المجتهد يعسر التعبير عنه، أو هو ترك ظاهر النص والتزام مقاصده، أو بتعبير أشهر: ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس.

أما تحرير الثابت والمتغير فهو قرار فقهاء الدولة في كل عصر، وفي كل مكان، وحتى لا نترك السؤال بدون جواب فإن الرسول في تجربته الأولى لقيادة المجتمع كان واضحاً في أن مركز الشريعة هي الإنسان، وفي سبيل ذلك قام بنسخ أقدس الثوابت في الإسلام وهي القبلة مرتين، لا يوجد شيء أقدس في الإسلام من القبلة، ومع ذلك فإن الرسول نسخ التوجه إليها من الكعبة إلى القدس ثم من القدس على الكعبة، وقد أثار هذا النسخ غضب اليهود وسخطهم واستهزاءهم: سيقول الناس ما ولاهم عن قبلته التي كانوا عليها، ولكن الرسول أراد بوضوح أن يقول إن الثابت هو مصلحة الناس وحاجاتهم ، الإنسان هو الثابت وما سواه متغير، والثابت الوحيد في هذا العالم هو قانون التغيير.

أليس الفكر الإسلامي السائد منذ زمن الأئمة هو نتاج مرحلة اتسمت بدرجة تطور في حينها؟

كيف نسلم بصحة هذا الفكر بعد تطورات مذهلة شهدتها العلم والفكر الندي ونقد المجتمعات وبني الدولة والسلطة؟

بكل تأكيد ، لقد نشأ علم أصول الفقه في عصر نهضة حضارية، ولو لا أن التطور كان سمة التشريع لم يكن للفقه أن يستجيب لحاجات الدولة والمجتمع التي تتتطور باستمرار، وفي السياق إيه كان المعتزلة يفسرون هذا الموقف العقلاني ويكتبون بوفرة حول وجوب الثقة بالعقل في اختياراته، وتطوير الاستدلال به

للوصول إلى العقل الجماعي التشريعي (البرلمان)، وقد أخذ بهذه المناهج عدد من الخلفاء المتنورين وعلى رأسهم الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والرشيد والمأمون والمعتصم، وكانوا يرسمون أسس الدولة الحديثة وفق نور العقل وتجارب الأمم مع الاحترام المطلق لنصوص الكتاب العزيز والسنة المشرفة.

وفيما بعد تم تأصيل هذا المنهج بلغة فلسفية محكمة عبر فلاسفة الإسلام الكبار وبشكل خاص ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا والبيروني وابن رشد في السياق الأبستمولوجي والجمع بين نور الوحي ونور العقل، فيما قام الفقهاء بتقرير المسائل أصولاً وفروعاً في السياق الحقوقي، واستطاعوا أن يعدوا نظاماً متكاملاً لتطوير الشريعة والجمع بين الدليل النقلي والدليل العقلي، عبر ما أسموه مصادر التشريع الإسلامي وقد بلغت عشرة مصادر، منها ثلاثة تلتزم النص مباشرة أو تبعاً وهي الكتاب والسنة والقياس، فيما تتحرك سبعة مصادر أخرى في إطار العقل وهي الإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف والذرائع والمقاصد.

وقد بت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسلام يفترض أنه حظي تاريخياً ولا يزال يحظى بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء وال فلاسفة، فيما يرفض هذا التوجه بشدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء وال فلاسفة من تطوير الإسلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحجتهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصادر الشريعة بمصدرين اثنين فقط هما الكتاب والسنة، والتشكك بالمصادر الأخرى باعتبارها عبثاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفسير النص الديني والاجتهاد فيه وذلك وفق قواعد وشروط معقدة تمنع التفكير خارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاجتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصر مقاصد الشريعة والاستنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتکاد تنحصر فرصة الاجتهاد عند هؤلاء على المسائل المستجدة والقياس على ما سبق من مسائل.

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسنة، فإن كاتب هذه السطور يعتقد أن الفقه الإسلامي في المعاملات يتطور باستمرار، وإن الفقهاء والخبراء سواء كانوا من أئمة الشريعة أو أهل الاختصاص من القانونيين وعلماء

الاجتماع الذين تخارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصناعة والسياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير و حقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر الجديد، وتقديم البادئ الحقيقة للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دساتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمها هو إقناع الجيل بتكامل الشع و القانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشع و القانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متقدمة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإسلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطاباً إسلامياً متساماً واقعياً، وتتجنب فتاوى التشدد والاستعلاء، وتفسح المجال للخطاب التنموي بقدر ما يتناسب مع مصالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسمي للحكومات العربية والإسلامية في كل قضايا التنشير مع التحفظ الشديد بالطبع على ما تمارسه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

أليس المطلوب في زمننا الحالي كف تدخل المشايخ الإسلاميين في فهم الصراع الاجتماعي على قاعدة تنويرية ملموسة ترفض هذا التدخل انطلاقاً من منهج علمي صارم منفتح على التطور؟

كف المشايخ عن التدخل في السياسة ، ومنع الإسلام السياسي هو ظاهرة قمع، ولا يمكن تبريرها، ويجب أن نعلم أن حضور الدين في حياة المجتمع أكبر مما يتصورون، فالدين أقوى غرائز المجتمع، ولا تزال هذه الأمم الشرقية تقاد من معابدها، وعليها أن نرشد هذا الوعي بدل أن نحاربه ونقاتلته.

قبل أشهر تابعت رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي وهو يفتتح معبداً هندوسيّاً، لقد جرت العادة أن يقوم السياسيون بافتتاح المعابد في إطار بروتوكولي لا يزيد عن دقائق معدودة يتلوه كلمة احتفالية على سبيل المجاملة واحترام التنوع، ولكن الزعيم الهندي مودي أمضى ثلاثة ساعات في المعبد وهو يؤدي طقوس العبادة الهندوسية ولم يترك صنماً إلا قبله ومسح بدمع عينيه وجثا على ركبتيه!!!

وبعد أيام عرض التلفزيون الهندي فعالية أخرى لرئيس الوزراء الهندي يشارك في صلاة في معبد هندوسي في قاع البحر! حيث ارتدى ثياب الغطاس وأمضى نهاره يسبح ويهلل لآلهة عجيبة غامضة تعيش في قاع البحر!!

الهندوسيَّة أكثر الديانات رسوحاً في الخرافة والميتافيزيق، وفيها رصيد من الآلهة يشمل ملوكاً وأمراء ومحاربين وفاتكين وحيوانات وحشرات تبلغ نحو 300 مليون إله!!! ولا أظن أن مودي يجهل هذه التناقضات، ولكنه زعيم سياسي لأمة تبلغ مليار وأربعين مليون ، ويعلم جيداً أن سلوكاً كهذا هو ما يفرح به المليار هندوسي وهو ما يضمن له محبة جمهوره وانتخابهم له...

نكون سطحيين إذا تصورنا أن الديانات بما فيها من خرافات وأساطير قد فقدت تأثيرها على الناس، وإذا كانت مراكز الأبحاث الأساسية في العالم كمركز بيو ومركز أردا في جامعة بنسلفانيا تتفق على أن 87% من سكان الكوكب لا يزالون ينتمون لدين ما، على الرغم من عدم التزامهم بتعاليمه، فإني أستطيع الجزم بأن 50% من سكان الكوكب ما زالوا يقادون من معابدهم.

أليس تدخل المشايخ الإسلاميين في تشكيل الوعي الاجتماعي هو شكلٌ من إعادة إنتاج مربع تبعية العقل الإنساني لمفهوم مزین بلغة دينية؟

هناك طريقتان واضحتان للتعامل مع الدين في الشأن السياسي، الطريقة الفرنسية والطريقة البريطانية، ولعل خطيب الثورة الفرنسية ميرابو قد منحنا تفصيلاً كاملاً لرؤية العلمانية الفرنسية في إبان غليان الثورة حين قال: سنشنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، وكانت النتيجة في الواقع دموية وإرهابية وانجلت صفحة الثورة الفرنسية فوراً عن عصر الإرهاب الذي قاده روبسيير وهو أبرز زعماء الثورة الفرنسية، وكان من أكثر عصور التاريخ توحشاً وإجراماً، حيث قامت مقلبة باريس بفصل سبعة عشر ألف رأس من نخبة المجتمع الفرنسي ولم تتوقف طاحونة الموت إلا عندما سيق إليها رأس روبسيير نفسه، ثم تلى ذلك مباشرة العصر النابليوني الذي شهد الحرب العالمية الصفر والتي لا تقل في ضراوتها وبشاعتها عن الحرب العالمية الأولى والثانية، وأعقبها عصر الاستعمار الفرنسي وهو أكفر عصور التاريخ بالحرية الإنسانية وحقوق الإنسان وخاصة في الجزائر، ورغم ذلك كله بقيت الملكية ثمانين عاماً إضافياً، فيما بقي رجل الدين إلى يومنا هذا.

أرجو أنني لا أتجنى على الثورة الفرنسية التي تعودنا أن نسميها ثورة الحريات وحقوق الإنسان والمساواة، ولكنها في الواقع كانت كما رويناها وهذه حقائق اتفاقية، وأجد نفسي مختلفاً تماماً في تقويم الثورة الفرنسية العنيفة، ولا أكاد أحترم منها إلا شعاراتها وفلسفتها الذين كتبوا شيئاً مضيئاً ومجيداً، ولكن التدبير السياسي الذي كان يقدس تلك الكتابات تصرف بطريقة ستالينية ماحقة حتى نفط التاريخ كتفيه بعد مائتي عام، وخرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية وتم ظهور الأمم المتحدة وانتهى الاستعمار الفرنسي وتحولت فرنسا إلى دولة حديثة يحكمها دستور الحريات كما تمناه فلاسفة عصر الأنوار، على الرغم من وجود ممارسات تمييزية مخجلة لا تليق بقيم ثورة الإنسان والحريات.

أما الطريقة الثانية فهي الطريقة البريطانية، وفيها يقوم الدين والملك بدور إيجابي في الدولة، ويمثلان بشكل متوازن القيم البريطانية التاريخية، بعد أن اقتنع الطرفان بوقف مباشرة السياسية اليومية، والاكتفاء بالدور الأخلاقي والقيمي، وقد احتفظ الدستور البريطاني للملك نفسه بصفة الرئيس الأعلى للكنيسة الإنجليكانية، ولا يزال الملك والقس يؤديان دوراً مهماً في الحياة ولكنه أبعد ما يكون عن التدخل المباشر في السياسة وبذلك فإن الديمقراطيات تزدهر في نظام يحقق تداول السلطة دون دماء، حتى الدول التي كانت تحت التاج البريطاني فإنها تنتظم اليوم في منظمة الكومنولث ضمن تعاون دولي فعال، يميل بوداد وشفف إلى دور الدين ودور الملك الشرفي، وقد أصبح من المؤسسة بحيث تختاره شعوب الكومنولث بمحبته، ولو سئلت تلك الشعوب لاختارت البقاء في الكومنولث بعد أن تم تنظيم دور الدين والملك بشكل مؤسسي، بحيث يقدمان خدمة للمجتمع ولا يعيقان الحياة السياسية.

وفي خطاب الملك تشارلز لتولي العرش البريطاني أقسم الرجل بوضوح أن يبقى خادماً وفيأً للكنيسة البروتستانتية الاسكتلندية ولقيمها الروحية والدينية، وسمع العالم كله يمين القسم، وفيه: "أنا ، تشارلز، أقف بإخلاص وبصدق أمام الله، وأشهد وأعلن أنني بروتستانتي مخلص، وأنني وفقاً للقصد الحقيقي للتشريعات التي تضمن الخلافة البروتستانتية على العرش، سوف أؤيد وأحافظ على التشريعات المذكورة بأفضل ما في وسعي وفقاً للقانون"، ولم يخطر في بال أحد أن هذا التمسك بالقيم الدينية قد يقود إلى إتاحة مجتمع داعشي سيفرض إرادة الله على العالم بسطوة السلاح.

نعم إنني أفضل التحول البريطاني إلى الدولة الحديثة، وأعتقد أنه الأنسب لمجتمعاتنا، ولا أجد أي جدوٍ من الحرب على الإسلام السياسي بطريق القمع، ولكن أنا مع ترسٍخ الديمقراطية، وتعزيز فرص الجميع، وسينتخب الناس من هو أكثر قدرة على إسعادهم.



السؤال السابع:

التنويريون الإسلاميون الذين بروزا في القرن العشرين هم مارسو التنوير بعيداً عن نقد النص القرآني عقلياً.

قامت حركة التنوير في مصر على يد الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني بدور أساسي في اليقظة، وقد جرت الأقلام بتسمية هذا التوجه بالإصلاح الديني، وقد اتجهت الحركة بالفعل إلى الإصلاح تحت ظل النص وفي إطار احترامه وتكريمه، ولكنها اختارت النضال في التأويل، وقد مارست تأوياً مختلفاً للقرآن الكريم، ولكنها

ركزت على تحقيق الإصلاح في الناس وليس في النصوص، وقناعتي أن هذا التوجه كان أكثر ملاءمة للواقع المصري وقد حقق احترام الناس على الرغم من العداوة الظاهرة التي برزت بين الأزهر وبين مدرسة الإصلاح الديني، ولكن الأزهر في النهاية سلم بضرورة هذا الإصلاح وجدواه، واختار قاعة كبرى في حرم الأزهر أطلق عليها اسم قاعة الإمام محمد عبد العبد في تقدير واضح للدور الإصلاحي، وقناعتي أن الشيخ محمد عبد العبد يمتاز عن سائر المصلحين بأنه مارس الإصلاح الديني وظل قوياً في بيئته ومحترماً لدى جزء كبير من المجتمع المصري، ومن المؤلم أن أتعترف لك أن في تراث الشيخ محمد عبد العبد كثيراً من التنوير، وفيه أيضاً فتاوى ظلام وجدت نفسه مضطراً لمجاهدة المجتمع فيها حرصاً لا يفقد جمهوره، وهي لا تعكس رؤيته التنويرية والتجددية

هل برأيكم يمكن للتنوير الإسلامي أن يستغل على نصف القضايا "واقع حال الأمة" ويهمل نقد الأساس الذي ترتكز عليه هذه القضايا "العقل الديني"؟

يواجه المسلم في هذه الأيام الصاخبة صرخات متناقضة، تدور بين تقدير كل شيء ورفض كل شيء، بين الانتماء للتاريخ الإسلامي واعتبار هدي السلف خير هدي القرون، ودعوة البشرية إلى العودة لهدي السلف، وبين تيارات أخرى ترى أن التراث الإسلامي برمته صار عبئاً على الحياة والتطور وسبباً للقطيعة مع العالم وأنه لا خلاص لهذه الأمة إلا بنبذ الماضي كله واعتباره كذبة ضارة حالت بين هذه الأمة وبين لحاقها بالأمم.

ولا شك أن هذه الصورة غاية في الوضوح لكل متابع، ولن تنفعنا المجاملة في شيء فقد فضّلنا عالم التواصل الاجتماعي وكشفت لنا المنابر المفتوحة على موقع التواصل كلاً من التيارين الساخطين وقد توفر لكل منهما جماهير مليونية غاضبة لا سبيل لإنكارها إلا بقدر كبير من التعسف والمكابرة، وقد بات من المؤكد أن الأصوات الأكثر صرخاً وتعصباً في الجانبين هي من يحصد الجماهير الهاדרة فيما يتخافت صوت الاعتدال والمنطق حتى يكون نادياً نخبوياً يكتب بحذر ومداراة على حروف المعاني ثم ينصرف مذعوراً من ضعف الحيلة وقلة النصير.

وفي السنوات الأخيرة تفجر الصراع الدموي المؤلم في بلاد الشام والعراق ومصر ولبيها واليمين، وكان من تداعياته ما تكرس من انقسامات مجتمعي خطير، بين الرؤية

الإسلامية والرؤية العلمانية، وبات الانقسام بين الجانبين مريضاً وقاسياً، تتناوله الريب الصارمة، وتحولت الخصومة إلى عداء والاختلاف إلى صراع والاتهام إلى اغتيال، ولا زال المشهد يشي - بمزيد من الرعب والتشاؤم، وبدا أن البلاد العربية تشهد تماماً العصر الأوروبي في انتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وبات المشاركون في معمعة الخصام لا يبالون أن يأخذوا بلادهم إلى مواجهات فاصلة على مستوى بارتلميو وحرب الثلاثين عاماً في سبيل انتصار ما يراه كل فريق الحق الذي لا مرية فيه.

ألا تعتقدون أن الاجتهاد في التنوير الإسلامي على علاقة بمستوى تطور وعي الناس بمفهوم الدين خارج مفهوم التسليم؟

ألا ترون أن عبادة الله الواحد الأحد لا تعني أن يعتمد القرآن وكأنه نصّ فكري عقدي اجتماعي؟ بل أن عبادة الله هي علاقة الإنسان بربه؟

القرآن نص أدبي وتربوبي، ولذلك فهو حمال أوجه ويتحمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه المترادفات، وفيه المجاز، وفيه آيات محكمات هن ألم الكتاب وفيه آيات متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارةً.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام فهو موقف غلو وبمبالغة، فليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن إدارة الحياة والمجتمع، بل فيه إشارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كافٍ للحياة، وبالتالي فإنّ هذه النصوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر، وأما إدارة المجتمع والتنمية فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله "أنتم أعلم بأمور دنياكم" والأمة بيرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنور القرآن ولكنها تحكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.

وإذا كانت المسيحية قد غالت في المسيح وهو روح الله ورسوله، فإن المسلمين قد غالوا في القرآن وهو وحي الله وكلامه، ونعتقد أن الغلو في القرآن هو أحد أشكال الغلو التي نهت عنها الآية الكريمة: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

والقرآن نص مقدس ولكن متحكم بالزمان والمكان، ويقابله الإنسان المقدس بما نفح فيه من روح الله، والروح والروح عطاءان إلهيان، والقرآن يبعث في الإنسان إرادة الاجتهاد والبحث والنظر، والإنسان يبعث في سطور القرآن الأمل والحياة، فيكتمل الوعي والروح، والتنزيل والإنسان.

السؤال الثامن:

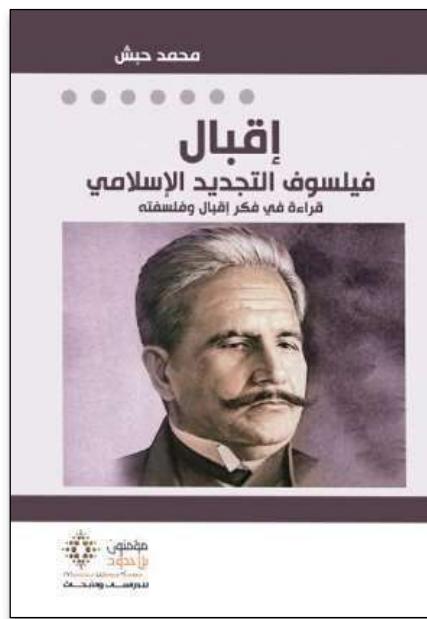
التحرر من أسر العقل التوكلي السلي ي يحتاج إلى ضخ فكري وعلمي واسع، إضافة إلى المطالبة بإدخال الفكر التنوير بصورته العامة ضمن مناهج المدارس بشتى مراحلها.

لو طلب منكم وضع خارطة طريق لنشر التنوير الإسلامي. هل يمكنكم وضع برنامج متدرج لنشر الفكر التنويري؟

ما أهم القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى التنوير في مرحلتنا؟

هل توافقون على بناء أذرع مادية للتنوير الإسلامي أم ترون أن التنوير بناء فكري عقلي لا يحتاج إلى بناء مؤسسة خاصة به؟

لعل أفضل من واجه العقل الاتكالي والتفويض للقدر هو العلامة محمد إقبال الفيلسوف والشاعر الإسلامي الأشهر، فقد وقف بوضوح ينكر عقيدة القدر، حيث كانت هذه العقيدة تدفع المسلمين في الهند إلى الرضا بالواقع المهيمن الذي كان يواجههم والقعود عن التصرف والمواجهة ، وقد نشرت كتابي إقبال فيلسوف التجديد الإسلامي الذي شرحت فيه بالتفصيل دور إقبال في نهضة المسلمين في الهند ومعالجته لأخطر أمراضهم التي كانت تروجها المدارس الدينية التقليدية الخاوية من أي وعي بالمستقبل والمسجونة في قيود الغابرين.



كتب إقبال نصوصاً كثيرة تعكس رأياً مختلفاً تماماً في القدر، وبالتالي يكيد فإنه لم يكن ليقبل أبداً الفهم السائد للقدر بأنه ذلك الكتاب الحتم الذي ألغى إرادة الإنسان وأحاله إلى محض آلة بكماء تقع عليه فيها نوازل القدر، ويرى فيها على الموت السكر، ويرضى ببؤس الأقدار مستسلماً بالعبودية والخضوع....

وفي مواجهة مباشرة مع الفهم التقليدي للقدر بأنه الخضوع لإرادة الدهر كتب إقبال عبارات ثورية مباشرة فقال: إنه من المخجل أن يكون القدر جزءاً من العقيدة!! إنه شيء اخترعه الأمويون لتأمين خضوع الناس لإرادتهم!⁵

لا شك أن تعابيرات إقبال في مسألة القدر لا تتنسق على الإطلاق مع الفهم الأشعري التقليدي في الاعتقاد، ومن الواضح أنها تبدو ردة صارخة، أو انقلاباً معزلياً على أقل تقدير، تذكرك بالمفكري العقلانيين الذين يرون أن الأقدار تكتب بعد وقوعها، مستدلين بالنصوص القرآنية: ونكتب ما قدموا وآثارهم (سورة يس 12)، ستكتب شهادتهم ويسألون (سورة الزخرف 19)، كلا سنكتب ما يقول ويأتينا فرداً (سورة مريم 79)، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق (سورة آل عمران 181)

وقد قارب إقبال في شعره موقف الفلسفة السينائية والفارابية التي التزمت دليلاً وجود الخالق ولكنها أنكرت دليل العناية، واعتبرت الإنسان في هذا العالم سيد

⁵ إقبال، محمد ، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 132

قدره، وأن الله خلق الكون وأحكم سنته، وشاء أن تتولى هذه السنن إدارة العالم، دون أن يكون فيها مكان للخوارق أو الامتيازات.

ولكن إقبال لم يكن يخوض حواراته على نسق جدل اللاهوت العقيم هذا، لقد كان يعالج مسألة القدر في نضال الإنسان وقيامه، وتحديه للطبيعة من حوله، وصناعته أقداره بيده، وهو أفق آخر في الجدل لا يشبه في شيء جدل اللاهوت العقيم..

ويمكن القول أن إقبال تجاوز ابن سينا بأشواط كثيرة، حيث انتهى من جدل الخلق والعناء، وانطلق مباشرة إلى فقه الشراكة والتكامل، حيث لا يكون الإنسان شيئاً من أشياء الله، بل سراً من أسراره، وقدراً من أقداره، وسيداً في مملكته، وفي بيام مشرق كتب قصيده الجريئة كما ترجمها عبد الوهاب عزام:

أنت خلقت الليل... وأنا صنعت المصباح

أنت خلقت الطين... وأنا صنعت الأقداح

أنت خلقت الغابة والجبل والصحراء ..

وأنا صنعت الرواق والبستان والكرم

أنت خلقت الحجر وأنا صنعت منه المرأة

أنت خلقت السم وأنا استخرجت منه الترياق..

لم أعد أنتظر أن تقد لي السماء أقداري على نسق مرادها وقرارها، وفق مواعيد الخلق المرتبة من الذرة إلى المجرة، لقد أصبحت سيد قدرى، وأنا من ينتقي من لوحة الخلق ما أحقق به ذاتي، و يجعلني أهلاً لتسجد لي الملائكة وتسخير الأكونان.

لقد أعاد كتابة الإنسان بلغة لا وجود لها في تراثنا الفقهي، وبدلاً من لغة الفقهاء التي كانوا يصدرون بها كتبهم بصيغة العبد الفقير، والضعف والعاجز، نادى إقبال مثاله بوصف مختلف: الإنسان الحر، الجسور، المتمرد، القلندر، الإنسان المتجرد، وهو شائع في كتاباته وشعره، وحين يريد أن يشير إلى النزعة العرفانية فيه كان يسميه بالدراوיש، ولكنه يصر أيضاً أنه درويش لا يأبه لصارم ومهند، ولا يرهبه زحف ولا جيش.

ذهب الدراوיש الذين عهدهم لا يأبهون لصارم ومهند

وبقيت في كنف يتاجر شيخه بوشاح فاطمة ومصحف أحمد

أما وضع خارطة لنهوض التنوير فلا أعتقد أن أحداً يسعه فعل ذلك، التنوير جهد متفاعل، ينهض به رجال متميزون، لا يتخرجون من مدرسة محددة، ولكن يستيقظ في جوانحهم رسالة لإنقاذ لأمة غارقة في الشتات والهوان، فيبحثون عن سبل القيام والنهضة، ويكتشف بعضهم بعضاً ويعملون على توحيد صفوفهم.

إن علينا أن نوفر البيئة الحقيقية للفكر والتنوير ولكن قرار الناس في دخول هذه المواجهة هو شأن يعنيهم، وربما نفشل في الإحساس بمواقع الجيل الجديد فيبدو تنويرنا في غير معنى، وينصرف عنا الجيل الجديد، وربما نلامس حاجاتهم فسيبادرون متابعين لدعم رسالة التنوير.

هي مسألة تفاعل تاريخي ديالكتيكي، فالعالم كله ليس حقيقة قارة، بل جدل متلاطم.

السؤال التاسع:

علمنا أن مؤسسة تدعى "تكوين" تم إنشاؤها في مصر. ما أهداف هذه المؤسسة؟ ومن يقف خلف تمويل اباحتها؟ هل الحكومة المصرية هي من دفع إلى إنشائها ليواجهوا بها تنظيم الإسلام السياسي المصري "الإخوان المسلمين"؟

هل تتوقعون بإمكانية إنشاء مؤسسة أبحاث تنموية في سوريا؟ وهل تؤيدون هذه الفكرة؟

مؤسسة تكوين هي واحدة من عشرات المؤسسات التي تقوم في العالم العربي بهدف مواجهة الثقافة السائدة وتقديم قراءات جديدة، وقد أثارت هذه المؤسسة جدلاً كبيراً بسبب طبيعة بعض المؤسسين وحضورهم الإعلامي الكبير، ولكنني لا أعتقد أنها أهم مؤسسات الفكر الجديد، فهناك دور نشر أصدرت مئات العناوين وكلها في إطار التنوير وتحصصت في نشر فلسفة تجديدة مخالفة للوعي السائد، ولو شئت لععددت عشرات من مراكز الأبحاث ودور النشر الجادة التي تقوم بهذا.

أما أن هذه المؤسسة ممولة حكومياً، فلست في موقع يسمح لي بإصدار الأحكام، ولكنني لا أرى في توجه المؤسسة لإطلاق رسالتها أي خطأ في البحث عن التمويل، والتمويل الذي يتم الغمز والهمز به من قبل الساخطين ليس بالضرورة شأنياً سلبياً، بل هو تكامل مصالح، وهو مسؤولية الدولة في حماية التنوع، فالبرامج التقليدية كلها مدعومة من الدولة، والدولة في مصر تنفق على مئات الآلاف من المساجد وعلى الأئمة والخطباء والأزهر وهذا واجبها، وكذلك فإن حماية التنوع هو واجب الحكومات أيضاً.

وحق التمويل الخارجي فهو أمر طبيعي أيضاً ومراكز الدراسات تتنافس دوماً في اقتراح برامج حيوية وفعالة تستهدف المشاريع الاستراتيجية للدول وتحصل على التمويل وهذا كله يكون عليناً ومكشوفاً، بل إن الأنظمة الديمقراطية باتت تنص في قوانينها على وجوب الإعلان بأن هذا المشروع ممول، ومن حق الناس أن تعرف ذلك، ولا يوجد في ذلك أي خطأ قانوني أو حقوقى، وعادة ما تقوم الدول الغربية بتمويل مشاريع ثقافية وبحثية ويتم ذلك بشكل علني وواضح الأهداف، كتعزيز الديمقراطيات والحريات وحقوق الإنسان، وتقوم بمتابعته ومراقبته هيئات حكومية محاسبية تخضع لمتابعة دقيقة من الحكومة والمعارضة على السواء.

أما الفكرة المohoومة في أن جهات ما تملك الملايين وتريد أن تنفقها لنشر أفكار شاذة أو غريبة وفق ما نقرؤه في بروتوكولات حكماء صهيون المزعومة إذا أردت أن تدمر بلدآ... وإذا أردت نشر فساد في مجتمع، وإذا أردت إبادة الأخلاق والأديان، فهذه من وجهة نظري أوهام، لا وجود حقيقي لها، وإن ظهرت في نطاق محدود فهو خليط بين الوهم وبين الرعاب المتبادل من الآخر.

لا أعلم تفاصيل قيام مؤسسة تكوين ولا نظامها الداخلي، ولم يسبق لي تعامل معها، ولكنني لا أحتج لافتراض الأسرار فيها ، بل إنني أعتقد اننا بحاجة إلى ألف تكوين لنصحو من غبار القرون.

الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية

حوار مع صحيفة يكتي الكردية 2 أكتوبر 2024

يكتي ميديا

نعتنا على فيسبوك

آخر الأخبار قراءة

محدث أوسن: المجلس الكردي يستعد لزيارة مطلع فبراير موريا 10 يوم مضى

معرض روماتك، تمام أصوري 2022 10 يوم مضى

الباحث - ويشن ظرفستان يسكن وقا من الاعد انسان ظرفستان 10 يوم مضى

الشارع العود المفدى والخطيب في مدينة سمنة 10 يوم مضى

مشفى حصان اسفل مرکمة وخدمات سمنة 10 يوم مضى

الباحث - ويشن ظرفستان حسنه جي 10 يوم مضى

معرض روماتك، سطوط ظرفية 10 يوم مضى

حوارات الكشافة لغير الكشافة في مدينة الصالحة 10 يوم مضى

لقاء وليمة على الحسنة بعد لقائه العازل عن مراكش الاشتراك 10 يوم مضى

الحسنة خطيب، سفير ارمة الخطيب 10 يوم مضى

التحميل المزيد

الرئيسية / لقاءات وحوارات / المفكر الإسلامي والأكاديمي الدكتور محمد حبش في حوار مع يكتي

لقاء وحوارات

المفكر الإسلامي والأكاديمي الدكتور محمد حبش في حوار مع يكتي

الدكتور محمد حبش من مواليد دمشق 1962، وهو عالم وفقيه إسلامي وبرلماني سامي وأكاديمي من سوريا

نشأ في مدرسة عمه (والد زوجته) الشيخ محمد كفتارو للعلوم الإسلامية في دمشق وحالياً الإجازة في التربية من جامعة دمشق، وله إلزام درجات انتساب في الجامعات العربية والإسلامية، من جامعات دمشق، وحالياً، يعيش في حلب، على

2024, 10: 1,811

سؤال

التنوير مصطلح إشكالي فيصفه البعض بأنه آفة العصر والآخر يصفه بالخروج عن القصور العقلي ورفض الوصاية، حيث تم تنظيم المئات من المؤتمرات، ولم نجد تقدم مثير في هذا المنحى، فما زال الخطاب الديني المتأزم مسيطرًا" حيث الطائفية والمذهبية وزيادة ثقافة التطرف، وأنتم تبنيتم مشروعكم فكريًا عن خطاب التجديد برأيكم دكتور ما هو مفهوم التنوير الذي تستمدون منه مشروعكم حول التجديد؟

أطلق مصطلح التنوير على مساهمات الحكماء من فلاسفة أوروبا حين قاموا بالثورة على ظلمات العصور الوسطى بعد قرون من سيطرة اللاهوت على الحياة في أوروبا، وما نتج عن ذلك من خنق لروح الإبداع والتجديد، وامتهان لكرامة الإنسان وحقوقه.

ولعل من اللافت أن المصطلح لم يجد رواجاً في أعمال الرواد في النهضة العربية، الذين استخدموه مصطلح الإصلاح الديني، فيما رأوا في مصطلح التنوير نرجسية متعالية، حيث تقتضي وصف الآخرين بالظلم، كما أن الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة خلال العصور الوسطى، ولم يكن مشروع النهضة يستهدف طمس التاريخ الحضاري للأمة بقدر ما كان يريد استنهاضها على قواعد المعاصرة والعقل.

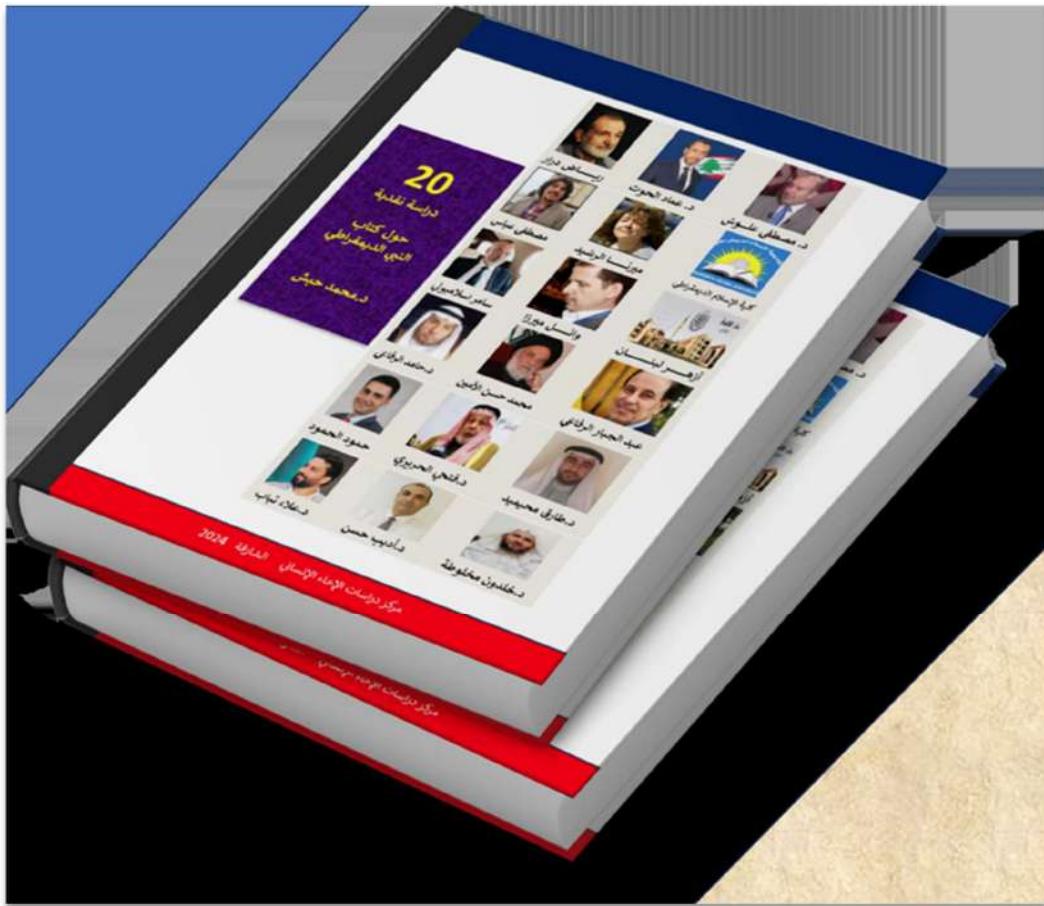
وبعيداً عن المصطلح فإني أتفق معك بحزن في وصف الواقع، فنحن لا زلنا نعيش في محيط متزمت، يعيش في الحاضر ويحتكم إلى الماضي، ويختار من الماضي أشدّه تطرفاً ولم ندرك بعد أن منطق الحياة يقتضي أن يكون المستقبل هو المقدس وليس الماضي

1- وما هي أبرز العقبات التي تعيق تجديد الخطاب الديني وسبل الحل؟

يعاني خطاب التجديد الإسلامي عموماً من قيود اللاهوت التي تمنع العقل من أداء دوره، وتفرض نفسها سلطة على العقل ترسم له حدود التفكير، وتنعنه من التفكير

خارج الصندوق، وتكرر القواعد القمعية المستمرة: قف على ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وقفوا، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف، وكل إبداع ضلاله وكل ضلاله في النار.

وهذا الفهم القاصر للشريعة كان يقف تاريخياً ضد كل تنوير، وضد كل تجديد، ولذلك رأينا رجال الدين يحرمون على الناس كل جديد، بحجة أنه لم يأخذ به السلف، ولعل من أوضح هذه المفارقات هو موقفهم من الديمقراطية التي اعتبرها المتشددون شركاً وكفراً، وكلنا شاهد اللافتات الكبيرة التي رفعها المتشددون في محافظات سورية تخضع لحكمهم بعنوان الديمocratic كفر، وقد واجهت هجوماً عنيفاً من المتشددين حين أصدرت كتابي: النبي الديمocratic، وعلى الرغم من أنهم لم يقرؤوا حرفًا من الكتاب ولكنهم اعتبروه إهانة وبدعة وشركًا، مع أن الكتاب يورد أوضح الأدلة على موقف النبي الكريم من الشوري والديمocratic ومشاركة الناس في الإدارة والتشريع، وقد أوردت فيه 48 موقفاً تخلٍ فيها الرسول عن رأيه وموقفه، واستجابة لمطالب الجمهور، وحاجات الناس ومصالحهم الحقيقية.



بل إن ذهنية التحريرم كانت تطال كل جديد ولعل من أوضح الأدلة على ذلك موقف المشايخ من الطباعة، فحين ظهرت الطباعة في القرن الخامس عشر، أفتى رجال الدين بتحريم طباعة القرآن، وحين طُبع القرآن الكريم عام 1507 في روما، أفتى مشايخ الأزهر والأسنانة بتحريم النظر فيه وتم إتلافه بالكامل، وظللت الفتوى بتحريم طباعة القرآن عدة قرون، وحين رخصت الدول العثمانية أول مطبعة في استانبول لإبراهيم منفرقة 1724 م نص قرار الترخيص على منع طبع القرآن!! وذلك استناداً إلى أن ذلك بذلة في الدين، وزيادة مرفوضة في الشريعة، وظل التحرير مستمراً إلى أن قامت الامبراطورة الروسية كاترين بطباعة أول مصحف للمسلمين في القوقاز 1777 م، ولم تتم طباعة المصحف رسمياً إلا في عام 1924 م على يد الملك فؤاد في مصر.

والامر نفسه في تحريم التلفزيون والهاتف والبنوك والتأمين وسفر ووجه المرأة وحقها ومساواتها في العمل والكافالة والشهادة والوكالة وكثير من هذه القضايا لا تزال إلى اليوم محل جدل في أوساط التيارات المتشدد، ولا زالت المناطق التي سيطر عليها التشدد الديني في سوريا تقدم نماذج من التشدد لا يمكن تفسيرها، ولا تعبر إلا عن غياب تام للوعي بروح الشريعة القائمة على التسامح.

إن مواجهة التشدد الديني لا تتم بالتشدد العلماني واستفزاز المجتمع، بل تتم بدعم التيارات المتنورة في الشريعة، أولئك الذين يؤمنون بالشريعة ويؤمنون بيقين أنها رسالة تسامح ومحبة وأنها رحمة للعالمين

1- لنخرج قليلاً" على الجانب السياسي وانت كنتم عضو في مجلس الشعب السوري وشخصتم الواقع السوري في أكثر من مناسبة ، وبالرغم من تعدد الجولات الاممية وقراراتها حول سوريا، فلا زال افق الحل غير واضح وتزداد محنة السوريين في ظل مناطق سيطرة النفوذ وسلطات امر الواقع...كيف تنظرون لمستقبل سوريا في ظل هذه اللوحة ؟

وقدت الكارثة في سوريا بسبب الاستبداد، وعدم الاعتراف بمعاناة الناس والمظالم التي ترتكب بحقهم كل يوم، حيث كان النظام يمارس قبضته الحديدية ولا يعترف بالمظالم التي تعاظمت وتعاظمت ثم انفجرت في أجواء الربيع العربي.

شخصياً لم أكن مؤيداً للثورة في سوريا، لقد كنت مؤيداً للإصلاح، وكان النظام يملك هذه الفرصة، ولكنه ضيّعها بإصراره على الجسم العسكري، وتوهّمه بأن الأمر صغير وسينتهّي خلال أسابيع.

ولا شك أن العنف المتبادل وفر الفرصة باستمرار لظهور الجماعات الجهادية المتطرفة وأكثرها تسلحاً وخطورة كان تنظيم داعش الذي صبغ خمس سنوات من تاريخ المنطقة بالدم والموت والجريمة.

بالطبع لا أريد أن أستعرض الأحداث التي يعرفها الجميع، والدور السلبي للتدخل الدولي إيرانياً وتركيّاً بشكل خاص، وما تلا ذلك من تدخل روسي وتحالف دولي لمواجهة داعش، وهو الواقع الذي لا زال مستمراً، حيث باتت سوريا اليوم رسمياً تحت حكم جيوش ستة لكل جيش منها علمه وراياته ومصالحه، فهناك جيش تركي وجيش إيراني وجيش روسي وجيش أمريكي وجيش إسرائيلي إضافة إلى جيش حزب الله والكتائب الطائفية زينبيون وفاطميون وغيرها، وبذلك فإن الحل في سوريا بات دولياً بامتياز.

الحلول باتت اليوم على موائد الدول المتدخلة وبشكل خاص أمريكا وفريق أستانة، ومن الواضح أنه لا توجد أي إرادة دولية لفرض حل على سوريا في الظروف الراهنة.

ولكن المسؤولية الأكبر تقع من وجهة نظري على النظام، فهو لا يزال يملك المبادرة لفتح حوار وطني ينهي الكارثة، ويجب الاعتراف أن ثلاثة عشر عاماً من الحرب المستمرة، أدت إلى سقوط مليون سوري بين قتيل وجريح وسجين، وتشريد سبعة ملايين أخرى، وخروج أكثر من 52% من الأرض السورية عن سيطرة النظام، ولكنه خلال ذلك كله لم يطرح أي مبادرة للحل إلا الحل العسكري، والاستعداد لمزيد من الاعتقال والترصد، ولم يطرح أي مبادرة تهدف حقيقة لعودة الشعب الشريد في دول الجوار على الأقل وهو الواجب الإنساني الأكثـر إلـاحاً وإنـسانـيـة وضرورـةـ.

لم يطرح النظام إلا الحل العسكري، ورهانه على إيران وروسيا مستمر، على الرغم من الواقع المأساوي للشعب السوري وانهيار حياته واقتصاده، وشـرـادـ مـلاـيـنـهـ فيـ الأرضـ.

إنـيـ إذـ أـصـرـحـ بـهـذـاـ لـاـ زـلتـ مـؤـمـنـاـ بـاـنـ النـظـامـ هوـ الـجـهـةـ الـوحـيـدـةـ الـقـادـرـةـ عـلـىـ حلـ الـمـشـكـلـةـ فـيـ الدـاخـلـ إـذـاـ هوـ طـرـحـ حلـلـاـ مـعـقـولـةـ تـسـتـجـيـبـ لـمـصـالـحـ النـاسـ،ـ وـأـعـتـقـدـ

أن أي مبادرة حقيقة ستحظى بدعم دولي وستحظى كذلك بدعم المعتدلين في المعارضة، وبالتالي ستتوفر مناخاً لعودة الحياة الطبيعية إلى سوريا.

يراهن النظام على معافاة اقتصاده وهو مستمر في طرد شعبه، واحتكار السلطة بالكامل لحزبه الحاكم، وبالتالي ستستمر الدول المقاطعة في حصاره، ولن يتحقق أي شيء.

يراهن النظام على الجيش الإيراني وإيران تزداد عزلة كل يوم وتواجه اقداراً مرعبة، وفي تحالفها مع النظام لم تقدم للسوريين إلا السلاح!!!

يراهن على الروسي وقد صرَّح الروسي كل مرة أنه غير معني باقتصاد سوريا وأنه فقط مستعد لتوفير السلاح !!

1- ما هو نموذج النظام السياسي المناسب لسوريا المستقبل ؟

لقد طرحت في منابر إعلامية كثيرة وعبر قنوات مؤثرة على النظام ومنها القناة الروسية أن الحل في سوريا يكون بمبادرة يطرحها النظام للتواصل المباشر مع قوى الأمر الواقع الأربع في سوريا وهي شرق الفرات وشمال حلب وإدلب والسويداء، وعقد مؤتمر 1+4 وفيها يكون النظام مستعداً لتنازلات حقيقة والاعتراف بشكل من الإدارة الذاتية لهذه المناطق المهمشة تاريخياً، والتي لم يجلب لها حكم البعث من ستين عاماً حقوق الإنسان التي يحتاجها الناس، وتسبب في تأخرها وهمودها، وعجز عن حمايتها من التطرف ووقف يتفرج على المذابح التي تعرض لها أهلها خاصة في المرحلة السوداء لسيطرة داعش.

لقد كانت كوارث رهيبة كل واحدة منها كفيلة بإشعال ثورة، والآن أصبحت الأمور أكثر وضوحاً وقد بات أهل هذه المناطق يسيطرون بشكل واقعي على الأرض منذ عشر سنين.

في مبادرة كهذه يشعر فيها الجميع بأنهم سينتقلون إلى واقع آخر، تحرم فيه حقوقهم وإنسانيتهم، وتتولى الدولة في المركز أسلوباً تداولياً من السلطة المركزية بمشاركة الجميع، وتقوم مؤسسات حقيقة بحماية حقوق الإنسان، وأولها المجلس الأعلى لحقوق الإنسان الذي يشارك فيه الجميع ويذهب إلى كل مكان يهان فيه السوريون لإنصافهم ومحاسبة ظالميه.

إن مبادرة 1+4 تقوم على اعتراف الأربع ببعضهم، والتوجه إلى النظام بوصفه طرفاً أساسياً في الحل، وهي نقىض تام لمبادرة 4-1 التي نادت بها منصات التفاوض المختلفة، التي ظلت ترفع اللاءات الثلاثة في وجه النظام: لا صلح لا اعتراف لا تفاوض، ثم وافقت على التفاوض فقط لتسليم السلطة!!! وهي لا تملك من قرار التغيير شيئاً.

ويجب الاعتراف أن أكبر مقتل للعملية التفاوضية التي دعمها المجتمع الدولي في الرياض وسوتشي والعملية الدستورية كانت إصرار الجانب التركي على استبعاد الإدارة الذاتية وهي أكثر قوى السوريين وضوحاً وتنظيمياً وتأثيراً، ومن المؤسف أن قوى المعارضة في معظمها برت ذلك وأيدت الطلب التركي الغاشم، وفسرته وأولته وأعطته بعداً وطنيناً مقاوِماً!!!

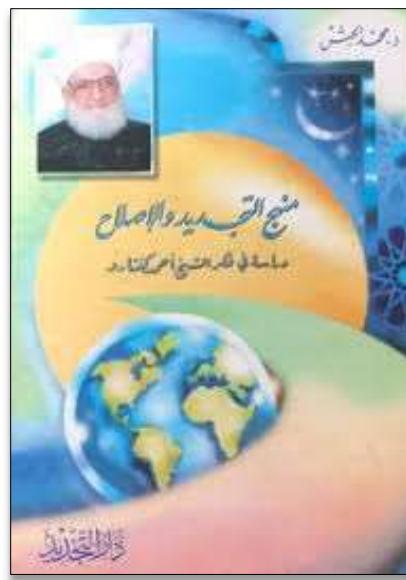
أقول ذلك بكل أسف، على الرغم من أننا حتى الآن لم نجد أي مبادرة لجمع قوى الأمر الواقع في أي سبيل، ولا زال الواقع السوري قائماً على قاعدة 1 ناقص 4 وهو ما يعني الانسداد التام لأي أفق في الحل.

إن نجاح أي جهة محلية وأولها النظام، أو دولية في تحقيق هذه المبادرة، وجمع السوريين على هذه القاعدة 1+4 سيفرض تلقائياً على الدول المتدخلة في الشأن السوري الاستجابة لإرادة الشعب، وحين يلتقي السوريون سيلتقي من حولهم المجتمع الدولي بواقع المصالح المشتركة والأمر الواقع.

1- في مقالة منشورة لكم بعنوان (أشواق كردستان) ذكرتم (لا أعتقد أن المثقف يستطيع حقوقياً ولا أخلاقياً) ان ينكر حق الأمة الكردية في بناء حضارتها وتاريخها ، ولا اكتم موقفي من عدالة القضية الكردية وحق هذه الأمة المغذبة ببناء كيان حقيقي على أرضها التاريخية) ...برايكم دكتور ما المطلوب من الکرد لترجمة الثقافة المترسخة في (أشواق كردستان) ؟

لقد كتبت مراراً في المسألة الكردية، وأعترف لك أني مدين للشيخ العظيم معشوق الخزنوبي في قدرته على شرح مظلومية هذا الشعب الكريم، وقد دفع حياته ثمناً لمبادئه، وبات في ضميرنا شيخ الشهداء.

وفي رحلاتي المتكررة للجزيرة السورية الجميلة تعرفت إلى أهلها عرباً وكرداً وكنت ضيفاً دائماً على الشيخ حميدي دهام الهاדי الجربا، وعلى آل كفتارو وآل حقي وآل الخزنوبي، وأعتقد أنني كونت صورة حقيقة لما يمكن أن يتحققه أبناء هذه الجزيرة الطيبة بثقافتها الكردية والعربية من تنمية مزدهرة ومجتمع نبيل.



قبل مائة عام وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية، أعلنت عصبة الأمم أن العالم بات يؤمن بالدولة الحديثة وأن زمن الدولة القومية قد ول، وأن العالم ماض إلى دولة المواطنة والحرية والمساواة.

كان القادة الكرد خلائذ يفرحون بهذا الوعي الجديد وكان الضمير الكردي يتهيأ ليقدم في دولة المواطنة الحديثة كل ما يملكه من علوم وفنون وآداب وابتكار وتنمية اقتصادية للجميع بدون تمييز، ولكن هذه النوايا الطيبة كانت غافلة عما تتجه إليه المنطقة، ووجد الكردي نفسه محاطاً بثلاث قوميات شوفينية عنصرية لم تمنحه من حقوقه شيئاً، فقد تناهى المشروع القومي الفارسي في إيران والمشروع الطوراني التركي في تركيا، والمشروع البعثي القومي في العراق وسوريا، ووجد الكرد أنفسهم في محيط من القوميات المتعصبة التي لا تعرف بالآخر إلا في سياق تبعية

تمامة، وقال لهم الترك والعرب والفرس كلمة واحدة: تكلموا لغتنا وتخلوا عن هويتكم وأنتم جزء من دولنا القومية!!

لقد تعاملت في المظالم الكردية وتقدمت من موقعي البرلماني بأكثر من مشروع قانون لمنح الهوية للمواطن الكردي الذي وجد نفسه على الحدود منذ خمسين عاماً لا يعترف به أحد، ولا يمنح حق وثيقة ولادة!! ولكن هذه المشاريع كانت تصطدم دوماً بمشروع التعريب القسري في الجزيرة وكانت تفشل باستمرار بحجة الحفاظ على الأمن القومي.

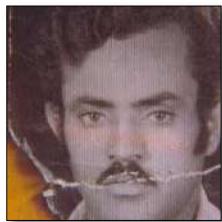
إنني مؤمن تماماً بوحدة سوريا، ولكني مؤمن أيضاً بالحلم الكردي في قيام دولة مستقلة آمنة، يتم الوصول إليها عبر تصويت برلماني يتأسس على مصالح الناس وحاجاتهم، وليس على السلاح وفرض الأمر الواقع.

لقد شهدت بريطانيا في العام الأخير جهوداً كبيرة لاستقلال اسكتلندا عن بريطانيا على سبيل المثال، وتمت مناقشات حامية في البرلمان، وقدم كل فريق قناعته، ولم يقل أحد لأحد إنكم تخونون بلادكم، ولو نجح حمزة يوسف في إقناع البرلمان البريطاني بالتصويت لصالح مشروعه في استقلال اسكتلندا فسيحترم الجميع ذلك، وقناعتي أن ذلك ممكناً في المستقبل القريب وقد يكون من مصلحة الأمتين الإنكليزية الإسكتلندية.

لماذا تقوم دول مستقلة مثل جيبوتي والبحرين وسيشل ولินخشتاين وموناكو لا يزيد سكانها عن بضعة آلاف، في حين يحرم الشعب الكردي ب Maliyinna الثلاثين من حلم طبيعي وفطري وإنساني.

قناعتي أن اللحظة الآن هي الاعتراف بمظلومية شرق الفرات، وحقه في تنظيم أموره لكل أبنائه، ضمن الدولة السورية الواحدة، وأن الاستقرار في المستقبل والنضوح البرلماني كفيل بأن يفهم الناس معنى قيام حلم كردي جميل يجمع الملايين الطيبة التي تؤمن بشمس كردستان، عبر الديمقراطية والسلام والمحبة في دولة واحدة تحيي مجد الكورد، وتفاعل مع التنوع الاجتماعي فيها بإيجابية واحترام، وتقدم ما يدهش العالم.

الحوار السابع: أحمد كامل - مركز حوار الثقافات - فرانكفورت



محمد كامل – مركز حوار الثقافات – 5 كانون الأول 2024

الصفحة الرئيسية | الجاهات ثلاثية | لقاءات خاصة | قراءات عامة | الوسائط المتعددة | آراء الكتاب | من نحن | ابحث هنا |

الأخير قراءة

الأخير هنا	سيف الدين: ثانية التجدد عن النسخة والنقل والترجمة	21.09.2024
الأخير هنا	الحوار الصلوة: كيف تعلم القرآن الكريم الملايين من مختلف	21.09.2024
الأخير هنا	كتاب يكتبون: هاجرة الكاهنة وربيعه الداعي في شعر المغارب	21.09.2024
الأخير هنا	المكتبة الفقهية: شرعيون إسلاميون في المغارب	22.09.2024
الأخير هنا	الحوار الغن، ملتقى المغاربة للرواية من بيدل المغارب	21.09.2024

محمد حبش

محمد حبش: التجدد الديني عبر الاجتئاد الفقهي

محمد حبش (05-12-2024)

"مركز حوار الثقافات CDC" ، مركز دراسات متخصص في طرح قضايا "حوار الثقافات" ، تم تأسيسه في فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، عام 2024، على ضوء تصاعد أهمية التفاعلات الثقافية عبر العالم

مركز حوار الثقافات

بقلم **أحمد كامل**

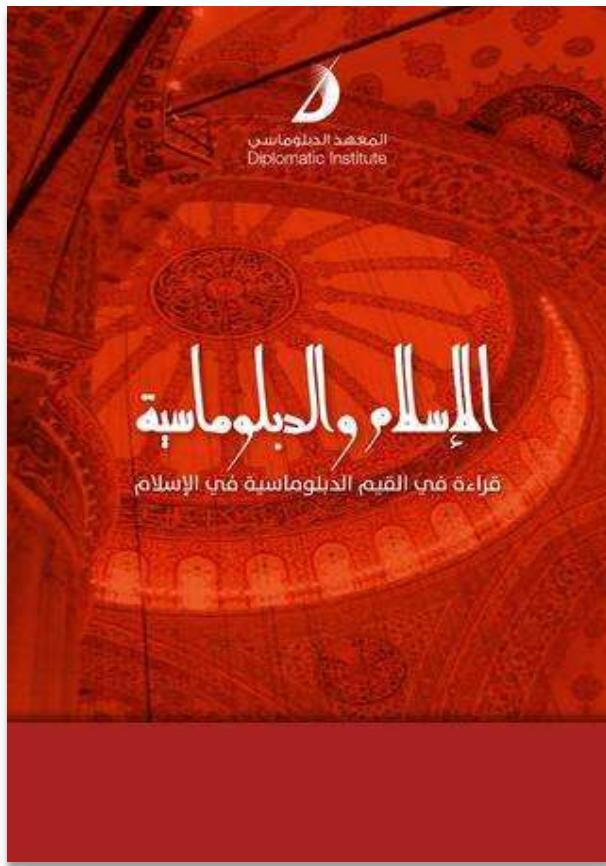
تعريف حول مشروع الدكتور محمد حبش

للإسلام قدرة ذاتية على التجدد والتطور الديني، هذا ما رأه المفكر السوري محمد حبش (1962م)، وهو الأمر الذي حدث باستمرار في فترات تاريخية مختلفة، أهمها في حياة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما يرى أن الإسلام تطور أكثر من مرة وفقاً للاحتياجات الاجتماعية للناس في عهد النبي.

ورغم القدرة الذاتية للإسلام على التجدد، فإن رجال دين وقفوا ضد التجديد بالمرصاد، ورأوا في أي محاولة تجديد أو استخدام للعقل أو الفكر تجاوزاً ضد الدين ذاته، مخالفين في ذلك طبيعة الدين نفسه، فهم فعلوا ما جاء الإسلام لمحاربته في اتباع تقليد الآباء والتزام ما هم عليه.

المفكر السوري "محمد حبش" يعطي للفقيه أهمية كبيرة في مشروعه، ويفرقه عن رجل الدين الذي يمارس الوعظ ويدعو للعودة إلى الماضي؛ فالفقيه يجب أن تتسع معارفه وصلاحياته؛ فيجب أن يكون الفقيه على اطلاع بالنصوص الدينية والقانون والعلوم الإنسانية، ليصبح علمه شاملاً يلغي أي اشتباك بين الاجتهاد الديني والعمل القانوني أو المجتمعي.

وضمن "حبش" مشروعه الفكري في مؤلفاته، التي زادت على الخمسين مؤلفاً، مثل: "النبي الديمقراطي" ، و"إسلام بلا عنف" ، و"المسلمون وعلوم الحضارة" ، و"سيرة رسول الله" ، و"المشتراك أكثر مما تعتقد" ، و"منهج التجديد والإصلاح" ، و"المعتمد في أصول الفقه" ، "والإسلام والدبلوماسية" ، وغيرها.



تجدد الإسلام

يرى "حبش" أن الإسلام قادر على التجدد باستمرار، وشريعته متطرفة ومتعددة بشكل دائم، والعالم الإسلامي يمتلك منهجاً قادراً على تطوير الإسلام، وهو منهج قديم ممتد في التاريخ الإسلامي على يد العديد من الخلفاء وال فلاسفة والفقهاء؛ في المقابل، فإن معظم رجال الدين وأتباعهم، يرفضون هذا الاتجاه، ويررون في أنفسهم ورثة الأنبياء.

يقول "حبش"، إن الشريعة والفقه الإسلامي يتطوران باستمرار، لا سيما في قطاع المعاملات الفردية والجماعية وتطورات المجتمعات الإسلامية، والفقهاء سواء العاملين في الفقه الإسلامي أو في القانون أو علوم الاجتماع، يقومون بشكل مستمر بتطوير الفقه الإسلامي، وفقاً للتحديات العصرية الجديدة، لا سيما وأن التجديد الديني يحتاج إلى تكافف رجال الدين والفقه مع رجال القانون ورجال الاجتماع، لتلبية الاحتياجات العصرية للمجتمعات، على أن يطرح رجال الدين فكرة النزاع بين الشرع والقانون التي تقف حائلاً ضد التجديد، حسب قوله.

رفض التجديد

يوضح "حبش" أن رجال الدين، الذي رفضوا التجديد ووقفوا له بالمرصاد، يرون في محاولات التجديد التي مارسها فقهاء وفلاسفة، تجاوزاً ضد الدين وضد العقيدة والثوابت، فيقتصرُون على العمل الديني وفقاً لمصادرِين هما الكتاب السنة، ويرفضون أي مصادر أخرى ويشككون فيها، ولا يسمحون بأي إعمال عقلي إلا في تفسير النص الديني، وفق قواعد ثابتة جامدة، ويقتصر الاجتهاد عندهم في قياس المسائل الجديدة على الأحكام الفقهية القديمة، ويرفضون الأدلة والبراهين العقلية التي يقدمها المجددون، بل ويطالبونهم بالتبعة عن "التجديد"، والعودة إلى ما كان عليه السلف، الأمر الذي يقف حائلاً ضد التجديد الديني.

ويذهب "حبش" إلى أن الدول العربية والإسلامية في حاجة ملحة إلى التجديد الديني بشكل عام، وعلى رأسه رؤية متقددة للفقه الإسلامي، تجديد يتميز بتجنب الفتاوي المتشددة والتفكير الاستعلائي، ويقدم خطاباً إسلامياً واقعياً أكثر تسامحاً، ويعطي المجال للخطابات والمشاريع التنموية، فتبني مثل هذه المواقف التجددية والتنموية أصبح ضرورة من ضرورات العصر الحديث والتطورات المستمرة، حتى يستعيد العالم الإسلامي مكانته في التاريخ وبين الحضارات، حسب قوله.

ويرى "حبش" أن العالم الإسلامي يعاني من وجود فريقين متناقضين ومتصارعين فيما بينهما، ويخوضان معركة صفرية، لا يهتم فصيل فيهما إلا بانتصاره على الفصيل الآخر، وهما:

- أولاً: تيار يقدس الماضي، ويرغب في إعادة المجتمعات العربية لعصور السلف، ويرى في التراث حلاً لكل الإشكاليات، وبالتالي يرفض أي محاولة تجديد أو إعمال عقلي.

- ثانياً: تيار يرفض التراث بشكل كامل ويدعو إلى نبذه، ويراه عبئاً على المجتمعات الإسلامية ويدعو لقطيعته ومغادرته للأبد، لأنه سبب التراجع والجمود والتخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي.

يقول "حبش" إن الصراع بين التيارين السابقين، تيار القديم الرافض لأي تجديد، وتيار التجديد الذي ينبذ أي قديم، يمثل صراعاً وجودياً ويهدف إلى كسب الجماهير، الأمر الذي جعل أصوات الاعتدال والعدل والمنطق خافته لا يمكن

الاستماع إليها، ما تسبب في انقسام مجتمعي، بما يستلزم العمل المشترك وإعلاء روح التعاون، والاستماع لصوت العقل، للاستفادة من القديم النافع في تنفيذ الجديد الطارئ، حسب قوله.

فقهاء مجددون

يفرق "حبش" بين رجل الدين والفقهي؛ فرجل الدين تقتصر مهمته على روایة التاريخ والتراجم، ونقل كلام السلف والأولين إلى أسماع الناس، ويهدف بذلك إلى رعاية الأخلاق وتفعيلها، ويرى رجل الدين أن حل المشاكل الدينية يكون بالعودة إلى الماضي، ويستخدم لتحقيق ذلك الروایة عن سلف، وتحصر مصادره في الكتاب والسنة فقط؛ بينما الفقهي يهتم بالشريعة وتجديدها واستنباط أحكام جديدة تناسب العصر الحالي ومتطلباته، والفقهي يجب أن يكون دارساً للشريعة الإسلامية ومصادرها ونصوصها، ويتوسع في دراسته إلى القانون بتفريعاته، إضافة للعلوم الحديثة، حتى يتمكن من أدوات الاجتهاد والتجديد، ويتتمكن من التجديد الديني والفقهي الذي تحتاجه المجتمعات الإسلامية، حسب قوله.

ويعتبر "حبش" أن القرآن مدخل للتجديد الديني، ويشهد بذلك على تطور الإسلام في حياة الرسول عبر الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، والقرآن يمكن من تفعيل آليات التجديد الديني، عبر تعديل الأحكام القديمة وتطويرها واستبدالها، وهي ممارسات يجوز الانطلاق منها وفق القرآن الكريم، ويجب أن تتوفر لأي مشروع تجديدي اجتهادي، كما أنه يمكن نسخ النص أو تعطيل النص وفقاً للإجماع ولمصلحة الأمة، مثل ما حدث في نصوص ملك اليمين، وفرض الجزية وقتل المشركين، التي بطل العمل بها.

ويوضح "حبش" الآراء المختلفة حول نسخ آيات القرآن وتعطيلها:

- نسخ القرآن بالقرآن، وهو مذهب أهل السنة.

- نسخ القرآن بالسنة، وهو مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، ورفضه الشافعي.

- نسخ القرآن بالإجماع، وهو رأي موجود لدى السلف عند العديد منهم، مثل الحافظ ابن عادل الحنبلي وابن حزم الأندلسي- وشمس الأئمة السريخي- وسيف الدين الأدمي، وغيرهم، حسب قوله.

المشاريع النهضوية

يقول "حبش" إن المشاريع النهضوية والتنويرية تواجه عقبات تقف أمامها وتمنع من تطبيقها، ويمكن القضاء عليها عبر خطوات، تتمثل في إلغاء الغلو في اتباع النص الديني، وفتح باب التفاعل معه دون الجمود، وتحديد مقاصد القرآن العلية، التي تمثل جوهر الإنسانية ومبادئه العالمية، والتأكيد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان رجل شوري، تعامل مع الشريعة وغيرها وفقاً لاحتياجات عصره، الأمر الذي ضمنه في كتابه "النبي الديمقراطي"، إضافة إلى تفعيل جهود الفقهاء في تقديم العقل واحترام ما يصلح من النقل، إضافة لـ إعمال العقل فيما لا يوجد فيه نص، مع التأكيد على قبول الإسلام للتطوير المستمر، حسب قوله.



ويوضح "حبش" أن الإسلام دين رسالته السلام، والقرآن ينقسم في خطابه إلى قسمين؛ الأول يخاطب الفرد، والثاني يخاطب الدولة؛ فآيات الجهاد في القرآن، هي خطاب للدولة وليس للفرد، ما يجعل مسائل الجهاد وال الحرب والغزو والسلام، هي مسؤولية الدولة وعلى عاتقها، تقرر فيها كيف تشاء وفقاً للمصالح العليا للدولة والمجتمع، وليس وفقاً لفتاوي رجال دين وشيوخ؛ ونصوص القرآن والسنة المتعلقة بالحرب والجهاد، محكومة بمصالح الأمة وال العلاقات الدولية، وفق ما تقرره الأمة، الأمر الذي يُسقط ما يُسمى محاولات الجهاد خارج إطار الدولة ضمن التنظيمات الإرهابية أو غيرها، وفقاً له.

ويدعو "حبش" إلى قبول الآخر المختلف مذهبياً أو دينياً، في ضوء من السماحة والقبول التي دعا إليها القرآن صراحة، الذي نص على عدم الإكراه في الدين

والعقيدة، وأكَّدت نصوصه على الدعوة بالحكمة والموهبة الحسنة، ويرفض ما تسوقه الجماعات الإرهابية من مقولات مثل أن "الدين مصحف وسيف"، فيرى أنها مقوله خاطئة، فـ"الدين هو الرحمة والحب ورسالة الإيمان والأخلاق" الذي لا يحتاج إلى سيف لأنَّه ليس له مكان في المسجد، ومكانه في القضاء، يحكم به القاضي لا الفقيه وينظمه القانون دون الشريعة، حسب قوله.

وينادي "حبش" إلى الإخاء الديني، بديلاً عن حوار الأديان ومقارنتها؛ لأنَّه لا يمكن تغيير جوهر أو حقيقة أي دين؛ ويتمثل الإخاء الديني في احترام المخالفين دينياً وتقديرهم من القاعدة القرآنية ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ [الكافرون: 6]، إضافة لِإيجاد سلوك اجتماعي بين أصحاب الديانات المختلفة مناهض للكراهية ورفض الآخر؛ فالهدف من الإخاء الديني الذي يدعو إليه المفكر السوري، هو إيجاد إخاء إنساني يُمكن من التعايش المشترك عبر قبول الاختلاف والتنوع، إضافة لِإلغاء ما وصفه بـ"عصر التبشير الديني" وإحلال التراحم مكانه، حسب قوله.



وختاماً، يجتهد "حبش" في مشروعه الفكري لإبراز حقيقة الإسلام القابلة للتطور والتجدد، لتلبية الاحتياجات البشرية في المجتمعات المختلفة، ويبني مشروعه على توضيح حقيقة متمثلة في وجود رجال دين يرفضون حقيقة الإسلام، فيضعون أنفسهم على فترة زمنية مضت وولت، غافلين عن الحاضر ومتطلباته، الأمر الذي يجب معالجته والقضاء عليه عبر توضيح حقيقة الإسلام المتطرفة التي تلبي حاجات الناس، وإيجاد فقهاء مجددين اهتموا بالعلوم الدينية ودمجوها في العلوم الإنسانية الحديثة والعلوم التقنية، حتى يتمكنوا من القدرة على التجديد الديني،

كما أنه وسع في استخدام مصطلح الفقهاء، ليشمل المتخصصين في القانون والعلوم الاجتماعية والإنسانية الذين يعملون على تطوير مجتمعاتهم.

أسئلة حوارية للدكتور محمد حبش

هل الإسلام ثابت، أم أنه دين قادر على التجدد والتطور وفقاً للتطورات الاجتماعية والفترات التاريخية؟

لا أعرف في الدنيا ديناً أو فلسفه أو تعليماً قابلاً للتطور كما هو الإسلام، لقد كانت هذه الحقيقة صارخة منذ فجر الإسلام الأول، وحين جاء الرسول الكريم برسالته وحياً من السماء افترض الناس القدسية المطلقة فيها، وكان الرأي الشائع أنها حقائق نهائية لا تقبل النقاش، وأن البشرية ظلت في عماه وتنبه إلى أن تنزلت النصوص الحاسمة التي تحكم كل زمان وكل مكان.

ولكن التحول السياسي والاجتماعي في حركة الرسول الكريم فرض تغييرات جوهرية وكان أول التحديات الصارخة مسألة تحويل القبلة، فقد صلى المسلمين عشر سنوات نحو بيت المقدس وصارت القبلة رمزاً لهذا الدين تميزه عن ديانات العرب كافة، التي كانت تصلي إلى مكة.، ولكن هذا الواقع تحول بشكل صارخ حين وصل الرسول إلى المدينة فقد كان الحضور اليهودي كبيراً، ديموغرافياً وثقافياً، ولما كان القرآن الكريم قد تحدث مراراً عن التوراة والإنجيل ودعا إلى سؤال أهل الكتاب لمعرفة مسائل الدين العميقه، فقد فهم اليهود هذا التوجه القرآني القائم على تكامل الثقافات في إطار مختلف، حيث مارسوا تنمراً وهيمنة على الدين الجديد، واتهموا النبي والصحابة بالخروج على تعاليم إبراهيم واحتراز ديانة جديدة غير الألوح، وهكذا فقد صار الانتماء إلى قبلتهم ضاراً باستقلال المشروع الإسلامي ونهوضه، وقد اختار الرسول الكريم تحويل القبلة من القدس إلى مكة وجاء القرآن بتأييد الرغبة النبوية: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر المسجد الحرام.

بالطبع القبلة على رأس الثوابت في الإسلام، ومع ذلك فقد تم اتخاذ قرار شجاع، وتم التحول إلى قبلة أكثر انسجاماً مع الدين الجديد، وقد أثار هذا عاصفة كبيرة لدى اليهود في اتهام هذا الدين بالبراغماتية والتحول وعدم الرسوخ، فيما أعلن القرآن الكريم صراحة أن الشريعة سيكون فيها ناسخ ومنسوخ، وتغير الأحكام بتغير

المكان والزمان، وفي سورة البقرة نحو ثلثين آية وردت في تداعيات تحويل القبلة وتطور الإسلام، فالرسالة هي الإنسان وليس الشعائر.

وفيما بعد صار الناسخ والمنسوخ من شمائل الشريعة وكتب فيه كل فقهاء السلف على تفاوت في نقلهم، والجانب الأهم هو أن عدداً كبيراً من الفقهاء الأصوليين جزموا بأن التطور في الدين مستمر عبر آليات معروفة أبرزها النسخ وكذلك التأويل والتقيد والتخصيص والقول بالتشابه وهي مناهج عميقة للأصوليين تخدم في النهاية الفكرة الأساسية وهي أن هذا الدين قابل للتطور وتقديم نسخة متعددة في ضوء الظروف والأحداث والزمان والمكان.

ويجب أن لا نفهم من ذلك أن التطور واقع على نصوص قليلة وقد ذهب ابن حزم وابن الجوزي أن النصوص المنسوخة في القرآن تتجاوز المائتي آية، والعدد مستمر بالارتفاع كما قلنا عبر آليات التقيد والتخصيص والمجاز وحتى النسخ نفسه عن طريق الإجماع.

٤- وفي رأيك ما هو الثابت وما هو المتغير في الدين الإسلامي؟

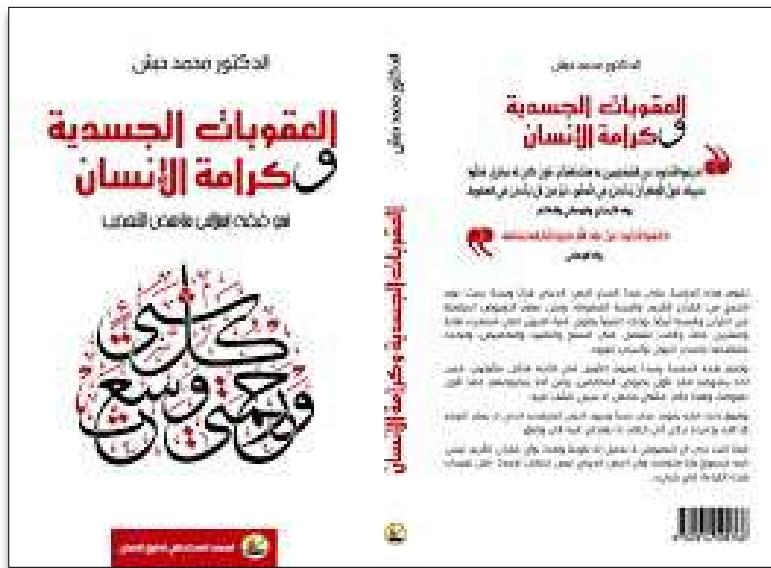
رحم الله الشيخ المعلم جودت سعيد لقد سأله عن الثابت والمتغير فقال الثابت الله!!، وما سواه متحول ومتغير.

لقد أشرنا أن القبلة وهي رأس التوابت في الإسلام، قد تغيرت طبقاً للتحولات الاجتماعية ومصالح الأمة، وبهذا المعنى فإن النص الديني كله في خدمة الإنسان وهو يدور مع الإنسان وجوداً وعدماً.

لقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي نور يهدي لا قيد يأسر، وهو الكتاب الذي تناولت فيه دور النص في الشريعة، ووجوب تحديد موقف الأمة من النص والتمييز بين ما هو نص عبادي وشعائري، شأنه الرسوخ، وبين ما هو نص تعاملي يتناول عادات الناس ومعاملاتهم وأكدنا أن ذلك كله من باب المتغيرات التي تحكمها المصالح العامة.

يكمن الفارق هنا أننا نعتبر المعاملات كلها محكومة بمصالح الأمة، ولو قالت النصوص خلاف ذلك، كما في نظام العقاب بالقطع والصلب والرجم، فهذه الممارسات هي آلات للعقوبة، ويمكن أن تتغير مع الأيام إلى عقوبات أكثر فاعلية

وواقعية، كما تطورت أدوات الحج مثلاً من الضامر والنافقة إلى السيارات والطائرات، وآلات الأذان من الصوت إلى المذيع ، وهكذا.



وهذه القاعدة طبقها بشجاعة الإمام أبو حنيفة عبر مبدأ الاستحسان الذي نص فيه على ترك حكم النص رعاية لمصالح الأمة، أو وفق تعبير خر ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس.

ويمكن القول بأن العقائد والعبادات هي من باب الثابت، دون أن ننفي بالطبع حجم التأويلات الكبير في هذا المقصود بين السلفيين والصوفيين والفقهاء.

أما المعاملات بكل أشكالها من صحة واقتصاد وقانون دولي وقانون جنائي وقانون مدني فهذا كله من المتغيرات التي يجب أن تقدم فيها مصالح الأمة الكبرى على أي موروث من نص أو فقه أو روایة.

- ما هي الملامح التي يجب أن يكون عليها التجديد الديني في الإسلام؟

التجديد الديني أفق كبير، يجب أن نحمي القيم النبيلة التي يمنحها الدين للمجتمع، فالدين في العمق هو أقوى غرائز المجتمع، وهو أكثر الدوافع تأثيراً في الإنسان، وعليه فإن أي إصلاح يتجاهل الدين فإنه لن يحقق الوثوب المطلوب، خاصة في هذا الشرق الغامض المكتنف بالأسرار.

ولكن الإنصات لدور الدين لا يعني التسليم بما قدمه الأولون، والتزام مواقف السلف، بل المطلوب أن ننتج فقهاً وثقافتنا وخياراتنا، فال المقدس ليس هو الماضي الذي صار اليوم مثار الجدل والانقسام والتحارب، بل المستقبل هو المقدس.

كلمة التجديد محببة للجميع لأنها نص في كلام الرسول الكريم، يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمتى أمر دينها، ولكن الكهنوت يلقي على هذه الكلمة قيوداً من الشروط القاسية تجعل التجديد كله في غير معنى، حيث يتم توسيع دائرة التوابت وصيغ الإجماع إلى الحد الذي يخنق كل احتجاد جديد.

إن التجديد المأمول هو ما قامت به الأمم المسلمة الناجحة، كما هو الحال في ماليزيا وتركيا وأندونيسيا والإمارات وقطر والكويت، فهذه الدول حققت قفزات هائلة في التنمية والمجتمع وهي تصر على إعلاء القيم الإسلامية، ولا شك أن خيارات هذه الدول في التوجه الحضاري تحظى بتأييد فقهاء مستبصرين يعملون في أجهزة الدولة الحقوقية والقضائية والتشريعية، وتدعم التوجه الحضاري للبلاد، ولكنها بكل تأكيد على الدوام صدوداً مستمراً من رجال الدين.

٤- وما هي المعوقات التي تقف حائلاً ضد أي تجديد ديني أو اجتهداد حقيقي؟

من الطبيعي أن تواجه حركات التجديد تحديات كثيرة، فترك المأثور أشد من ضرب السيف، والناس أعداء ما جهلوه، والقرآن الكريم شرح ذلك في آيات كثيرة، وصفها المعلم جودت سعيد بأنها النزغات الآبائية، وقالوا بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا، وهذا هو التحدي الذي واجهه الأنبياء جميعاً، وقد فصل القرآن الكريم هذه الحقيقة في مواجهة إبراهيم مع أبيه آزر، الذي رفض بشدة دعوة إبراهيم لأنها تخرج على تقاليد الآباء وما استقر عليه أمر دينهم، ورفض آزر دعوة إبراهيم وقال لأرجمنك، وفي النهاية شارك في إلقائه في النار، وكان إبراهيم يقول ألو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟

وقد شرح نيتشه هذه الحقيقة بقوله لا تأخذك الظنون بأن الناس ستبتهج لمن يقول الحقيقة، منذ القدم والبشر لا تعاقب إلا من يقول الحقيقة ، إذا أردت البقاء مع الناس شاركها أوهامها، الحقيقة يقولها من يرغبون في الرحيل".

ويمكن تلخيص التحديات التي تواجه تيار التجديد بنقطتين:

الأولى: عبادة النص القديم، وهو ما يقوم به الكهنوت للدفاع عن جذوره الصلبة، حيث يتحول النص الديني من نص إرشادي وتنويري إلى نص مهيمن يمنع استخدام العقل ويرفض الخروج على نهج السلف ويلزم الخلف باتباع السلف، ويتحول اختيار السلف في التنزيل والتأويل إلى نص مقدس يمنع كل اجتهد.

الثانية: الدور السلبي للعلمانية المتطرفة، كما تمارسه التيارات المعادية للدين والتي ترى فيه موروثاً لا يمكن إصلاحه، وتحتار الوقوف في وجه التاريخ والمجتمع، وتقوم بدور سلبي جداً في تشويه كل تجديد حقيقي.

- كيف ترى الفقه التقليدي ومنهجه الرئيسي. في قياس الجديد على القديم؟ وما هو المنهج الذي يجب ممارسته في الفقه حتى يحدث اجتهد وتجديد حقيقي؟

- قلت أن "العالم الإسلامي في حاجة ملحة إلى التجديد الديني ورؤية متقدمة للفقه"، ما هي ملامح التجديد الديني بشكل عام والفقهي بشكل خاص؟

لم يجد الفقهاء حرجاً أن يصرّحوا بهذه الحقيقة الواضحة، واستخدموا عبارة حكيمية تعدد من روائع الفقه العالمي: وهي أن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية وإن ما يتناولها لا يضبط ما لا يتناولها....

مثل هذه التصريحات الفقهية المتينة والحكيمية يتم وصفها اليوم في العقل الفقهي الانفعالي المتعالي بأنها شك بالقرآن وكفر بالسنة، وأن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأنه كتاب الله وحكمه وأمره للأولين والغابرين والحاضرين والآتين والآخرين....

وبعيداً عن العقل الانفعالي الإطلاقي الذي يحكم الأشياء بعواطفه ويحجم عن حكم العقل وبرهانه فإن الأمة منذ عصر عمر بن الخطاب أعلنت عن الحاجة إلى مصدر إضافي على النص يحقق أهدافه وهو القياس، ونص عبارة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: الفهم .. الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه، اعرف الأمثال والأشبه وقس الأمور بنظائرها.

ولكن القياس على النص نفسه لم يصمد أكثر من قرن واحد عندما أعلن أبو حنيفة أن القياس لا يأتي دوماً بالحلول المناسبة وأنه يجب العدول عن القياس إلى الاستحسان وأعلن بالفعل بداية عصر العقل وانتهاء عصر القياس على النص وأن

الاستحسان هو السبيل لمعرفة الأحكام والحكم على الأحداث والشعوب والمستجدات في كل زمان ومكان، وعرفه تعريفاً يقطع كل جدل بقوله: الاستحسان ما يستحسنه المجتهد بعقله، وفي عبارة أخرى هو دليل ينقدح في عقل المجتهد يعسر التعبير عنه.

لم تكن ثورة أبي حنيفة سهلة، فقد تضمنت الإعلان الصريح أننا أمة العقل لا أمة النص، ولم تمر دون حفلة تخوين هائلة، كان أهونها كتاب الإمام الشافعي الغاضب إبطال الاستحسان ومن استحسن فقد شرع، وقول سفيان الثوري: إنه ينقض عرى الإسلام عروة عروة، وقول الإمام مالك إنه يكيد الدين ومن كاد الدين كاده الله!!!

ومع ذلك فقد ثبت أبو حنيفة وأصر على الاستحسان المذهل الذي هو في الواقع احتكماً إلى العقل والبرهان والشوري بمعايير قد تتجاوز ظاهر النص إلى مقاصده.

بالطبع ذهب بعض الفقهاء فيما بعد إلى اختراع تعريفات للاستحسان لا يرضاهما أبو حنيفة ولا ترضي طموحه، وتعيد طموح العقل إلى قفص النص، وتجعله نوعاً من القياس وهو أبعد ما يكون عن طموح أبي حنيفة.

باختصار: علينا أن نأخذ من تراث الآباء الجذوة..... وليس الرماد!

- ثمة تياران فكريان متعارضان في العالم الإسلامي الأول يقدس الماضي ويدعو للعودة إليه والثاني يرفضه بشكل كامل، ما تقييمك للتياران ومدى الحاجة إلى أي منهما؟ وما الذي يحتاجه العالم الإسلامي بالفعل؟

ان ما نطالب به من تقديم العقل واحترام النقل هو المنهج الذي ساد في التاريخ الإسلامي وطبقه بعناء وشجاعة الفقهاء الكرام الذين تصدوا لأمر الناس ونجحوا في تقديم قوانين وشرائع يحتمكم إليها المجتمع.

إننا لا نعيد اختراع الحروف ولا صناعة المطبعة، ما نطالب به هو ببساطة الطريق التي سلكها العالم فجر العصر. الحديث من البحث والنظر والبناء وتمكن من خلال ذلك من عبور العصور الوسطى المظلمة إلى العصر الحديث.

إنها حكاية واحدة يمكنك رصدها في أوروبا وأمريكا واليابان والصين وسائر الدول العظمى التي عاشت معاناتنا المريرة من صراع العقل والنقل، وجرت لقرون طويلة حسم هذه المعركة العابثة، وأعلن رجال الدين فيها حروباً صليبية مقدسة للقضاء

على الزنادقة والهراطقة والعلمانيين، فيما أعلن العلمانيون أنهم سيشنقون آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، ولكن كل هذه الوعود التاربة لم تأتهم بالتقدم المأمول ولا بالحلول الواقعية لتشطى المجتمع، وفي النهاية انتصر صوت العقل في العاصم الحضارية الناجحة وتبنت دساتيرها وإعلانات استقلالها صيغة من احترام النقل واتباع العقل، وهكذا أشرق فجر الحضارة وتوقفت حروب الأديان.

هذا بالضبط ما نحتاج أن نصل إليه لنطوي عصر الخيبات والاصطفافات، وننجح أيضاً في احترام النقل وإكرام العقل، وبناء مجتمع منسجم ينظر إلى الماضي باحترام وينظر إلى المستقبل بقداسة وأمل

- في رأيك ما هو الفرق بين رجل الدين والفقير، وما هي سمات الفقيه التي تحتاجه في العصر الحالي؟

رسالة الفقهاء في التاريخ الإسلامي هي إنتاج الأحكام الملائمة في سائر شؤون المعاملات وليس روایتها كما يقوم به المحدثون.

وأنا أفرق بشدة بين طبقة رجال الدين وطبقة الفقهاء فبينما يقوم رجال الدين ومعهم الرواية والمحدثون بمهمة النقل فإن مهمه الفقهاء ومعهم الحقوقيون هي إعمال العقل وإنتاج الأحكام بناء على مصالح الأمة وتجارب الأمم مع الاستنارة بنور القرآن الكريم.

والفقهاء وفق ما أفهمه وأعلمهم هم علماء الاجتماع والقانون والأساتذة الحقوقيون الذين درسوا الشريعة باتقان ودرسوا شرائع الأمم وأصول الاستنباط وباتوا قادرين على التشريع بما يناسب الزمان والمكان.

وقد بت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسلام يفترض أنه حظي تاريخياً بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء وال فلاسفة، فيما يرفض هذا التوجه بشدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء وال فلاسفة من تطوير الإسلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحججهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصادر الشريعة بمصدرين اثنين فقط هما الكتاب والسنة، والتشكك بالمصادر الأخرى باعتبارها عبثاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفسير النص

الديني والاجتهاد فيه وذلك وفق قواعد وشروط معقدة تمنع التفكير خارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاجتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصر مقاصد الشريعة والاستنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتکاد تنحصر فرصة الاجتهاد عند هؤلاء على المسائل المستجدة والقياس على ما سبق من مسائل.

لقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي: *فقهاء لا كهنة* الذي طبع في مصر



- ما هي الطريقة التي يجب اتباعها مع التراث الإسلامي والنظرية الدينية التقليدية وإنماجها الفكري؟

الإسلام كائن حي يتفاعل ويتکامل ويتتطور، وأن آية اکتمال الشريعة قد تم فهمها بطريقة خاطئة بحيث تقضي على الإبداع والإضافة، وأن الآية كانت في الواقع تبياناً لاكتمال رسالة النبي الكريم في قومه وأنه أدى رسالته في قومه على أتم وجه.

إن الإسلام الذي تأسس بالنبوة والوحى قد اغتنى تاريخياً بجهود علماء كثير وتيارات تنويرية وإصلاحية ومدارس فقهية، ولا شك أن كل الإنجارات الحقيقية للإسلام في

التاريخ أصبحت جزءاً من هوية الإسلام وقد أسهمت بشكل حيوي في التأثير بالوحي والتأثير فيه.

وتؤكد هنا أن فكرة رفض كل محدثة واعتبار كل بدعة ضلاله هو تعميم أدى إلى عكس المقصود، وأوصل الأمة إلى نتائج متناقضة تكرس التقليد وترفض الإبداع وهو عكس ما قصدت إليه الرسالة الإسلامية.

وأنا متمسك بموقفي أن الإسلام يتوجه كل يوم ولا معنى للتوقف عند نقطة محددة باعتبارها نهاية التاريخ مهما كانت مزخرفة بقداسة النصوص، لأن هذا ضد مسيرة الحياة، فالعالم نفسه ليس حقيقة قارة بل جدل متلاطم.

- كيف يمكن التعامل مع النصوص الدينية، وأي منهج يجب التعامل معها؟

القرآن الكريم وهي من الله أشراق به في قلب النبي الكريم محمد عليه السلام، وهو الإشراق نفسه الذي شعر به الأنبياء والحكماء وال فلاسفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح الندية والقلوب السليمة.

والقرآن نص أدي وتربيوي، ولذلك فهو حمال أوجه ويتحمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشابهات لا يعلم تأويلاها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارةً.

ليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسراً، أما العبادات فيتم استكمالها بما روي من الأحاديث الكريمة وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة ببرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.



والقرآن نص مقدس ولكنه محكم بالزمان والمكان، تقيده أسباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصيص العام وتقيد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشبه، وفي سائر الأحوال فهو أيضاً حقيقة ومجاز.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف غلو ومباغة، وهو المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

- هل ثمة صراع بين العقل والنقل في الدين الإسلامي، وهل يمكن حسمه؟ وكيف ذلك؟

المقصاد العليا للقرآن هي المقصاد العليا للإنسانية، وهي لا تحتاج لمصنفات ولا كتب شارحة، هي الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي القيم التي كان يعرفها الأعراب حين يجالس النبي ساعة من زمان ويعلن إسلامه ويتحول إلى قومه مبشراً وداعياً...

إنها ليست أشياء تعلمها ولا هي نصوص قرأها ولا تفاسير ولا شروح... إنها ببساطة القيم المغروسة في الإنسان والتي تحتاج فقط للإرادة والعزم حتى يعلن المرء التزامها والعمل بها.

مات الرسول وليس لل المسلمين فكرة عن مصحف مكتوب ينسخ العقل ويفرض الحقائق من الغيب، ويعزز لهم الخير من الشر، وحين اقترح عمر بن الخطاب جمع القرآن اعتراض أبو بكر غاية الاعتراض، واعتبر ذلك ترفاً لا مبرر له، فلم يرد أي أمر عن الرسول بهذا الشأن، وفي النهاية جرى الاتفاق على جمع الوثائق لأسباب معرفية وتراثية بحثة، ولم تخرج الوثائق من حجرة حفصة بنت عمر إلى منتصف عهد عثمان

هل كانت الأمة خلائذ بدون قيم ولا مبادئ؟ أم أن الناس كلهم كانوا يحفظون القرآن من الجلد إلى الجلد ولا حاجة للتذوين؟ يروي البخاري في الصحيح أن الذين حفظوا القرآن كله على عهد النبي الكريم هم فقط أربعة أشخاص كلهم من الخرج وهم زيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبي بن كعب وأبو زيد، والأخير ليس له ترجمة، والأربعة ليسوا هم الخلفاء ولا قادة الفتوح ولا أمراء السرايا ولا المستشارون الكبار، إنهم الخبراء الوثائقيون الذين يديرون في العادة المكتبة الوطنية في جو أبعد ما يكون عن السياسة والإدارة وال الحرب.

إن المقاصد العليا للقرآن ليست أسراراً بوهيمية ولا عجائب متخيلة إنها القيم ذاتها الذي ما زال الإنسان يناضل من أجلها بفطرته ونقاءه وصفائه، هي التوحيد والعدل والمساواة والرحمة والعفاف والسلام والفضيلة والخير، والرذائل هي بالضبط ما يناضل الإنسان لمواجهته منذ فجر التاريخ وهي الشر والمكر والغدر والخيانة والشرقة والفحشاء، ومع أن فقهاء الإسلام كتبوا طويلاً في المقاصد والقيم العليا للإسلام، وربما كانت أوضح هذه الحوارات في التاريخ الإسلامي هي حوارات الحسن والقبح العقليين التي اشتهر بها المعتزلة، ودخلت في فقه أهل السنة والجماعة عبر أبي منصور الماتريدي، مع اختلاف في الألفاظ والمصطلحات.⁶

ولكن من الوهم أن نتصور أن قيم الفطرة شأن خاص بال المسلمين، بل هي القيم الإنسانية إليها التي تحدث عنها الحكماء وال فلاسفة في كل العصور، والتي يمكن ببساطة اكتشافها في كل دين وفي كل حكمة وفي كل دستور وطني أيضاً.

- ما تقييمك للمشروعات الحداثية والتنويرية، وكيف يمكن تحقيق الحداثة والنهضة في العالم الإسلامي؟

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسنة، فإن كاتب هذه السطور يعتقد أن الفقه الإسلامي في المعاملات يتطور باستمرار، وإن الفقهاء والخبراء سواء كانوا من أئمة الشريعة أو أهل الاختصاص من القانونيين وعلماء الاجتماع الذين تختارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصناعة والسياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير و حقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر. الجديد، وتقديم البدائل الحقيقية للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دساتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمها هو إقناع الجيل بتكامل الشرع والقانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشرع والقانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متعددة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإسلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطاباً إسلامياً متسامحاً واقعياً، وتجنب فتاوى التشدد والاستعلاء، وتفسح المجال للخطاب التنويري بقدر ما يتناسب مع مصالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسمي للحكومات العربية والإسلامية في كل قضايا التنوير مع التحفظ الشديد بالطبع على ما تمارسه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

إن الفقه المالكي مثلاً الذي طبق في القرن الثاني الهجري وحكم به قضاة الحجاز وأفريقيا والأندلس قد تطور اليوم إلى درجة لافتاً، واليوم تستخرج قوانين المعاملات المالية في البلاد العربية من هذا الفقه المالكي، وعلى سبيل المثال فهذه النهضة الاقتصادية الهائلة في الإمارات يحكمها قانون المعاملات المدنية المستمد بالكامل من الفقه المالكي، والذي ينظم كل ما في الدولة من عقود مع أكبر الشركات

ال

في التاريخ الإسلامي تطورت المذاهب الفقهية تطوراً كبيراً، خاصةً تلك التي اعتمدت بها دول إسلامية ناجحة، وألزمت القضاة باعتمادها، وقد أدى ذلك إلى تطور كبير في المذهب كما في المذهب الحنفي والماليكي، وتقوم هذه المذاهباليوم بقيادة الحالة التشريعية في دول إسلامية أساسية، وقد باتت تملك الحلول على إجابات كثيرة، وتقوم قوانين حديثة ومتطرفة على أساس الفقه الإسلامي التشريعية من استحسان واستصلاح وعرف وذرائع.

على سبيل المثال فقد شهدت الإمارات نهضة هائلة نجحت في استقدام أكبر الشركات العالمية لتنفيذ مشاريعها العملاقة من جامعات ومصانع وجسور وطرق وتقنيات كبرى كـ غوغل ومايكروسوفت وتيسلا وغيرها من الأسماء الكبيرة في العالم، وقد تم تطهير كافة العقود من بيع وشراء ووكلة ورهن واستصناع وفي قانون المعاملات المالية الإماراتي الذي صدر في 1258 مادة ويسمى أبا القوانين، وتنص المادة الأولى منه أنه مستمد بالكامل من الفقه الحنفي والماليكي، والذي تتكون مواده من 25 إلى 70 من قواعد فقهية مشهورة من آيات وأحاديث واستنباط فقهي.

ـ انتقلت في فكرتك عن إخاء الأديان من الإخاء الديني إلى الإخاء الإنساني للبشرية كلها، كيف ذلك؟

إخاء الأديان هو المصطلح الذي أتحمس له وأنادي به، وهو يختلف عن توحيد الأديان الذي يعتبر عملاً غير واقعي ولا مفيد، وتثبت الدراسات أنه لمن يكون مقبولاً في أي دين، وكذلك فإني ابتعدت عن مصطلح حوار الأديان الذي يحمل طابعاً تبشيرياً يركز على اللاهوت، وبالطبع فإني ضد صراع الأديان وصدام الأديان، وقد اخترت إخاء الأديان لأنني سأقبل الثقة والتعاون والتكامل مع الأديان على ما هي عليه، ولا أحمل مشروعياً تبشيرياً لإثبات هيمنة دين على دين، ولا أحمل غاية أخرى لتشويه الأديان، بل هو بناء الثقة والمحبة بين أتباع الأديان، واحترام ما تنطوي عليه من قيم نبيلة



ذهب إلى أن الإخاء الديني مسألة هامة وملحة وقد دعا إليها القرآن الكريم، هل ترى في الأديان الأخرى ما يدعو إلى فكرة الإخاء الديني؟

لقد كتبت في هذا المعنى كتابي الكبير إخاء الأديان، وهو مشروع فكري رائد كرست له شطراً كبيراً من حياتي وخصصت الفصل الأول فيه للحديث عن قيم إخاء الأديان في الإسلام، وأكملت بشكل خاص أنها قيم نصية، وليس كما يتصورون أنها قيم عقلية مناهضة للنص، فنصوص الإخاء بين الأديان أكثر من نصوص البغض في الله وأقوى دلالة وأكثر حضوراً.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن إخاء الأديان في التاريخ الإسلامي، وبخلاف النظرة التقليدية التي تقول إن خاء الأديان هو شأن الشطح الصوفي وأن الأمة متفقة على أن الإسلام نسخ وأبطل وحرم وألغى كل قيم الأديان الأخرى فإن كتابي ذهب ليؤكد أن خمس توجهات أساسية كبرى في المجتمع الإسلامي تبدو متحمسة لإخاء الأديان، وهي تيار الفلسفه كابن سينا الفارابي والبيروني وابن رشد، وتيار الصوفية وعلى رأسهم ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، والتيار الإنساني وعلى رأسه عمر بن عبد العزيز والسلطان أكبر شاه ومولانا جلال الدين ومحمد إقبال، وأخيراً وهو الأهم تيار اللجان الحقوقية والتشريعية في الدول الإسلامية الذي يضم خيرة الفقهاء

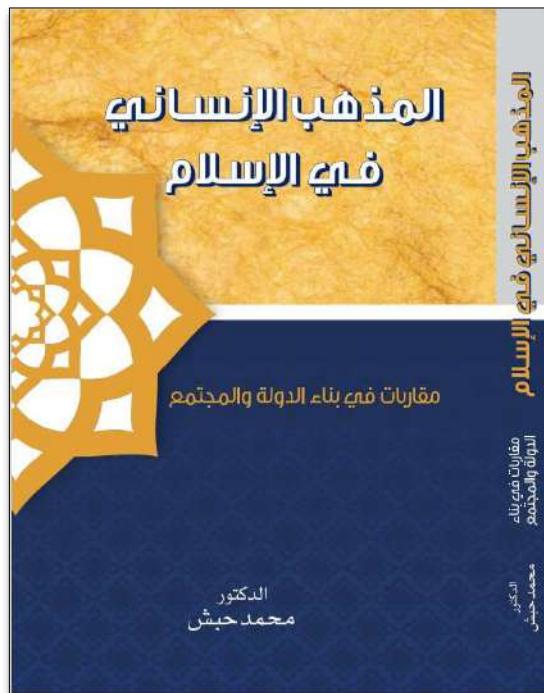
في العالم الإسلامي وقد قام هؤلاء بكتابة دساتير البلاد الإسلامية الـ 57 وتنص كلها باستثناء اثنين أو ثلاثة على الإخاء والاحترام للتعدد الديني ووجوب مساواة الجميع تحت القانون.

كما خصصت الفصل الثالث للحديث عن إخاء الأديان في الأديان الأخرى، ومع أن صيغة احتكار الخلاص هي الصيغة الغالبة في خطاب الكهنوت في الأديان عموماً، ولكنني وجدت أعلاماً مؤثرين في كل دين نادوا بصرامة بإهاد الأديان، حتى في الأديان الإبراهيمية نفسها.

ولعل من المفيد القول أن ديانات الشرق عموماً لا تعرف احتكار الخلاص وهي مستعدة للقبول بالتنوع والاختلاف دون أي حمولة سلبية وقد فصلت ذلك بدقة في مقال لي منشور بعنوان: "تكنولوجيا الإيمان".

ما الهدف من الإخاء الديني وما الذي يمكن أن تتحققه هذه الفكرة للعالم الإنساني؟

الرسالة التي أعمل لأجلها هي رسالة الإخاء الإنساني، وقد شرحتها بالتفصيل في كتابي المذهب الإنساني في الإسلام.



ولكن مشكلة الكراهية في الأرض لها أسباب كثيرة، ولعل من أهمها التعصب الديني وهذه الكراهية هي التي أشعلت سلسلة حروب في هذا الشرق بشكل خاص وقد استمرت للأسف منذ عصور الفتوحات الدينية الأموية والسلجوقية والعثمانية، وبلغت ذروتها في الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا، وكان ذلك كله بلبوس ديني صليبي واضح، وكذلك الحروب الدينية المذهبية في أوروبا التي لم تتوقف طيلة العصور الوسطى، وكذلك الكراهية المذهبية بين السنة والشيعة التي كانت وقود الحرب الظالمة بين العراق وإيران، وكذلك هي وقود حاضر في النزاعات في العراق وسوريا ولبنان واليمن.

إن إخاء الأديان يجب أن يبدأ من هنا، من اللقاء بين الأديان، لأن الأديان هي المنصة التي نسبت للتسامح ولكنها للأسف باتت مركز مشاعر الكراهية، وباتت تصدر فنون الكراهية بين شعوب الأرض.

يجب أن يبدأ الإخاء الإنساني من المعابد، ليس لأنها الأكثر قبولاً لذلك، للأسف، بل لأن أي جهد في الإخاء الإنساني سيقصد بالكهنوت الذي يأمر صراحة بالبغض في الله، وهو بغض لا يتأسس على أي ممارسة بل على محض الاعتقاد، وهذا ما يجبرنا على العمل في هذه المنطقة الخطرة لرفع التحديات التي يواجهها دعوة الإخاء الإنساني.

باختصار المقصود هو الإنسان وليس الأديان، ولكن لا بد من عبور هذا الجسر الرهيب ووتفكيك الألغام التي نصبها الكهنوت فيه للوصول إلى هذا الهدف التibil



الحوار الثامن: رواق ميسلون د. حسام الدين درويش⁷

الصفحة الرئيسية صداقات النشر أطاحتين النشر تقديم مساعدة للنشر عن رواق ميسلون النظام الأساسي مؤلفون ومتخصصون اتحاد العناية التواصل

حوار مع الدكتور محمد حبش حول "إخاء الأديان" لجريدة رواق ميسلون د. حسام الدين درويش

حسام الدين درويش، في تضاد مع ذهنية التكبير وصدام الحفارات. وبالتوالى مع أفكار مقارنة الأديان وحوار الأديان ومقارنة الأديان وتوحيد الأديان وتحاد الأديان... إلخ، وبالنقطتين مع أفكار السماحة والهدنة وقبول الآخر واحترامه وموذجه. يطرح الدكتور محمد حبش أطروحة "إخاء الأديان". في كتاب بحمل العنوان ذاته، وقد صدر عن مؤسسة رلا دودج عام 2021. وفي الحوار الثاني، تحاول تقديم أطروحة الدكتور محمد حبش حول هذا الموضوع في هذا الموضع.

محمد حبش، أسمح لنفسي في بداية الحوار أن أبين لقارئي الكريم بما هيكتي بدخول هذا الحوار مع الباحث والمفكير حسام الدين درويش، فالحوار هنا ليس بين صاحبى وكتاب، بل بين مشروعين فكريين، بالطبع وبرغبات، يجمع بينهما الإيمان بدور حقيقة الأمة العربية والإسلامية والإيمان على تدفقي شراكتها في المشهد الحضاري، كما يجمع بينهما الإيمان العيني بحق الناس في الاحتفاد وإرثه والاتصال.

وأجد من المناسب في مستهل هذا الحوار أن أهنئ الدكتور حسام الدين درويش على خطوه البرتقة في إطلاق منتدى ثقافى ونحاجه في دعم فريق متمنى من المتأهلين، الذي يدعى منتدى رواق ميسلون، وهو منتدى ثقافى يهدف إلى تطوير المحتوى الأكاديمى، وتقديمه بطرق علمية، وذلك من خلال

مجلة (رُواق ميسلون) للدراسات الفكرية والسياسية والثقافية؛ مجلة بحثية علمية، فصلية، تصدر كل ثلاثة أشهر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر، ولها رقم دولي معياري. وتعنى بنشر الدراسات ومقالات الرأي الرصينة ومراجعات الكتب، ويتضمن كل عدد منها ملفاً رئيساً ومجموعة من الأبواب الثابتة. وللمجلة هيئة تحرير متخصصة، وهيئة استشارية تشرف عليها، و تستند المجلة إلى أخلاقيات البحث العلمي، وقواعد نشر محددة، وإلى نواظم واضحة في العلاقة مع الباحثين، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية التقويم.

⁷ كاتب وباحث ومحاضر في عدد من الجامعات الألمانية (كولن، لايبزغ، إرفورت، ديسبورغ-إيسن). حاصل على الدكتوراه في الفلسفة، اختصاص الهيرمينوطيقا، بدرجة مشرف جداً مع تهنئة من لجنة التحكيم (أعلى درجة ممكنته)، من جامعة بوردو 3 في فرنسا. صدر له العديد من الكتب - خمسة كتب باللغة العربية، وثلاثة كتب باللغة الفرنسية - بالإضافة إلى عشرات الدراسات الممكمة والترجمات، باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية. من كتبه (باللغة العربية): "إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية: نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار" (2016)؛ "تصوّصٌ نقدية في الفكر السياسي العربي والثورة السورية واللجوء" (2017)؛ "المعرفة والأيديولوجيا في الفكر السوري المعاصر" (2022)؛ و"في المفاهيم المعاصرة الكثيفة: العلمانية، الإسلام (السياسي)، تجديد الخطاب الديني" (2022)؛ "في فلسفة الاعتراف وسياسات الهوية: نقد المقاربة الثقافية للثقافة العربية الإسلامية" (2023).

2 ديسمبر 2024

حوار مع الدكتور محمد حبش

أجرى الحوار: د. حسام الدين درويش

حسام الدين درويش: في تضادٌ مع ذهنية التكفير وصدام الحضارات، وبالتواري مع أفكار مقارنة الأديان وحوار الأديان ومفاضلة الأديان وتوحيد الأديان واتحاد الأديان... إلخ، وبالتقاطع مع أفكار التسامح والمحبة وقبول الآخر واحترامه ومودته، يطرح الدكتور محمد حبش أطروحة "إخاء الأديان"، في كتابٍ يحمل العنوان ذاته، وقد صدر عن مؤمنون بلا حدود عام 2021. وفي الحوار التالي، نحاول تقديم أطروحة الدكتور محمد حبش حول هذا الموضوع بإيجاز، ومناقشة أهم الأفكار المتعلقة بها، وبحث أهم الاعتراضات عليها أو الانتقادات الموجهة لها، بعرض تعميق النقاش المتوازن في هذا الموضوع.

محمد حبش: أسمح لنفسي في بداية الحوار أن أبين للقارئ الكريم بهجتي بدخول هذا الحوار مع الباحث والمفكر الدكتور حسام الدين درويش، فالحوار هنا ليس بين صحافي وكاتب، بل بين مشروعين فكريين، يلتقيان ويفترقان، يجمع بينهما الإيمان بدور حقيقي للأمة العربية والإسلامية والإصرار على تحقيق شراكتها في المشهد الحضاري، كما يجمع بينهما الإيمان العميق بحق الناس في الاجتهاد والرأي والاختلاف.

والأسئلة هنا ليست مجرد محاولة لفهم الفكرة بل هي إسهام فيها وتعزيز لها، حيث يقدم دكتور درويش في كل سؤال إضافة معرفية قيمة، كما يحفز المراجعات العميقية للوصول إلى شواطئ أكثر استقراراً ووضوحاً.

وأجد من المناسب في مستهل هذا الحوار أن أهنى الدكتور حسام الدين درويش على خطوطه الجريئة في إطلاق منتدى تفاكر ونحوه في جمع فريق متميز من المثقفين الذين يعيشون في الحوض العربي الألماني، ويتبادلون فيه الثقافة والتفاكر مبشررين بولادة جديدة لأفق معرفي حضاري يصل ابن سينا وابن رشد بهيغل وفيورياخ ويبشر. بمنصة فلسفية ومعرفية تتسامى على أطماء السياسة والجغرافيا وتجمع الإرادة الخيرة على الشاطئين المتلاuginين خلال تاريخ طويل.

حسام الدين درويش: أشكرك، جزيل الشكر، على كلماتك الطيبة، وأود، بدايةً، معرفة قصة كتابك "إخاء الأديان": متى، وكيف ظهرت، لديك، فكرته؟ ومن ثم، كيف تطورت وتبورت إلى أن أصبحت كتاباً. وما أطروحتك الرئيسية في هذا الموضوع؟

محمد حبش: منذ نشأتي في مدارس التعليم الشرعي، كان تحكمي فكرة غايات الرسل، فالمسألة في الإسلام تشكل ثلث الإيمان حيث ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأمام هذه الحقيقة الاتفاقية فإن عليك أن تعلن بوضوح إيماناً تاماً بالكتب والأنبياء، وهذا ما يفعله المسلمون كافة، ولكن الشروhat التي ألقاها التراث على نص الإيمان جعلته في غير معنى، وبدلًا من أن يكون الإيمان بالرسل والكتب مدخلًا لبناء أوثق العلاقات مع 87 في المئة من سكان الكوكب الذين يؤمنون بالأنبياء والرسل والأديان، فإنك تجد نفسك مدعواً لتكفير الجميع، والطعن في إيمانهم وإنكار عقائدهم وبيان ضلالهم، ووجوب العمل على التحذير من هذه الديانات ومن أتباعها ومن عقائدها واعتبار ذلك شرطاً للدعوة إلى الله.

وفي إزاء ذلك يستمر التأكيد على وجوب احترام أربعة كتب ضائعة محرفة غير موجودة و25 شخصاً في غابر التاريخ، وردت أسماؤهم في القرآن ولم نهتدِ أركيولوجياً لأي أثر حقيقي لهم في الأرض.

وهكذا تحول العقيدة الراسخة في الإيمان بالأنبياء والكتب من منصة جامعة للبشرية إلى فكرة هامشية منهكة تدعو لاحترام أشخاص غامضين هلكوا في الدهر لا علاقة لهم من قريب ولا من بعيد بهذا العالم الذي يموج بالأديان والعقائد.

فما معنى أن نتمسك بالإيمان بالأنبياء والكتب ونعتبرها رأس الإيمان ثم لا يكون لهذا الإيمان أي أثر في صناعة المحبة في الأرض؟ وهل تعبدنا الله بالإيمان بأنبيائه والإساءة إلى أتباعهم؟ وما معنى أن يخلق الله البشر— وهو يعلم مصائرهم إلى الجحيم ثم يكرر الخلق المرة بعد المرة؟

هذه الأسئلة وغيرها جعلتني أندفع لدراسة الوعي بعقيدة الإيمان بالأنبياء ورأيت أنه لا يستقيم على الإطلاق تصديق هذه الأفكار الاتهامية للخلق إلا عبر قدر كبير من سوء الظن بالخالق سبحانه، وهذا لا يستقيم في منطق إيمان عقلي أبداً.

وأما سؤالك عن الفكرة فقد بدأت بالفعل من المعاناة، لقد تلقيت تعليماً دينياً تقليدياً، ووقفت على التعليم العميق لثقافة الولاء والبراء، لقد بدا واضحاً أن الثقافة الدينية السائدة تأمرك بكراهية الآخرين حتى يدخلوا في الدين الحق، وفي حديث منسوب للبخاري أن الله يأمر آدم يوم القيمة أخرج بعث النار، فيقول يا رب وما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون! وهكذا فإن التربية التقليدية تحضر ضد 999 بالألف من سكان الكوكب، فكيف يمكن أن نبني المحبة في الأرض ونحو نشحن الأجيال الآتية بهذه الثقافة السوداء، وهو أمر لا يمكن تبريره بترك الأمر للأخرة، وأن علينا حسن المعاملة في الدنيا، فهذه الفكرة سرعان ما يرفضها الطفل فإذا كان الله الرحمن الرحيم لن يجد لهم مكاناً إلا في النار فكيف يمكن أن يجدوا مكاناً في قلبي؟

ثقافة الكراهية لها منابت شتى، ولكن يجب الاعتراف أنها تنمو بشكل مرعب في الثقافة الدينية الأحادية، حين يتوقف اللقاء والحوار والإخاء وتنفجر ثقافات الكراهية، وهذا ما يجعل الحديث عن إخاء الأديان على رأس واجبات الإصلاح لبناء مجتمع رشيد.

حسام الدين درويش : لا يقتصر كتابك على تسوية أطروحة إخاء الأديان بواسطة الدعوة إلى إحسان الظن بالله، بل يذهب إلى ما وراء ذلك ويقدم أدلةً (دينيةً) من القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستصحاب، إضافةً إلى الاستناد إلى ما سميتها مبادئ الفطرة والفترة والعدل الإلهي ورسالة آدم وعيال الله. كما تحدث عن المواقف الأخلاقية من إخاء الأديان والمواقف الفقهية المؤيدة والمعارضة لهذه الأطروحة. وسؤال، هنا، هو: ما الحجج الرئيسية التي تستند إليها في دعم تلك الأطروحة؟

محمد حبس : يبدو موقف الذين يتحدثون عن إخاء الأديان ضعيفاً في الوسط المحافظ، وسيرمي أصحاب هذا التفكير بسهولة بالكفر والزندقة والعبث بثوابت الدين، ويفضل كثير من أصدقائي أن نتحدث عن الإخاء الإنساني ولا نمس إخاء الأديان، لأننا في الواقع نواجه ثوابت من النص لا تقبل الجدل، وإذا جئتهم بآية في التسامح جاؤوك بأكثر من ذلك في التعصب والتشدد.

ولكنني في الحقيقة مختلف تماماً في هذه المسألة وأعتبر أن الأدلة الشرعية كافية وواافية، وهي من دون شك أكثر من الحجج التي يستخدمها الإقصائيون، وقد

رصدت الفصل الأول في الكتاب لبسط الأدلة من مصادرها في مسألة إخاء الأديان وقبول العمل الصالح من كل دين، والنجاة في الآخرة لكل مجتهد نبيل، وقد توسعنا في الأدلة من مصادرها العشرة التي أشرت إليها في سؤالك، وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع والاستصحاب وشرع من قبلنا. وعلى سبيل المثال فإنه قد تكرر في القرآن الكريم في أربع عشرة عبارة {صدق الذي بين يديه}، {صدق لما بين يديه}، {صدق الذي بين يديه}، وقد وردت هذه التأكيدات الواضحة مراتاً لدلي الإشارة إلى علاقة القرآن الكريم بالنبوات الأخرى وبالكتب السماوية المنزلة، ومن ذلك مطلع آل عمران: {ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل* من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان*}

وفي الصيغ جميعاً تذكر الكتب السماوية بغية الإجلال والاحترام، وأنها تصدق القرآن الكريم ويصدقها، ولم يرد أي نص صريح في القرآن الكريم يفيد أن هذه الكتب قد نسخت أو بطلت أو فشلت أو تحولت إلى نصوص ضلالة، وإنما هي نصوص وهي إلهي يحمل مضامين تربوية عالية، وهي كالقرآن الكريم كلمة الله، ونوره وهداه، وإن كانت الإشارة قد وردت في الكتب جميعها أنها نور يهدي وليس قياداً يأسر، وأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان، وأن لكل أمة جعلنا شرعاً ومنهاجاً.

وفي تأكيد هذه الحقيقة وردت نصوص واضحة في القرآن الكريم في سورة المائدة وهي من آخر سور القرآن الكريم نزولاً، و شأنها أن تكون ناسخة لا منسوخة، ومنها الآية الكريمة: {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واحشون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}.

والآية صريحة وواضحة بأن التوراة كتاب عظيم من الله، فيه هدى ونور، وأنه مصدر للحكمة والنور، وأنه هدي أخذ به النبيون والربانيون خلال التاريخ، ومن المدهش أن هذه الآية ختمت بالنص الذي يستخدمه الجهاديون دوماً: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، وهو يعني أن هذه النصوص السماوية متساوية، وهي تملك دوراً متشابهاً خلال التاريخ، وعندما يحكم بها الأنبياء والربانيون فهي ملزمة لسائر الرعية، وهي قانونهم وحياتهم، ولكنها تتتطور مع القرون، وتحتاج في كل عصر جديد لشريعة ومنهاج ينسج على منوال مقاصدها. وفي

الآلية دعوة أهل الكتاب للاحتكام إلى التوراة والعمل بمقاصدها، وهي تشمل على القيم والفضائل، كما أنّ فيها من أحكام الشرائع التي تتجدد وتتغير بتغير الأزمان.

ومن المؤكد أنّ القرآن الكريم أشار إلى بعض محاولات من الكهنة وغيرهم لتحريف بعض نصوص الكتاب أو معانيه. ولا يمكن فهم ذلك على أنّه إلغاء لما في الكتب الأولى من هدى ونور، وإنّما هو بمنزلة التنبيه إلى المحاولات المستمرة لاستغلال النص الديني التي لا تتوقف، وقد حاول الأشرار فعل ذلك في القرآن نفسه.

وعلى المستوى المسيحي وردت آيات كثيرة منها قوله تعالى: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}. والآلية صريحة بأنّ الإنجيل كتاب الله وأنّه مصدر أحكام وإلهام، وفي تطبيق الإنجيل أيضًا نزلت الآية الكريمة {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه}، والمقصود مقاصده وغاياته التي دعا إليها، ومن المعلوم أنّ الإنجيل ليس فيه شريعة، بل موعظة ونصيحة، ومع ذلك فقد جاء الوعيد شديداً على الذين لا يحكمون بما أنزل الله فيه، والمقصود بطبيعة الحال المقاصد وليس الأحكام. وفي الآية دعوة للمسيحيين للاعتصام بدينهم وتطبيق ما فيه من الفضائل التي تشتراك فيها الديانات، وهو إقرار جلي بإخاء الأديان وتساويها وتكاملها وبناء بعضها على بعض.

والأدلة كثيرة وقد أوردناها بطولها متقابلة مع أدلة المانعين، ولا يسع أحد أن يلغى اجتهاد الآخر في المسألة، ونحن نتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، ونختار لزماننا وعصرنا ما يناسبه من خيارات المفسرين والفقهاء.

حسام الدين درويش: تبدو أطروحة "إخاء الأديان" جديدةً كل الجدة من ناحيةٍ، وذات رباط وثيق وحضور أصيل في كل الحضارات والثقافات، قدّيمها وحدّيّتها، من ناحيةٍ أخرى. فما الذي يعنيه مفهوم إخاء الأديان تحديداً؟ وكيف نميّز عن المفاهيم الأخرى السائدة المختلفة عنه، والقريبة منه، والمنافسة له في الوقت نفسه، مثل مفاهيم: حوار الأديان، ووحدة الأديان، المقارنة بين الأديان ... إلخ؟

محمد حبش: من المؤكد أن لكل مصطلح حمولة إيديولوجية مباشرة، كما في حوار الأديان ووحدة الأديان وتوحيد الأديان ومقارنة الأديان، وهذا كلّه غير مراد، ولا أشعر أنه يحقق رسالتي في الإخاء الإنساني، فمقارنة الأديان وحوارها لن ينتهي إلا إلى تبادل الريب وتشكيك المحاور بخصمه، وأما وحدة الأديان وتوحيدها فهو مشروع فاشل

وغير واقعي، ولن ينتج عنه إلا دين جديد يجمع تشوهات وتناقضات لا تجتمع في سياق.

لقد اخترت مصطلح إخاء الأديان الذي يحمل مفهوم الإخاء والاحترام للمختلف الديني أيًّا كان دينه و موقفه الاعتقادي، ومن الممكن تماماً أن تقوم كل جهود إخاء الأديان تحت عنوان لكم دينكمولي ديني. ويجب الاعتراف أن إخاء الأديان بالمعنى الذي يقصده هذا الكتاب غير موجود على سبيل الحقيقة كمنهج متكامل وإنما تجد بعض ممارساتٍ تخدم هذه الحقيقة، وهنا تتعين الإشارة إلى نقطتين اثنتين:

الأولى: إن الغاية الإنسان لا الأديان، ولكن اختيار إخاء الأديان محوراً للدراسة كان بسبب غياب هذا الأفق، وغياب الإخاء سيولد تلقائياً الكراهية، وبالتالي فإن الحروب الدينية التي صبغت التاريخ على شاطئي المتوسط وفي العمق الأوروبي والإسلامي أيضًا كانت نتيجة حتمية لغياب مشاعر الإخاء والاحترام بين أتباع الأديان، وقناعتي أننا لن نصل إلى أي إخاء إنساني طالما استمر التحرير على الدين على الآخر المختلف، بالشكل الذي تدرسه المعاهد الشرعية الإسلامية والمعاهد اللاهوتية المسيحية واليهودية.

الثانية: أجد لزاماً علي أن أعترف أنني اعتمدت أسلوبًا رغائبياً في شرح المسألة، ولا يمكنني وصف هذه الدراسة بالحياد الموضوعي التام، بل إنني أعترف لك بأن بها قدراً من التبشير الواضح لفكرة إخاء الأديان، وفي هذا السياق فإنني بالفعل أستعمل الدليل المرغوب وأقوم بتأويل الدليل المرفوض، وهذا الأسلوب الذي يبدو انتقائياً ومتناقضًا مع الأصول العلمية للبحث العلمي هو موقف حتمي للتعامل مع تراث واسع وعربي، وفيه ما فيه، من المتشابه والمنسوخ والمشكل والمؤول والمقييد والمجمل والمبهم والخفي، وهذه المصطلحات على قسوتها ورفض رجال الدين المعاصرين لها اليوم، ولكنها مصطلحات علمية منصوص عليها بهذه العناوين تماماً في علم أصول الفقه في باب واضح النص ومشكله، وخاصة في اختيار السادة الحنفية.

لقد تحقق قدر جيد من الإصلاح على المستوى الاجتماعي، وباتت لقاءات الأديان وتعاون أبنائها وحواراتهم جزءاً من طبيعة التحولات الاجتماعية، ولكن لم يتحقق ما يكفي على المستوى التربوي، وحين نمارس الإحسان في الذين كفروا ومعاملتهم بالولد والبر والقسط كما يشير القرآن الكريم، ولكن نعتقد في الوقت نفسه أنهم

سيُضْلَوْنَ نَارًا وَقُوْدَهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ كَلَمَا نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ بَذَلَنَاهُمْ جَلُودًا غَيْرُهَا لِيذُوقُوا الْعَذَابَ، فَإِنَّنَا لَا نَرِيدُ أَنْ نَقُولُ: إِنَّا طَيِّبُونَ وَلَكُنَ اللَّهُ غَاشِمٌ وَمَا كَرُّ وَمَا قَاتَ!! وَهُوَ يَسْتَدِرِّجُهُمْ فِي الدُّنْيَا لِيُمَارِسُ عَلَيْهِمْ سَادِيَةً أَبْدِيَةً، وَهِيَ قِيمٌ مَدْمُرَةٌ لِلْبَنْيَانِ الْأَخْلَاقِيِّ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ، وَلَا يَمْكُنُ مِنْ وَجْهِهِ نَظَرِيَّةٍ تَبَرِّيْرَهَا إِلَّا بِتَعْسُفٍ يَعْصُفُ بِالْمَنْطَقِ كُلِّهِ. وَيَجِبُ التَّأْكِيدُ أَنَّنَا لَا نَقْصِدُ فِي هَذِهِ الْدِرَاسَةِ الْحَدِيثَ عَنِ الْلَّقَاءَاتِ الْبَرُوتُوكُولِيَّةِ بَيْنَ أَتَبَاعِ الْأَدِيَانِ، وَتَشْجِيعِ التَّعَايِشِ وَالْمَوْدَةِ، وَبَنَاءِ ثَقَافَةِ الْمَوَاطِنَةِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا مَقَاصِدُ نَبِيَّةٍ، وَهِيَ تَجْرِي بِاسْتِمْرَارٍ وَعَلَى مَسْتَوَيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكُنَّنَا نَهَدَفُ هُنَا إِلَى الْبَحْثِ فِي الْجُذُورِ، وَإِلَى تَصْحِيحِ الْوَعْيِ بِعَلَاقَةِ الْمُسْلِمِ بِالْآخَرِ الْمُخْتَلِفِ عَلَى أَسَاسٍ تَرْبُوِيٍّ وَاعْتِقَادِيٍّ، وَلَيْسُ وَفَقَ الْحَاجَاتِ الْاجْتَمَاعِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ.

لَقَدْ تَعَوَّدْنَا عَلَى رَوْيَةِ شَيْوَخٍ وَكَهْنَةٍ عَلَى الْمَنْصَاتِ يَلْتَقِطُونَ الصُّورَ التَّذَكَارِيَّةِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْابْتِسَامَاتِ الْعَرِيَضَةِ حِينَ نَنْصُرِفُ إِلَى مَوَاقِعِنَا التَّقْلِيَّدِيَّةِ سَرْعَانًا مَا تَتْحُولُ ابْتِسَامَاتِ صَفَرَاءَ، وَرِبَّمَا غَلَفَنَا هَا بِعِبَارَةِ سَنْسَتَرِدِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَذَرُهُمْ فِي غَيْهِمْ يَعْمَهُونَ، وَغَيْرُهَا مِنِ الْعَبَارَاتِ الَّتِي تَشِيَّ- بِمَا تَبَادَلُهُ فِي قُلُوبِنَا مِنْ تَهْمَ وَرِبَّ لَا يَرْجِي مَعَهَا قِيَامَ، وَهُوَ بِالْطَّبِيعِ مَا نَتَصَوَّرُهُ مِنَ الْآخَرِينَ حِينَ يَمْارِسُونَ لَقَاءَاتِ الْأَدِيَانِ مِنْ دُونِ قَنَاعَةٍ بِنَبْلِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

حَسَامُ الدِّينِ درويش: أَرَاكَ تَرْكِزُ كَثِيرًا عَلَى مَسْأَلَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ يَذَكِّرُ الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّةَ بِغَايَاِ الإِجْلَالِ وَالاحْتِرَامِ، وَأَنَّهَا تَصَدِّقُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَيَصْدِقُهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَيُّ نَصٍ صَرِيحٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَفِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَ قَدْ نَسْخَتْ أَوْ بَطَلَتْ أَوْ فَشَلتْ أَوْ تَحَوَّلَ إِلَى نَصْوُصٍ ضَلَالَةً، وَإِنَّمَا هِيَ نَصْوُصٌ وَحْيٌ إِلَهِيٌّ يَحْمِلُ مَضَامِينَ تَرْبُوِيَّةً عَالِيَّةً، وَهِيَ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَلْمَةُ اللَّهِ، وَنُورٌ وَهَدَاءٌ. وَأَظُنُّ أَنَّ مُعَظَّمَ الْمُسْلِمِينَ، وَرِبَّمَا جَلَّهُمْ أَوْ كَلَّهُمْ، يَتَفَقَّوْنَ مَعَكَ فِي هَذِهِ النَّظَرَةِ. فِي الْمُقَابِلِ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّظَرَةَ الشَّائِعَةَ لِدِي الْمُسْلِمِينَ هِيَ أَنَّ الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّةَ الْمُسِيَّحِيَّةَ وَالْيَهُودِيَّةَ الْمُوْجَوَّدةَ حَالِيًّا مَحْرَفَةً، وَبِالْتَّالِي إِنَّ كُلَّ الْكَلَامِ الْإِيجَابِيِّ الْوَارِدِ عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ لَا يَصَدِّقُ عَلَى تَلْكَ الْمُوْجَوَّدةِ حَالِيًّا. وَكَمَا أَشَرْتُ أَنْتَ مَحْقًّا، الْقُرْآنُ نَفْسُهُ يَتَضَمَّنُ إِشَارَاتٍ إِلَى بَعْضِ الْمَحَاوِلَاتِ الْكَهْنَوِيَّةِ لِتَحْرِيفِ هَذَا الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ أَوْ ذَاكَ. فَكِيفَ يُمْكِنُ لِأَطْرَوْحَةِ إِخَاءِ الْأَدِيَانِ أَنْ تَتَعَالَمُ مَعَ رَوْيَةِ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ لِلْأَنْجِيلِ وَالْتُّورَاةِ الْمُوْجَوَّدةِ حَالِيًّا عَلَى أَنَّهَا مَحْرَفَةٌ وَمَنْحَرَفَةٌ وَلَا تَسْتَحِقُ أَيِّ إِجْلَالٍ أَوْ احْتِرَامٍ؟

وَانْطَلَاقًا مِنْ رَوْيَةِ تَرْنِسِنْدِنْتَالِيَّةِ لِلْحَقِيقَةِ وَالاعْتِقَادِ، أَيِّ لِلشَّرْوُطِ الْمُؤْسَسَةِ لِهَذِينِ الْمَفْهُومَيْنِ، يُمْكِنُ القُولُ بِوُجُودِ مَفَاضِلَةٍ وَتَرَاتِبَةٍ فِي كُلِّ اعْتِقَادٍ وَفِي كُلِّ تَبْيَانٍ لِلْحَقِيقَةِ

ما. ووفقاً لتلك المفاضلة أو التراتبية، الصريحة أو الضمنية، يكون مضمون ما أعتقد بصحته هو الحقيقة، وما يخالفه أو يناقضه باطلٌ أو أقل حقيقةً. وبالتالي، ينطبق ذلك، أيضاً وخصوصاً، على الاعتقاد أو الإيمان الديني وعلى الحقيقة الدينية. وسؤالٌ هنا، هل هناك توتر أو تناقض أو تناحر بين وجود تلك المفاضلة أو التراتبية وأطروحتك عن إخاء الأديان؟ هل تتضمن تلك الأطروحة القول بالمساواة بين الأديان في درجة الحقيقة أو الخلاص أو الخيرية أو الصحة إلخ؟

محمد حبش: في المنطق الاستدلالي المؤسس لفكرة احترام الكتب الدينية للأديان فأعتقد أن نصوص القرآن الكريم الصريحة التي قدمناها قبل قليل وهو ما بسطنا القول فيه في الفصل الأول من الكتاب كافية للجزم بوجوب احترام الكتب الدينية للأديان التي جاء القرآن مصدقاً لما فيها، وفي عهد الرسول الكريم أشار القرآن الكريم باستغراب لموقف رجال الدين اليهود الذين يحتكمون إلى القرآن، وقال: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، والآية واضحة في أن حكم الله كان موجوداً في هذه الكتب في عصر—رسالة على الرغم من محاولات التحرير الذي ذكرها القرآن نفسه.

ولكن احترام هذه الكتب لا يعني اتباعها ضرورة، فالمسلم مأمور باتباع القرآن واحترام الأديان، ووقوع التحرير أو محاولات التحرير على التوراة والإنجيل لا يغض من قيمتهما، بل يوجب النظر بحذر، وهو ما يطلب من المؤمن في كل حال، ولا توجد مشكلة كبيرة نظراً لأن فكرة النص المقدس في المسيحية مختلفة قليلاً، فهم لا يرون الكتاب المقدس نصاً إلهياً محسوماً تلقاه المسيح، بل هو كتابات التلاميذ، وهم يقررون باستمرار بوجود الاختلاف بين هذه النسخ ويقبلون إمكانية الاختيار منها، وهذا ما يفكك عقدة أسوار النص وقيوده لصالح فهم مقاصده ودلالاته.

إخاء الأديان ليس معنى بالجدل اللاهوتي الذي يهدف إلى إثبات الحقيقة الموضوعية، بل هو يتعامل مع الواقع بأكبر قدر من الرؤية الإيجابية، ويترك أمر التحقيق الوثائقى لخبراء التاريخ والمكتبات. ومن هنا فإن إخاء الأديان لا يطالب المسلمين بالحكم على موثوقية كتب الأديان، وليس علينا تكفل تحقيق أسانيدها ورواتها، فهذا شأن أصحاب الديانة، وإنما تتلخص رسالة إخاء الأديان في البناء إيجابياً على ما يتتوفر من هذه الوثائق لصالح الإخاء الإنساني.

وأما النقطة الأخرى التي أثارها سؤالك حول تفاضل الأديان أو مساواتها، فهو اعتراض وجيه، ومن المنطقي أن نقول إن فطرة الدفاع عن المعتقد الديني وفضيله على معتقدات الآخرين هي فطرة سلية، ولعل أوضح تعبير لها في التراث الإسلامي هو ما نقله ابن الحاجب عن السلف واشتهر أنه الإمام مالك: قوله صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب، فإن هذا الوعي الاجتهادي منطقي تماماً، ولا نريد في إخاء الأديان أكثر من هذا، فمن حق كل أحد أن يعتقد بصواب اعتقاده ويدافع عنه، لكن في إطار احترام الرأي الآخر وإعذار المخالف، والاعتصام بالضعف البشري الذي يعني احتمال اكتشاف يقين آخر.

إن ما كتبناه عن مساواة الأديان هو حكم اجتماعي وليس لاهوتياً، والمقصود هو توفير فرص متساوية في الحياة والتعبير عن الرأي، ومنح المخالف حقه الكامل في الإعذار، وليس الجزم المنطقي بانسداد سبيل التمييز ووجوب التسليم بصحة كل اعتقاد، وهو ما يقتضي تصويب المتناقضات وهو محال.



حسام الدين درويش: ولكن من قال بهذا القول من قبل؟

محمد حبش: إن الشائع أن إخاء الأديان خيار ضيق يختص به الفقهاء الذين ينزعون منزعاً عقلانياً ويقدمون العقل على النقل، وهم في هذه الحالة قليلون

ونادرون، ولكن الواقع يقول غير ذلك، ويمكنني أن أصنف المترحمسين للقول بإخاء الأديان في العالم الإسلامي في مجموعات أربع:

المجموعة الأولى: مجموعة الصوفية من الفقهاء والعلماء والحكماء، سواء أكان توجههم الصوفي على أساس إعذار الخلق في إنفاذ ما أمر به خالقهم، أو على أساس حضور الله تعالى في كل ذات جميلة وجليلة الأمر الذي يجعل الناس جمِيعاً موحدين وعابدين ولو لم يحسنوا التعبير عن ذلك، ومن هؤلاء الأئمة ابن عربي والتلميسي والجيلاني وابن سبعين والقونوي وأبي الحسن الشاذلي وغيرهم كثير لا يحصون.

المجموعة الثانية: هم فلاسفة الإسلام الكبار الذين اختاروا منهج الإحسان في الخلق والسمو بالنص الديني من التفسير الظاهر إلى التفسير المقاuchiي، وقبلوا إخاء الأديان إيماناً بعدل الله وشمول رحمته، وتنزيهاً له عن العبث والظلم، ومنهم ابن سينا والفارابي والشهرودي والبيروني والكندي وابن رشد وابن باجه وابن طفيل.

المجموعة الثالثة: هم الفقهاء الإنسانيون الذين جعلوا احترام الإنسان غاية وقصدًا وقبلوا إخاء الأديان إيماناً بالخير الإلهي في كل خلقه، ومظهراً للسمو الاجتماعي والحضاري، ومنهم إخوان الصفا وجلال الدين الرومي والسلطان المغولي أكبر شاه والملك الكامل الأيوبي، وفي عصرنا محمد إقبال ومالك بن نبي وروجيه غارودي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وحسن الترابي وجودت سعيد

المجموعة الرابعة: هم فقهاء الشريعة الذين عملوا مع الدولة الإسلامية خلال التاريخ وفي الواقع المعاصر وأنجزوا لها نصوص القوانين التي تحكم الناس، واستمروا يطورونها باستمرار، وقد قبلوا إخاء الأديان عملاً بمقاصد الشريعة العليا، والتزاماً بالقانون الدولي، ومن هؤلاء اللجان التشريعية والأسرة البرلمانية في (52) دولة إسلامية من أصل (57) دولة إسلامية، فهذه الدول الإسلامية كلها قد انتهت إلى دساتير واضحة تنص على الحرية الدينية وتケفل حق الاختلاف والتنوع، وتلزم الدولة باحترام المختلفين ورعايتهم، وفي ضوء ذلك تقوم الدول الإسلامية كما بيناه ببناء دور العبادة لغير المسلمين أو تيسير إقامتها واعتبار ذلك مسؤولية دينية ووطنية أناطها الله تعالى بمن يلي أمر المسلمين ويرعى ذمتهم.

وبكل تأكيد فإن هؤلاء الفقهاء المشاركون اليوم في التشريع وعدهم بعشرات الآلاف من إندونيسيا إلى موريتانيا يحرسون القوانين من أن يكون فيها تمييز ضد المختلف دينياً ويصررون على النص الواضح بأن المواطنين سواء ولا فضل لمسلم على غير مسلم إلا بالتقوى والعمل للصالح العام. كما يمكن ضم كثير من الشعراء والأدباء الذين كتبوا في الإخاء الإنساني، حتى نشأ في الأدب العربي أدب خاص اسمه أدب الديارات وهو يشتمل على القصص والأشعار والأمثال التي اشتهرت في حوارات المسلمين والنصارى في الأديرة والكنائس والصومع ماما تزخر به كتب الأدب العربي. كما يمكن ضم مواقف نبيلة للخلفاء البارزين في التاريخ الإسلامي الذين أسسوا لهذا اللون من الإخاء بين الأديان، وخاصة الخلفاء الأمويين وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز، الذين أنشؤوا أقوى العلاقات مع الكفاءات المسيحية واستوزرورهم ووفروا لهم فرص التفوق والانطلاق وفسحوا لهم المشاركة القوية في الحضارة الإسلامية، ونورد هنا بشكل خاص أسرة منصور بن سرجون التي استمرت من يوم الفتح إلى خلافة هشام بن عبد الملك تتولى شؤون بيت المال وقد اختتمت بأحد أفرادها البارزين جداً وهو يوحنا الدمشقي وزير عمر بن عبد العزيز الذي كان معروفاً بشدة تدينه المسيحي، حتى رسمته الكنيسة قديساً في ما بعد، وكذلك ما قام به في السياق نفسه الخلفاء الأئذليسيون والخلفاء الفاطميون، وقد تجاوز هؤلاء المسؤولية السياسية التي تفرض بعض المجاملات إلى الوعي العميق بالإخاء الإنساني وتوفير الظروف لأفق أعلى من الحوار والمودة والإخاء.

إننا إذاً أمام مجموعة كبيرة من الخلفاء والعلماء والفقهاء والمشرعين الذين توصلوا إلى وجوب بناء الإخاء بين أتباع الأديان حماية للتلاحم المجتمعي والهوية الوطنية، وتأكيداً لمسؤولية الدولة في خلق جو من المساواة والعدالة على صعيد المجتمع بكل تلوناته وأشكاله. ويجب القول إن رجال الدين، من الوعاظين والخطباء وكذلك رجال الرواية عن السلف لم ينظروا بهذه الودية لإخاء الأديان وظلوا يرتابون في كل سعي كهذا ومن العسير أن نستخلص من الفقهاء موقفاً واضحاً في إخاء الأديان ومع ذلك فقد خصصت فصلاً خاصاً للإشارة إلى من سبق إلى ذلك من الفقهاء وهم بالطبع عدد محدود.

حسام الدين درويش: يبدو أن أطروحة إخاء الأديان التي تتبناها تتطلب إيقاف التوجه الدعوي أو التبشيري في الأديان، فهل تتبني بالفعل هذا الموقف؟ وفي حال كانت إجابتك بالإيجاب، ألا يتعارض ذلك مع الروح الدعوية والتبشرية للإسلام،

وفقاً لنصوصه المؤسسة ذاتها؟ وألا يمثل ذلك عقبة في وجه تبني تلك الأطروحة، من حيث إن الثمن الذي تتطلبه باهظٌ، لدرجةٍ تسمح بالتفكير في التخلٍ عنها؟

محمد حبش: إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى المحبة بين عباده، ويجب القول إن هذه الدعوة تعرضت للاغتيال في التاريخ عبر استعمال السيف لأسلمة الناس في عصور الجهاد، وما أفرزته تلك الحروب الضاربة في ما بعد من شقاق وقطيعة وإرادة انتقام، وكذلك ما أفرزته من مواقف كلامية واعتقادية كرست بين الناس القطيعة والتدابير، وفي العقود الأخيرة تم استعمال المال أيضاً حيث تم إنفاق موازنات مليارية عبر سفارات إيران وال سعودية تحديداً لنشر الدعوة الإسلامية المذهبية وهو أمر كان يعود ببعض المسلمين الجدد، ولكنه كان يتم على حساب شقاقات اجتماعية وصدامات مذهبية ضاربة، إضافة إلى توليد حالة من الإيمان الانتهازي تحت عنوان المؤلفة قلوبهم.

والأمر نفسه مارسته المسيحية تاريخياً حين فرضت الإيمان بسيف الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، ثم بقوة الاستعمار وسلطته، وما دار في فلكه من الجمعيات التبشيرية والتنصيرية، وقناعتي أن ذلك كله أبعد ما يكون عن مقاصد الدين الحق وغايات الرسل والدعوة إلى الله.

نعم إن الدعوة لإخاء الأديان ستفقد هذه الحملات مبرراتها وغاياتها، وستتوقف التبشير المبرمج ضد بيئات الديانات القائمة، ولكنها في الوقت نفسه ستتحقق ازدهاراً أكبر للدعوة إلى الله، الذي هو رب العالمين وملك الناس ورب الناس وإله الناس، وسينشأ في ظلال هذه الدعوة فرق من الدعاة الذين يؤمنون بالمحبة والسلام والإرادة الطيبة من كل الأديان، وسينماضلون معًا لنشر المحبة والإشراق والفضيلة، ومواجهة الجريمة والفساد والظلم والفحشاء والمخدرات، بدلًا من النضال العابث ضد أديانهم وأفكارهم واعتقاداتهم الموروثة.

شخصياً لا أجد في دعوة إخاء الأديان ما يخرج قيد أئملاً عن نصوص الدعوة إلى الله في القرآن: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن أحسن فولأ من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين.

حسام الدين درويش: تتحدث عن أن (52) دولةً من أصل (57) دولةً إسلاميةً قد انتهت إلى دساتير واضحة تنص على الحرية الدينية وتケفل حق الاختلاف والتنوع، وتلزم الدولة باحترام المختلفين ورعايتهم. أنت تعلم أن ذلك لا يشمل حرية عدم

التدين أو الإلحاد. كما أن حق الاختلاف والتنوع في هذا الخصوص ليس متاحاً أو مصانًا ومحترماً دائمًا. انطلاقاً من ذلك وغيره، ألا ترى أننا بحاجة إلى مفهوم "الإخاء الإنساني" الذي يتضمن الإخاء الديني، ويتجاوزه إلى الإخاء بين المسلمين وغير المسلمين؟

محمد حبش: إن ما أنجزته هذه الدول الإسلامية الـ 52 كبير وفعال، وهو يتطور باستمرار، وعلى الأقل فإن النصوص الدستورية لا تحتاج لتعديلات جوهرية لحماية الأديان وتوفير الحرية الدينية، علينا الاعتراف بأن بعض القوانين لا تزال تحتوي على نصوص في التمييز، ولكن يمكن وصف هذه القوانين بأنها غير دستورية، وهي تتعدل ببطء، وحين تتوفر الإرادة السياسية فإن التحول عنها إلى قوانين أكثر ملائمة للدستور هو أمر ممكن تماماً. وتعيش الأديان على المستوى الحقوقي والتشريعي في واقع متقدم من الحرية والاحترام وحقوق الإنسان في بلاد إسلامية أساسية كمصر وتركيا وإندونيسيا وมาيلزيا والمغرب والإمارات وقطر ودول آسيا الوسطى. حتى في بلاد الشام والعراق ووادي النيل والشمال الأفريقي وباكستان والهند فإن القوانين متقدمة على الوعي المجتمعي، والمعاناة في هذه البلاد سببها غياب القانون لا حضوره، ويبقى وتر أفغانستان وإيران السعودية اليمن مسكوناً بالتمييز رافضاً للحريات الدينية، وتراهن هذه الدراسة على أن التغيير قادم، ولكنها لن يكون سهلاً.

وتبقى نقطة واحدة في سؤالك وهي ماذا عن اللادينيين، وبالتالي تأكيد إنهم يواجهون قدراً كبيراً من الرهق الاجتماعي قبل المواجهة القانونية، ومع إيماني بحقهم الإنساني فإنني لست متحمساً للمواجهة مع الجمهور لتعديل القوانين التي تعاقب على ازدراء الأديان، حيث يمكننا القول إن التوجهات الفلسفية اللادينية موجودة في هذه الدول الـ 52 ولها منابرها ومدارسها ودور نشرها، وكلمة السر الوحيدة المطلوبة هي عدم الاستفزاز، وبإمكان الفلسفة أن تعيش في البيئات المسلمة طويلاً إذا ألمت نفسها بعدم الاستفزاز، سواء كان ذلك على نسق حقوق أو فلسي أو اجتماعي.

حسام الدين درويش: أنت تشير في كتابك إلى أن ما تهدف إليه هو الإخاء الإنساني، الإنسان، وليس الأديان. صحيح أنك تبرر تخصيص المفهوم ليتمحور حول العلاقة بين المسلمين، وليس بين كل البشر. عموماً، بحجة أن الأديان لا تزال تشكل الوعي الجماعي لغالبية البشر، وأن ثقافة الكراهية والتداير تنشأ في الغالب في مجتمعات الأديان وتُبنى على أساس ديني. لكن ألا ترى أنه من الصحيح أيضاً أنه بدلاً من

الحديث عن إخاء الأديان أو الإثنيات أو المذاهب أو القوميات إلخ، ينبغي إعطاء الأولوية لمفهوم الإخاء الإنساني وفقاً لمنظومة حقوق الإنسان، لأن ذلك المفهوم يتضمن مفهوم إخاء الأديان ويتجاوزه ليشمل جميع البشر. من دون استثناء؟ وألا ترى أيضاً أنه ثمة حاجة خاصة وملحة، في العالم العربي الإسلامي، إلى هذا المفهوم الإنساني الشامل، للإخاء، والذي ينبغي لفكرة المواطنة وللقوانين والتشريعات أن تتأسس عليه وتصونه وترتقي به نظرياً وعملياً؟ وفي كل الأحوال، ألا يتأسس مفهومك لـ"إخاء الأديان" على مفهوم "الإخاء الإنساني"，ويؤسس له، في الوقت نفسه؟

محمد حبس: العلاقة بين إخاء الأديان والإخاء الإنساني هي علاقة تكامل وليس علاقة تضاد، بل يمكن اعتبار إخاء الأديان فرعاً من الإخاء الإنساني، ولا بد من ربط إخاء الأديان في جميع مراحله بما يتم إنجازه في سياق الإخاء الإنساني. وقد بيّنت في الكتاب عدة مرات سبب التركيز على إخاء الأديان، وربما يتعين على القول إنني أمارس دوراً بداعي الالتفات إلى إخاء الأديان، وإنما يتعين على القول إنني فقد بات من المؤكد أن الأديان هي من يصنع العقل الجماعي لمعظم المجتمعات، وأن الدين أقوى غرائز المجتمع، ولا يمكننا أن نفّكر بالإخاء الإنساني ونحن نتخلى عن مسؤوليتنا في إصلاح الخطاب الديني، إن أي دراسة إحصائية لمركز التوجيه الأخلاقي والمجتمعي ستحملك على الاعتقاد بأن خمسين بالمائة من سكان الكوكب يقادون من معايدهم، وقد أشرت في سؤال سابق إلى تفسير ذلك، ولا أمل في الإخاء الإنساني طالما ظلت هذه المنابر تكرس الشعب المختار يهودياً أو الكراهية الصليبية مسيحياً أو الولاء والبراء إسلامياً، طالما ظلت هذه المنابر تبشر بثقافة الحب في الله والبغض في الله على أساس لاهوتية محض.

إننا لا نهدف في إخاء الأديان إلى بناء مودة بين الأديان وبناء جبهة مقاومة ضد اللادينية، إذاً سنعود إلى المربع الذي ناضلنا ضده وهو مربع الحب والولاء بين أبناء الطائفة ثم كراهية الآخرين، إن الفكرة واعية تماماً لهذا المنزق الخطير، وهي تصرّح بأن غايتها نزع الغام الكراهية المرصودة على طول الحدود الدينية، والانفتاح في الوقت نفسه تجاه الإنسان.

حسام الدين درويش: أصبح شائعاً تحميل الفقهاء والمشايخ ورجال الدين مسؤولية كبيرة عن السلبيات في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال، يرى الباحث الأميركي التركي أحمد كورو، في كتابه "الإسلام، السلطوية والتآثر"، على سبيل

المثال، أن التحالف بين رجال الدين والفقهاء من ناحية والخلفاء أو السلاطين ورجال السياسة من ناحية أخرى هو السبب الرئيس لتدحره أو تأخر العالم الإسلامي وللسلطويات المنتشرة فيه. وعلى الرغم من حديثك الإيجابي عن فقهاء الشريعة الذين عملوا مع الدولة الإسلامية خلال التاريخ وفي الواقع المعاصر وأنجوا لها نصوص القوانين التي تحكم الناس، واستمروا يطوروها باستمرار، والذين قبلوا إخاء الأديان عملاً بمقاصد الشريعة العليا، والتزاماً بالقانون الدولي، يبدو لي أنك تحمل الفقهاء مسؤولية سلبية كبيرة في خصوص انتشار ثقافة الكراهية بين متدينين الأديان المختلفة. وبكلماتٍ أخرى، على الرغم من تخصيصك، في كتاب "إخاء الأديان" فصلاً للإشارة إلى الفقهاء السابقين المؤيدين لفكرة إخاء الأديان، فإنك تنظر بعين الشك والريبة عموماً نحو هؤلاء الفقهاء. سؤالي هنا، لم هذه النظرة السلبية إلى الفقهاء ورجال الدين؟ ومن وجهاً نظرك، ووفقاً لتحليلك وخبرتك، ما أسباب كون الفقهاء ورجال الدين المؤيدون لفكرة إخاء الأديان والمتبنون لها قلة عموماً، وفي الأديان الإبراهيمية خصوصاً؟

محمد حبش: أجد من الضرورة هنا أن أكرر ما قلته حول التفريقي بين رجال الدين وبين الفقهاء، فرجل الدين هو رجل رواية والفقهي هو رجل دراية، ورجل الدين معني ببناء الآخرة، والفقهي معني ببناء الدنيا، ورجل الدين يقود العبادات والفقهي يقود المعاملات، ورجل الدين يتلو الأدلة والفقهي ينتجها، ورجل الدين مصادره الكتاب والسنة، والفقهي مصادره الاستحسان والاستصلاح والعرف والاستصحاب وشرع من قبلنا وأشكال الإجماع المتعددة، وهي مصادر حاكمة على الكتاب والسنة تقييد إطلاقها وتخصيص عمومها وتقتضي بالنسخ والتشبه وغير ذلك من الأدوات الأصولية. ومع ذلك فإن الفقهاء تاريخياً كانوا يعملون للدولة بمعناها الاجتماعي وليس بالمعنى الاستبدادي وقد كان النظام العالمي قائماً على الغلبة وحق القوي في إزاحة الضعيف، وبهذا المعنى فإن الفقه لم يكن شيئاً آخر، لقد كانت رسالته أيضاً تمكين الدولة الدينية، وحماية الناس من شرور البغي الديني الذي تمارسه الدول الأخرى. ولكن مع تحول الوعي السياسي إلى الدولة الحديثة، واعتراف الدول الإسلامية بالنظام الدولي فإن الفقهاء سيكونون بالتالي في طليعة الوعي، ويقدمون للدولة بمعناها الاجتماعي الحلول الواقعية وستختلف فتاويمهم بكل تأكيد في القرن الحادي والعشرين عن فتاويمهم في العصور الوسطى.

ولذلك فإن الفقهاء اليوم (الفقهاء وليس رجال الدين) يدعمون إخاء الأديان، وقد أوردنا في الكتاب عدداً من المواقف اللافتة المتقدمة نقلاً عن الأزهر وأبرز المنظمات الإسلامية الكبرى وأبرز مفتى العالم الإسلامي، وهي وإن لم تصرح بإخاء الأديان ولكنها صريحة في رفض صراع الأديان وشقاو الأديان، وهذا خلاف الموقف التقليدي للفقهاء في عصر الدولة الدينية الذي كان يرى وجوب مقاتلة الذين يلوننا من الكفار ووجوب أن يجدوا فينا غلظة، ويفكك استمرار الجهاد إلى قيام الساعة، ويمنع الجنوح للسلم إلا عن ضرورة وحاجة.

ويجب التأكيد أننا نقصد هنا الدولة بمعناها الحقوقي والدستوري والاجتماعي، وليس السلطة بمعناها الاستبدادي الغاشم، وفي هذه الحالة يقوم المستبد بالحفاظ على عريشه بكل الوسائل، وهنا فإنه ينشئ تحالفات مع الخطاب الديني المؤثر على الجمهور وهو في الغالب الخطاب التقليدي الذي يقود الناس بذهنية التحرير وليس الخطاب التنويري الذي يجعل على رأس مقاصده الحرية وحقوق الإنسان.

حسام الدين درويش :اسمح لي بالإشادة بنزاهتك (المعرفية) التي تظهر في إقرارات الصرح والجريء بوجود نصوص دينية إسلامية رافضةٍ لإخاء الأديان، وأن المسلمين القائلين بإخاء الأديان يواجهون "ثوابت من النص لا تقبل الجدل"، وأنه إذا جئتهم بآية في التسامح جاؤوك بأكثر من ذلك في التعصب والتشدد. والسؤال هنا: كيف يمكن مواجهة هذا الأمر من المنظور المعرفي والديني؟ أنت تتحدث عن كون أسلوبك رغائبياً، من حيث إنك تستعمل الدليل المرغوب وتقوم بتأويل الدليل المرفوض. لكن، ألا يمكن للمتعصبين الرافضين لفكرة إخاء الأديان أن يفعلوا مثل ذلك لإظهار صحة موقفهم من المنظور الديني؟ كيف يمكن للباحثين وللمسلمين عموماً المفاضلة، معرفياً ودينياً، بين الموقفين، إذا كان كلاهما يتأسس على ثوابت الدين ونصوصه الأساسية المؤسسة؟ أنت تقدم أطروحتك عن إخاء الأديان على أنها مجرد تأويل، ويزخر كتابك بالحجج المتنوعة الساعية إلى إظهار معقولية هذه الأطروحة وأفضليتها. ومن المهم جداً، في هذا السياق، إقرارات بحتمية الاختلاف في فهم المسلمين والناس عموماً للنصوص الدينية (الأساسية)، لكن، من المهم جداً أيضاً، من الناحية، المعرفية النظرية، والسياسية العملية، معرفة طريقة التعامل مع هذا الاختلاف والمفاضلة بين أطراfe، والاعتناء والاغتناء

به، من دون استسهال المساواة المائعة بين الرؤى المختلفة. فهل هناك معايير معرفية و/ أو أخلاقية و/ أو دينية واضحة في هذا الشأن؟

محمد حبش: يجب أن ننسب هذه الإشادة التي تقدمها لي لمصدرها الصحيح وهو الإمام علي بن أبي طالب الذي أعلن بوضوح أن القرآن حمال أوجه، بل يجب القول إن من ألهمهم هذا المنهج هو القرآن الكريم نفسه يوم قال: اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إن تصريح الفقهاء بوجود حسن وأحسن، وفاضل ومفضول، وجيد وأجود في القرآن الكريم والتراث الإسلامي هو مذهب قديم وقد فصل السيوطي في الإنقان أقوالهم في هذا، وانتهى إلى ترجيح رأي الجمهور بوجود الفاضل والمفضول في القرآن الكريم. إن القرآن الكريم نص أدبي وتربوي، يستخدم القصة والمثل والخبر، وليس نصاً قانونياً حاسماً، يقف عند مقاطع الحقوق، ولذلك تكثر فيه الحقيقة والمجاز والترادف، وهذا كله يفسح المجال لتأويلات كثيرة داخل النص، وهو ما يمارسه المفسرون منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا. ويتأطر الخلاف هنا في أنني أفهم من ذلك حق الأمة في اختيار ما يناسب مصالحها الحقيقية من النص في كل زمان ومكان، وتأويل ما لا يعارض ذلك، فيما يذهب رجال الدين إلى وجوب سؤال السلف لاختيار ما يجب العمل به وما يجب تأويله. وإن الاعتراف بأننا نمارس الانتقائية ليس أمراً سهلاً، فهو يbedo مقتلاً للبحث العلمي، وسينتاج الفرضيات المشوهة القابلة باستمرار للنقد والدحض، ولكن علينا الاعتراف بنقطتين:

الأولى: أن نص الولي نفسه كما قدمناه حمال أوجه، وهذه الكلمة الثورية الخطيرة نسبت في أكثر من عشرين موضعًا في كتب الأصول الأولى للخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كابن عباس وابن مسعود، كما نقلها ابن سعد في الطبقات الكبرى والدارقطني في السنن، وفي ضوء هذه العبارة نشأت علوم خاصة لمعالجة هذا الإشكال، والحنفية يقسمون نصوص الولي القرآني إلى قسمين: واضح الدلالة وغير واضح الدلالة، فالواضح أربعة: وهو المحكم والمبين والمفصل والنص، وغير الواضح أربعة وهو المبهم والمجمل والمنسوخ والمتشابه، وهذا التقسيم وإن كان حنفياً ولكنه موجود لدى الجميع بصيغ متقاربة.

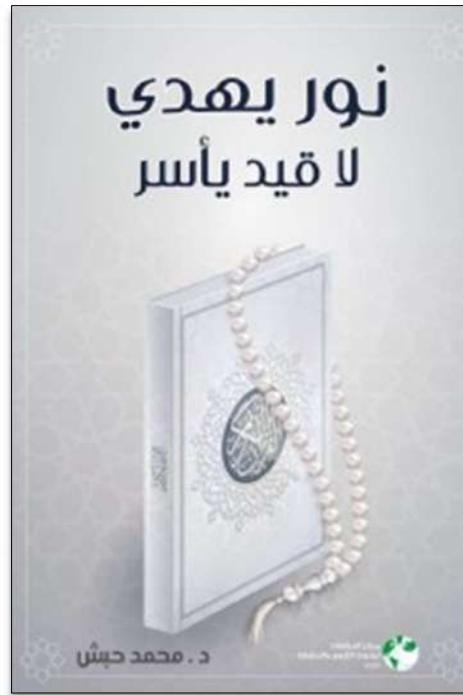
والثانية أن الجميع يمارس الانتقائية، حتى أشد الحركات الظاهرية والسلفية، وأوضح مثال على ذلك جدلهم في آيات الصفات وفرح الله وضحك الله ويد الله

ورجل الله وساق الله وهرولة الله وناقة الله ووصل الله مع عبده التقى حتى صرط يده التي يضرّب بها ورجله التي يمشي- بها وغير ذلك من النصوص في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتفق عليها.

إننا جمِيعاً مُؤولون، السنة والشيعة، والسلف والخلف، والظاهرية والفقهاء، جمِيعنا يمارس التأویل، فآيات إلغاء الأديان بالدين الخاتم موجودة، وآيات الأمر بالاحتكام إلى الكتب الأولى موجودة، فمن أخذ بظاهر هذه فقد تأول تلك، ومن أخذ بظاهر تلك فقد تأول هذه، وهذا حكم عقلي صرف لا سبيل لإنكاره بحال. على كل حال فإن جدل النص لن ينتهي وقد خصصت لذلك ما يكفي في الكتاب مما أقره علماء الأصول الراسخون وهو بالطبع لا يمكن فهمه بالنص الإطلاقي الذي يمارسه الوعظ الديني. ولا شك أن اعترافك على تمييع الرؤى هو اعتراض وجيه، ولا شك أن ذلك لن يكون بدون معايير وضوابط تحكم التأویل والاختيار، وبينما يختار رجال الدين هذه المعايير وفق ما روي عن السلف، فإني أختارها وفق مقاصد القرآن الكريم العليا من العدل والإحسان والحب والسلام، بغض النظر عن موقف السلف، مع التسلیم بأنه ما من مسألة فيها قولان إلا وجدنا لكل منهما سنداً من كلام بعض السلف.

حسام الدين درويش: ثمة معنيان للتأویل وللنـص: المعنى العربي الإسلامي الشائع يتحدث عن التأویل بوصفه "صرف اللـفـظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله،" أو "إخراج دلالة اللـفـظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، ...". وكما هو واضح ينصب مثل هذا التأویل على كلمة أو عبارة أو جملة أو بضع جملٍ على الأكثـر. والنـص، وفقاً لذلك المعنى، هو أي حـكم أو عـبـارـة مـكتـوبـة أو وـارـدـة في المـصـحـف أو الأـحـادـيـث النـبـوـيـة إلـخـ. في مقابل هذا المعنى الذي يبدو لي أنـك تـتبـنـاهـ، ثـمـةـ معـنىـ آخرـ للتأـوـيـلـ والنـصـ. منـ المـنـظـورـ الـهـرـمـيـنـوـطـيـقـيـ. وـوـفـقـاـ لـهـذـاـ المـنـظـورـ النـصـ لـيـسـ مـجـرـدـ حـكـمـ أوـ كـلـمـةـ أوـ جـمـلـةـ أوـ عـبـارـةـ، بلـ هوـ كـلـيـةـ مـتـمـاسـكـةـ وـمـتـشـابـكـةـ وـمـتـنـاغـمـةـ الـأـجـزـاءـ يـمـكـنـ تـأـوـيـلـهـاـ أوـ بـنـاؤـهـاـ وـإـعـادـةـ بـنـائـهـاـ بـطـرـقـ لـاـ مـتـنـاهـيـةـ الـعـدـدـ مـنـ حـيـثـ الـمـبـدـأـ. فالـتأـوـيـلـ لـيـسـ بـحـثـاـ عـنـ معـنىـ باـطـنـيـ أوـ مـجـازـيـ مـخـتـلـفـ عـنـ معـنىـ ظـاهـرـيـ، وإنـماـ هوـ بـحـثـ عـنـ فـهـمـ الـأـجـزـاءـ الـنـصـ مـنـ خـلـالـ فـهـمـ كـلـيـتـهـ، وـعـنـ فـهـمـ النـصـ بـوـصـفـهـ كـلـاـ، مـنـ خـلـالـ فـهـمـ أـجـزـائـهـ. ماـ رـأـيـكـ فـيـ هـذـيـنـ الـمـعـنـيـنـ لـلـتـأـوـيـلـ وـالـنـصـ، وـكـيـفـ تـرـىـ إـمـكـانـيـةـ اـسـتـخـادـهـمـاـ فـيـ الـمـجـالـ الـدـيـنـيـ عـمـومـاـ، وـفـيـ مـجـالـ مـنـاقـشـةـ أـطـرـوـحـةـ إـخـاءـ الـأـدـيـانـ خـصـوـصـاـ؟ـ

محمد حبش: ربما يناسب هذا السؤال حواراً آخر حول كتابي نور يهدي لا قيد يأسر، وأطمع أن أجزه معك في مرحلة لاحقة، وهناك فصلت القول في طرق التأويل ومناهجه، وبين المناهج الهرميوطيقية الثلاثة في تفسير النص على مراد القائل أو فهم المتلقي أو قواعد اللغة، وقد اخترت بحماس تفسير النص على فهم المتلقي وفق حاجاته الحقيقية، سواء وافق اللغة أو صادمها، وحددت معايير القبول طبقاً لما أعلنه المرسل من قصده للعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وغيرها من المقصاد الكبرى، وبذلك فإني أنظر إلى النص على أنه نور يهدي وليس قيداً يأسر، لأننا نملك التصرف بأعواد هذا القفص، وتفكيكها، وصولاً إلى المقصاد الكبرى التي أعلنها صاحب النص مما فيه خير الناس وسعادتهم، حيث بات الخير والسعادة والعدل والإحسان قابلاً للقياس اليوم بأدوات موضوعية معيارية، ولا شك بأن بناء الإخاء في الأرض على رأس هذه المقصاد. إن هذا الطموح المنفتح لفهم النصوص مقاصدياً يبدو رومانسيًا لأول وهلة، ولكنه في الواقع ليس إلا التطبيق المعاصر لما مارسه الفقهاء في مشروعهم البنيانى الكبير المسمى أصول الفقه الإسلامي وأدواته.



حسام الدين درويش: إضافةً إلى العلاقة الجدلية بين فهم النص بوصفه كلاً وفهم أجزاء النص، فإن الدائرة الهرميوطيقية تتخذ شكل العلاقة الجدلية بين فهمنا

المسبق وفهمنا أو تأويلنا للنص. فالقارئ لا يأتي النص وذهنه صفة بيضاء، بل يأتيه محملاً بقدرات وتوجهات وانحيازات ومنظورات معرفية وأخلاقية ومصالح اقتصادية وسياسية إلخ. وهناك من يرفض تأويلاتٍ معينةٍ، انطلاقاً من حسن الظن بالله، ومن أن الدين الإسلامي يمكن أن يكون متوافقاً مع أرقى ما تتضمنه منظومة حقوق الإنسان العالمية، من حيث رفض الرق والتمييز الأخلاقي (السلبي) بين البشر على أساس الدين أو الجنس أو الجنسية أو اللون أو الإثنية إلخ. في المقابل، هناك من يرى إمكانية فهم النص (الديني) من خلال النص ذاته فقط، ويرفض إمكانية رؤيته من خلال منظورات معرفية أو أخلاقية متخارجة معه، جزئياً ونسبياً على الأقل؟ كيف يمكن قراءة أطروحتك عن إخاء الأديان، انطلاقاً من الرأيين المختلفين المذكورين؟ وهل يمكن القول بأن مؤثرات غير نصية مارست دوراً في تبنيك لهذه الأطروحة وفي قراءتك للنصوص الدينية، عموماً؟

محمد حبش: لقد كتبت طويلاً في ظاهرة الغلو في القرآن، وبينما وقعت النصارى في الغلو في محبة المسيح فاتخذوه إلهًا، فقد وقعنا في الغلو في نص الكتاب، بحيث أصدرنا مجموعة من الأحكام الإطلاقية الغالية فيه، منها قدمه وأزليته وأبديته وإطلاقيته في كل زمان ومكان واعتباره صفة قائمة في الخالق نفسه!! وقد اشتد النزاع في ذلك حتى قامت حركة تنويرية شهيرة رفضت هذا الغلو، وطالبت بالقول إن القرآن مخلوق محدث وليس حاكماً على الدهر كله، فلا مجد لأي تشريع أو دستور أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان، وقد اشتهرت المسألة تحت عنوان محننة خلق القرآن، وهي محننة ركبتها السياسة بأبشع وجه، وأفسدت غایاتها النبيلة في بناء وعي متوازن بالقرآن الكريم.

إن الغلو في القرآن الكريم هو منطق الخواج الذين رفضوا أي دور للعقل وأعلنوا على رؤوس السيوف لا حكم إلا لله، ومقتضى ذلك أنه لا حكم إلا للكتاب والسنة، ولكن هذا الفهم المغالي هو ما أنكره علماء السلف وفقهاؤه وفي مواجهة ذلك ابتكروا علمًا كاملاً اسمه علم أصول الفقه ونصوا فيه أن مصادر التشريع هي أكثر من الكتاب والسنة، واختاروا التشريع بالاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف، وهي في العمق المصادر العقلية للشريعة، وهي مصادر مساوية للمصدر النصي، بل إنها تقدم عليه وفق ما قرره روادها الأوائل، ولكن هذه الحقائق لا تجد اليوم من يتبنّاها، حيث ارتدت هذه المصادر في تعليمينا الديني إلى شكل توصيفي لإعمال الكتاب والسنة أكثر من كونها مصادر حقيقة منتجة. إن الاتباع الأصم

للنص الذي يجحد أدواته التأويلية لن يؤدي إلى أي نتيجة، إنه سيجعله نصًا بلا مقاصد، ويستحيل في النهاية أن يصدر عنه وعي محكم قابل للبرهان، بل إنه سيتعامل من دون أدنى شك مع العشرات من ظواهر النصوص باللغة التأويلية إليها لينسجم مع الموقف الذي انطلق منه.

ومن هنا فإن هذه الدراسة لا تتقنع، بل تسفر عن هدفها بوضوح وهو بناء إخاء إنساني بين أتباع الأديان، وستتبع ظواهر نصوص وتؤول ظواهر نصوص أخرى، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله، أو بتعبير القرآن فإننا نتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا وأكثره مناسبة للزمان والمكان والإخاء.

حسام الدين درويش: أنت تعلن، في الكتاب، تميز أطروحتك في إخاء الأديان عن اللقاءات البروتوكولية بين أتباع الأديان، وتشدد على أن أطروحتك تهدف إلى البحث في الجذور، وإلى تصحيح الوعي بعلاقة المسلم بالآخر المختلف على أساس تربوي واعتقادي، وليس وفق الحاجات الاجتماعية والقانونية. كما تنتقد، في هذا السياق، الشيوخ والكهنة الذين يمارسون لقاءات الأديان من دون قناعة بنبل هذه القضية. ألا ترى أن الأولوية هي للممارسة والفعل، مع غض النظر جزئياً عن مضمون الوعي والاعتقاد. فليس مهمًا إن كان الآخر يراني كافراً أو غير كافر، المهم ألا يسعى إلى فرض رؤيته المختلفة عن رؤيتي على أو إلى معاقبتي على ذلك الاختلاف. فالاحترام المطلوب هنا هو احترام الفعل والسلوك، وليس احترام الشعور أو الاعتقاد المنفتح. وفي كل الأحوال سيبقى كل متدين يرى أن دينه أفضل، لدرجة أو لأخرى من الأديان الأخرى، وهذا هو حال كل اعتقاد عموماً. المهم هنا ألا يكون لدى أي طرف الحق في فرض رؤيته الدينية على غيره، وألا تكون هناك أي ممارسة متأسسة على ذلك الحق المزعوم. ما رأيك؟

محمد حبش: إن تجربتي مع الأداء البروتوكولي للإخاء بين الأديان محزنة ومريرة، لقد كنت أراهم على منصات اللقاء طافحين بالأمل والبشرة وعميق الود، ولكنني كنت أراهم في منابرهم الخاصة بعد ذلك يلتمسون المعاذير لما جرى، وأنها إيلاف قلوب ليس إلا، وأنه لا رجاء من كافر لا يعرف توحيد ربه، وحده جهنم وبئس المصير، وأظن أن الأمر نفسه كان يجري في الطرف الآخر. وحين كتبت أول مقالاتي في إخاء الأديان بعبارة واضحة توجب احترام أديانهم وعقائدهم تلقيت علقة

ساخنة وفصلت من وظيفتي الأكاديمية، وهتفت منابر الأوقاف والفتوى في سوريا ببيانات علنية قاسية ضدّي على المنابر مع أنّ الأوقاف والفتوى كانتا تمارسان الشيء نفسه على المنصات. إنّ تكفير الأديان ليس أمراً سهلاً، وليس مجرد موقف أبستمولوجي كما يحلو للمتشدّدين وصفه، ولا هو إطار نظري في حدود حرية الفكر بحيث تكفّر بقرآن وأكفر بصلبك وتبادل التكافر بمرح!! بل هو موقف خطير تستتبعه ضرورة تطبيق أحكام القرآن في الكافرين من وجوب جهادهم وقتالهم وإرغامهم دفع الجزية وهم صاغرون، وهي مسائل تلقائية ينبع منها الفقه التقليدي ولا شك أن عدم تطبيقها ليس حسن أخلاق بقدر ما هو الترخيص لمجيء الفرصة المواتية لتطبيق هذه الأحكام. وهذا الوعي المشوه نفسه مارسته الكنيسة في العصور الوسطى وحين أفتت بـكفر المسلمين وأنهم يعبدون الشيطان أباحت لكل محارب في هذه الحروب قتل كل من يعترض طريقه من رجال ونساء وأطفال، فالجميع حري باللعنـة، ولا تكن فيـهم أرحم من ربك الذي وعدـهم جـهـنـم وبـئـس المصـيرـ. وإن احـترـامـ دـيـنـ الآـخـرـينـ وـتـقـدـيرـ إـيمـانـهـمـ لاـ يـعـنيـ قـبـولـ ماـ يـعـتـقـدـونـ،ـ وـلـكـنـهـ يـسـتـلزمـ التـوقـفـ عـنـ تـحـقـيرـ ماـ يـعـتـقـدـونـ،ـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ بـنـاءـ جـيـلـ يـحـترـمـ الـاـخـتـلـافـ فيـ الـدـيـنـ،ـ وـيـأـذـنـ بـالـخـلـافـ الـدـيـنـيـ عـلـىـ الـأـقـلـ كـمـ نـأـذـنـ بـالـخـلـافـ الـمـذـهـبـيـ،ـ مـعـ الـاحـترـامـ لـأـدـلـتـهـمـ وـقـوـاعـدـهـمـ.

حسام الدين درويش :لماذا نحتاج إلى مفهوم إخاء الأديان عموماً، وفي العصر الراهن وفي السياق العربي / الإسلامي منه تحديداً أو خصوصاً؟ هل ثمة مشكلة حقيقة و مهمة في هذا الصدد؟ وكيف، وإلى أي حدّ، يمكن لمثل هذا المفهوم أن يسهم في حل هذه المشكلة وتجاوزها أو التخفيف من نتائجها وسلبياتها على الأقل؟

محمد حبش : قال الملحد: لماذا إخاء الأديان؟ الأديان خرافة.. والإخاء بينها خرافة أخرى!! وقال المتشدد: لماذا إخاء الأديان؟ الدين الحق واحد وما بقي فهي أباطيل وظلام يجب القضاء عليها وليس الإخاء معها – لا مصالحة مع الأصنام.

وجوابي: إن إخاء الأديان بالفعل غير موجود، ولكن علينا أن نصنعه، وثقافات الأديان قائمة على تبادل المحبة مع المؤمنين والكراهية مع الكافرين، وهذه الكراهية صنعت الحروب في الماضي وهي تصنع البغضاء في الحاضر. ولكن الدين يبقى أقوى غرائز المجتمع، وهو حاضر بقوة ومستمر، وهناك 87 في المئة من الناس يؤمنون بدين ما (وفق مراكز الإحصاء العالمية) ويمكن القول إن نصف سكان الكوكب يقادون من معابدهم !! لا رجاء في سلام إنساني إلا بإخاء الأديان، ولا

أمل في مجتمعات مستقرة إلا بإخاء الأديان، وتغيير الصورة النمطية التي تأمر بمحبة المؤمنين وبغض اللامؤمنين.

ويجب القول: إن ثقافة الكراهية لم تقف عند حدود المختلف في الدين، بل دخلت أيضاً إلى المختلف في المذهب، واتخذت شكلًا أشد ضراوة وعنة، ويمكن القول: إن أكثر من عشرة حروب حقيقة في الشرق الأوسط قامت في العقود القريبة على أساس طائفي، أو كان البعد المذهبي جزءاً رئيساً في إيقاظ نوازع الحرب وتبرير الكراهية. وتمضي عقيدة احتكار الخلاص إلى الغاية في نص مشهور رواه الترمذى وأحمد: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة، وتفترق أمري ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. وعلى الرغم من الجهود التأوilyة الكثيرة التي قدمها الفقهاء، وكذلك الجهود النقدية التي قدمها الرواية، ظلت هذه الروايات أهم دوافع الإقصاء والكراهية، ونشأت تيارات كثيرة تتبنى البعض في الله بين التيارات المنقسمة، سُنة وشيعة وصوفية وسلفية وظاهرية ومؤولة وإسلاميين وعلمانيين.

وبات التساؤل مطروحاً: هل الأصل في علاقات الأديان الكراهية والعداوة، وهل تعبدنا الله تعالى ببغض المخالفين في الدين، وهل انتمى المولى سبحانه لهذه الأمة الناجية فبات لا يرى في الأمم كلها إلا الجهل والخيبة والضلال، ومنح شفاعته لهذه الأمة دون سواها، وأسئلة كثيرة باتت تدفع المسلم الملتم إلى غياب الحيرة والضياع، وتكرّس واقعاً مضطرباً يفترض التآمر بين الأنبياء والأمم والآلهة، وأنّ الخير والفضيلة والمحبة مجرد أوهام يستخدمها الإكليروس في سيطرته على الإنسان.

هذا القلق وهذه الحيرة دفع بجيل كامل من الشباب إلى أفق حائر مرتاب، وبات يضطرب في وعيه بين اتجاهين اثنين: التنكر لدینه أو التنكر لعقله، وبين أن يمضي- موغلاً في الماضي ويخرج من الحاضر، أو يعيش الحاضر ويحتقر الماضي، ولا شك في أنّ هذه الخيارات كلها لا تنتم عن سلوك سليم ولا تنتج جيلاً منسجمًا مع نفسه ومع محبيه. ومع أنني لست متفائلاً بفرص النجاح السريرية لمبدأ إخاء الأديان ولكنني أشعر أننا سياق من الأمم، وأنّ الأمم التي حققت نجاحاً حضارياً حققت من ثم تقدماً جيداً نحو إخاء الأديان، فإنّ الفائض الحضاري ينتج فائضاً أخلاقياً، وقناعتي أنّ كل خطوة نخطوها صوب المجتمع المتحضّر- الذي تسود فيه العدالة والقانون هي من ثم خطوة نحو إخاء الأديان، وما ترسمه هذا الغاية النبيلة من بناء مجتمع آمن ومستقرّ وسعيد.

وتتجدر الإشارة أَنَّا حين نقاوم بشدة احتكار الخلاص فليس ذلك بداعٍ من مسؤوليتنا في تنظيم الدار الآخرة، أو مشاركة الله في الحساب وتحديد منازل الناس فيها، فالحساب بيد الله، والخلاف في شكل الدينونة وتفاصيلها بالغ التعقيد والتفاوت بين الأديان، ومن الحماقة أن ننصب أنفسنا فيها قضاة وجلاّدين، وربما لا تكون لدى الناس قناعة أصلًا بتفاصيل العالم السماوي، ولكن ما نبحث عنه بدقة هو خطاب الكراهية الناشئ أصلًا من توعد الآخر بنار جهنّم، وتحديداً في تصور المسلم أنّ البشرية ذاهبة إلى نار جهنّم، وهو اعتقاد بالغ الأذى في تربية الجيل، حيث تتأسس التربية، هنا، على احتقار الناس وازدرائهم، وسوء الظن بالخالق الذي يخلق الناس إلى جهنّم ولا يبالي.

وتصر هذه الدراسة على أن جوهر العقيدة الدينية يمكن أن يتأسس على الإخاء بين أتباع الأديان، ووقف كل أشكال الاشتباك القائم على الكراهية، على الرغم من وجود نصوص رافضة لذلك، وهنا يتم التعامل مع هذه النصوص بأدوات أصول الفقه الإسلامي المرنّة والشاملة والتي تكرس في كل أصولها وفروعها مبدأ اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان، وحق الفقيه بالقول بالتقييد والتحصيص والنسخ والتشابه في كثير من نصوص القرآن.

حسام الدين درويش (يبدو لي) أَنَّك تنسب دوّراً سلبياً مبالغًا به لثقافة الكراهية السائدة ولغياب حالة إخاء الأديان. فأنت تتحدث عن أن الحروب الدينية التي صبغت التاريخ على شاطئي المتوسط وفي العمق الأوروبي والإسلامي كانت نتيجة حتمية لغياب مشاعر الإخاء والاحترام بين أتباع الأديان، وعن أنه "لا رجاء في سلام إنساني إلا بإخاء الأديان، ولاأمل في مجتمعات مستقرة إلا بإخاء الأديان، وتغير الصورة النمطية التي تأمر بمحبة المؤمنين وبغض اللامؤمنين"، وترى أن أكثر من عشرة حروب حقيقة في الشرق الأوسط قد قامت في العقود القريبة على أساس طائفي، أو كان بعد المذهبي جزءاً رئيساً في إيقاظ نوازع الحرب وتبير الكراهية. ألا ترى أَنَّك تفرط في تضخيم الدور السلبي للأديان عموماً ولثقافة الكراهية الدينية خصوصاً؟ وفي هذا الإفراط أو التضخيم، ألا ترى أَنَّك تغيّب دور العوامل السياسية والاقتصادية خصوصاً؟ فحتى إذا كانت ثقافة الكراهية الدينية تمارس ذلك الدور السلبي الكبير، ما سبب وجود أو شروع هذه الثقافة وما أو من الذي جعلها تسود؟ ألا تتحمل الدولة والسلطة الحاكمة (جزءاً من) المسؤولية عن ذلك؟ أفهم أَنَّك مختص بالآمور الدينية، وأنك تتحدث عن الموضوع من زاوية هذا الاختصاص،

لكن ألا ترى ضرورة الإشارة إلى وجود عوامل أخرى غير دينية، لا تقل أهمية عن العوامل الدينية، بل قد تفوقها أهمية؟

محمد حبش: لا شك أن هناك عوامل أخرى وراء قيام الصراعات، وبشكل أساسي الخطط السياسية للحكام والملوك وإرادات التوسيع والهيمنة، وربما كان علي أن أوضح ذلك، ولكنني أكتب من زاوية انتصاري، وأؤكد هنا أن مسؤولية الدولة كبيرة في مواجهة ثقافة الكراهية، ويجب القول إن الأنظمة العربية الثورية وجدت في هذه الثقافة السوداء صدى طبيعياً لمشروعها الثوري في المقاومة والممانعة، ومواجهة الغرب، فالتكفير هنا ضرورة مكملة، حيث يتولى النظام الثوري اتهام العالم الغربي بالتأمر والعدوان والاستعمار، ويتوالى الخطاب التقليدي وصف العالم الغربي بالكفر وانحطاط الأخلاق، وبذلك فإن التعصب في شقه الديني والقومي يؤدي وظيفة واحدة في خدمة الاستبداد، ومنع قدوم الديمقراطية والمحاسبة وحقوق الإنسان.

وفي الواقع فلا يمكن التقليل من دور التعصب الديني في نشر الكراهية، لقد قامت الحروب الصليبية تحت عنوان صارخ لا يحتمل أي تأويل وهو الصليب، وعلى أطرافه حشدت الجيوش الأوروبيية الغازية، وأعلنت الحرب التي استمرت مئي عام في كنيسة مجمع كليرمونت على يد البابا أوربان الثاني 1095م، وعلى الرغم من أن المؤرخ المسلم كان ذكياً ولم يقبل تسمية الحروب الصليبية واختار اسم حروب الفرنجة، ولكن ذلك ليس إلا لياقة دبلوماسية، كانت تهدف إلى عدم إخراج مسيحيي الشرق الذين وقف كثير منهم ضد الحروب الصليبية، ومع ذلك فقد كان الدافع الديني والصليب والبابا وبطرس الناسك وفرسان الهيكل والقدس وكنيسة القيامة هي العناوين الواضحة الجلية لهذه الحروب المشؤومة.

وتقتضي الأمانة العلمية أن أشير إلى أن هذه الدوافع نفسها كانت وراء حملات كثيرة من حروب الفتوحات الإسلامية، في الفترات الأموية والعباسية والعثمانية، وقد انطلقت الجيوش الغازية بشعارات دينية واضحة من الجهاد في سبيل الله، قائمة على الاعتقاد الأساسي في محاربة الكفر ونشر التوحيد، وكانت هذه الحروب الضاربة تحظى بدعم وعاظ الإسلام وفقهائه وخلفائه، باستثناء فترات صحوة عقلانية قليلة أبرزها صحوة عمر بن عبد العزيز الذي عاش قبل عصره بألف عام، وأمر بوقف هذه الحروب وسحب الجيوش فوراً وكتب بذلك إلى الأندلس

والقسطنطينية وبلاط ما وراء النهر، بل إنه أمر في الشرق خاصة بسحب الجيوش
ومحاكمة الفاتحين!

أما في الواقع الحالي فإن ثقافة صراع الأديان وتکفيرها لا زالت تؤدي دوّاراً سلبياًأسود في هدم ثقة المسلم بالعالم من حوله، والتعامل مع الأمم والشعوب الأخرى بوصفها شعوب كفر وضلال، وتحميلها أوزار ما جرى في التاريخ من حروب صليبية واستعمار، ومن الطبيعي أن يكون في الجانب الآخر من يحمل الأفكار نفسها، وقبل أشهر صرخ رئيس الكونغرس الأميركي الجديد مايك جونسون بقوله: كمسيحي فإن موقفه الكتاب المقدس وهو صريح في وجوب الدفاع عن إسرائيل ضد أعدائها، هذا موقف ديني غير قابل للنقاش!! ومن المدهش أن كلاً من الطرفين المتعصبين يشتدي في حربه على الاعتدال والإخاء، ويبدى إعجاباً بالصلابة والوضوح الذي يظهر في الطرف الآخر، وهو ما يمكن اختصاره بتحالف المتطرفين!!

حسام الدين درويش :ماذا عن موقف غير المسلمين من إخاء الأديان؟

محمد حبش: لقد قدمت في الكتاب طرفةً من خبرتي وإخفاقاتي ونجاحاتي في حقل إخاء الأديان، وهي خبرة تراكم كل يوم وتزداد وضوحاً ونجاحاً، وتسير كما آمل لها من توفيق، ولا شك أنها خبرة ضرورية لمن سيستأنف هذه الرسالة ويكتب فيها في ما يأتي من الأيام.

لقد قسمت الكتاب إلى أربعة فصول:

الأول: في موقف الشريعة الإسلامية من إخاء الأديان، حيث تناولت الأمر بالاستنباط العميق من أدلة الشريعة العشرة في الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف والذرائع وشرع من قبلنا.

الثاني: في مواقف الرواد من الأئمة والخلفاء وال فلاسفة والصوفية الذين سبقوا إلى القول بإخاء الأديان وحققت مقالاتهم في ذلك.

الثالث: في موقف الديانات الأخرى من مسألة إخاء الأديان، حيث قمت باستعراض مواقف الأديان من هذا الأمر، وأشارت بحيد إلى الموقف الإيجابي والسلبي، وركزت بالطبع على أهم الاتجاهات المؤثرة في الأديان العشرة الرئيسية في العالم التي تؤمن بإخاء الأديان، وقد استعرضتها دينًا دينًا، خاصة في المسيحية والبودية وديانات الشرق الأقصى، وشرحت بعض تجاريبي في ذلك.

الرابع: وهو فصل خصصته لبيان جهود فلاسفة عصر التنوير الأوروبي في مواجهة ثقافة الكراهية التي روجتها الكنيسة في العصور الوسطى والتي انفجرت حروبمحاكم تفتيش ضارية، وبينت الدور الإيجابي النبيل لفلاسفة التنوير، واستعرضت موقف عددٍ بارزٍ منهم في تقديم أرقى أشكال الاحترام والتقدير للرسالة والرسول، مما يمكن أن يكون منصة إنسانية جامعة في الإخاء.

بكل تأكيد فإن إخاء الأديان موقف فلسي، ينوس بين الأديان، وسيجد له في كل دين من يقبله، وسيجد من يرفضه بشدة، وأحسب أن هذه الدراسة قد نجحت في التعريف بموافق واضحة وحقيقة لرواد إخاء الأديان في كل دين وملة، وربما تمهد لقيام منصات تعاون وتواصل وتكامل بين هذه الشخصيات الرائدة في إخاء الأديان.

حسام الدين درويش : من الواضح أن ثقافة الكراهية (الدينية) ليست مجرد رؤية دينية أو لاهوتية مستندة إلى فهمٍ أو تأويلٍ ما لنصوص دينية، وإنما هي، أيضًا وخصوصًا، حصيلة تاريخٍ طويلٍ من الصراع بين الأطراف المختلفة، ليس بين متديني الأديان المختلفة فقط، بل بين المختلفين مذهبًا وطائفًا في إطار الدين الواحد أيضًا. وفي هذا التاريخ ثمة سردية مختلفة ومتناقضة لدى كل طرفٍ من أطراف الصراع، وغالبًا ما تشيطن كل سردية الأطراف الأخرى وتقوم بملأ كل ذاتها وتصويرها على أنها كانت دائمًا أو غالبًا صحيحة إجرام فعليٍ أو مرغوبٍ من الأطراف الأخرى. كيف تعامل أطروحة إخاء الأديان مع هذا "التاريخ الأسود والنشأة المشبوهة" لكل طرفٍ، من منظور الأطراف الأخرى. هل يتطلب الإخاء طي صفحة "التاريخ الأسود أو السلبي" أو الماضي، بكل مأساه، وعدم الخوض فيه وفيها، أم يتطلب الكشف عما حصل فيه والجسم المنصف معرفياً وأخلاقياً في مسألة المظلوميات والضحايا؟ وهل ثمة علاقة إيجابية أو سلبية ما بين أطروحة إخاء الأديان والسعى إلى تحقيقها من جهة، ودراسات الضحية والظلم من جهة أخرى؟

محمد حبش :إن أطروحة شيطنة الآخر وملاكـة الذات هي نتاج التخلف أكثر مما هي نتاج التدين، ويجب الاعتراف أن هذا ما يمارسه الكهنة باستمرار في المجتمعات المختلفة، في حين نجحت المجتمعات الأكثر تحضرـا وثقافةـا أن تدعـو إلى قراءـات أخرى من جوهر النص الديـني تأذـن بالاحتفـاء بالآخر المختلف وملاكـة مقاصـدـه وغاـياتـه. وإن الموقف الذي يتـأسـسـ عليه الكـدـ السياسيـ هوـ شـيـطـنةـ الجـمـيعـ،ـ وقدـ قالـ فـولـتـيرـ مؤـلمـ أنـكـ لـنـ تـعـتـبـرـ مـتـديـنـاـ إـلاـ إـذـاـ قـبـلـتـ بـضـلـالـ الجـمـيعـ وـمـصـيرـهـمـ فيـ الجـهـنـمـ،ـ وـلـنـ تـكـوـنـ وـطـنـيـاـ إـلاـ إـذـاـ قـبـلـتـ بـتـخـوـيـنـ الجـمـيعـ،ـ وـفـيـ المـقـابـلـ فـإـنـ الكـدـ

الديني يجب أن يتجه إلى ملائكة الجميع، لقد فعلت الأديان في قيامها هذا الشيء تماماً، ففي اليهودية تحترم الأديان السابقة على موسى، وفي المسيحية تحترم النبوات السابقة على المسيح، وفي الإسلام المعنى أوضح إذ يتأسس الإيمان على الإيمان بالكتب والرسل، ويذكر النص بأن الإسلام جاء مصدقاً لما بين يديه أربع عشرة مرة في القرآن الكريم.

هذا الأمر محسوم في النص الديني في ما يتصل بما سبقة من الرسالات، ولكنه للأسف يتجه عكساً في ما يتصل بالرسالات الآتية، وقناعتي أن الإصلاح الديني قادر أن يعالج هذه المسألة، والنص التصديقي المتكرر في القرآن يستوعب تصديق النبوات السابقة والحكمة اللاحقة، وستجد من النص الديني ألف ظهير لهذه الفكرة المتنورة. ومن هنا فإن الإسلام مثلاً لا ينظر أبداً إلى نشأة مشبوهة للأديان ولا إلى تاريخ أسود، ويروي تراث الأنبياء بحياد ويفرض تقديسهم على الرغم من غموض الدافع الأخلاقي، ويروي عن أنبياء حاولوا ذبح أطفالهم، وألقوا بزوجاتهم وأطفالهم في الصحراء لأسباب غامضة، وآخرين أهلكوا شعوبهم وأغرقوهم وخسروا بهم وعصفوا بهم بريح صرصر عاتية ومع ذلك فإنه لا يغض أبداً من قدر هؤلاء الأنبياء ويدعو إلى افتراض الباعث النبيل وراء ذلك كله، ويؤكد في الوقت نفسه على وجود أنبياء ورسل لم يقصصهم علينا، وفي اعتقادي فإن المنصة التي توفرها النبوات في النص التأسيسي هي منصة قائمة على ملائكة الجميع وهي حرية أن تستمر لو نهض التنوير الديني بدوره النبيل.

إن المسألة في النهاية هي اختلاف نزعات اللقاء والفرق، فالناس وفاقيون وفروقيون، وقد حملوا نزعاتهم وميولهم إلى أديانهم، وفي هذه النقطة بالذات يتركز نضال الإخاء الديني، ويمكن التعبير عنه معرفياً بأنه نقل ما أسبغه الوحي على الرسالات السابقة من قداسة وقبول إلى الرسالات اللاحقة، ورسم غایاتها ومقاصدها بقلم وفافي تصالحي، يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.

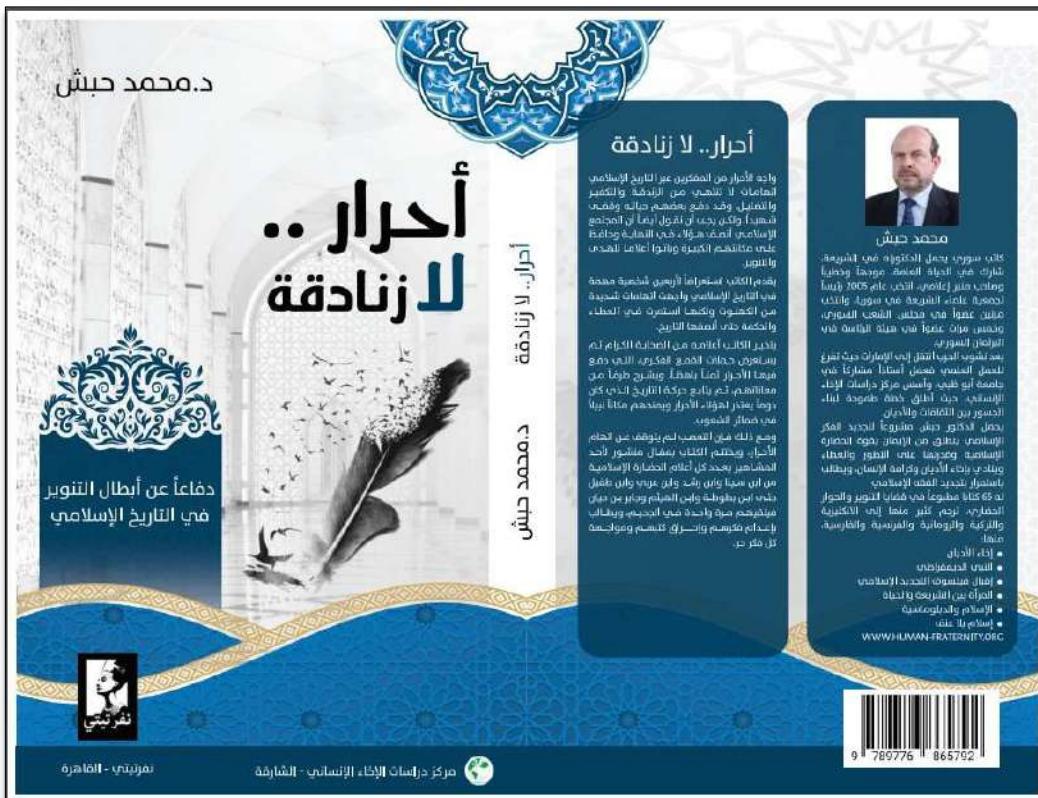
إن تناول التاريخ من منصة إخاء الأديان يفترض حسن الظن في ما جرى في التاريخ وتبرئة الجميع، والأمر نفسه كذلك في إخاء المذاهب والطوائف والعقائد، وذلك استناداً إلى الرصيد الثري والعميق لرسالة الغفران وقيم التسامح التي هي جوهر الأديان، إضافة إلى حضور ثقافة الحساب الأخرى الذي لا يضل ولا ينسى، والذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، مع التأكيد باستمرار أن طبيعة المولى سبحانه قائمة على الرحمة والغفران والتسامح. أما الحسم المعرفي والوصول إلى

نتائج علمية مبرهنة حول الأثر الإيجابي والسلبي الذي حققته الحركات الروحية في التاريخ فهذا شأن البحث العلمي الموضوعي في مراكزه الأكاديمية ولا أعتقد أن الإكليروس بكل أشكاله مؤهل ولا هو مطالب أن يحسم في هذه المسائل.

حسام الدين درويش : يبدو الكتاب معيارياً من حيث إنه يجاج بضرورة إخاء الأديان، وبالنتائج الإيجابية لهذا الإخاء، وبضرورة اختيار (تأويلات) النصوص الدينية التي تؤيد هذا الإخاء وتجنب التأويلات أو النصوص الأخرى. لكن الكتاب لا يبحث في مدى تناسب تلك الأطروحة مع الواقع ومدى إمكانية تبنيها والنجاح في تطبيقها. وبهذا هو تعبير عن رغبةٍ وفترةٍ خلقيٍ معرفيةٍ، رصينةٍ، وأخلاقيةٍ، راقيةٍ، أكثر من كونه تأسيساً معرفياً لحلولٍ عمليةٍ وممكنةٍ. ما رأيك ؟

وفي أفق آخر وهو الاعتبار بالmallات فهل ستتجدي هذه الأطروحة إذا برهنت علمياً على صحة فرضياتها، أم أن رجال الدين لا زالوا قادرين على نسف المقوله بدعوى الردة والزندقة وبالتالي تكون هذه الأفكار مجرد أحلام وردية لا حظ لها من الواقع ولا رجاء بها أو منها في المستقبل ؟

محمد حبش : قناعتي أن التحول إلى منطق الإخاء الديني له ظهيره في العقل وظهيره في الواقع، حين تتوفر الإرادة السياسية ولا نقصد بالطبع القمع بل نقصد الفرصة المتساوية فإن الأمور ستتغير بكل تأكيد، قبل عشرين عاماً كانت منابر الجمعة في العالم الإسلامي لا تخلو من دعاء على اليهود والنصارى يتضمن فيه الخطباء في هلاكهم واستئصالهم وإبادتهم، وكان ذلك شائعاً في الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، بما في ذلك حرم مكة والمدينة، ولكن مع صعود الإرهاب وما نتج عنه من إسلاموفobia وجدت الحكومات الإسلامية نفسها أمام مسؤولية حقيقة، وأصبح هذا التحذير للآخر الديني على المنابر منوغاً، وقام الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والمؤسسات الإسلامية الرئيسية بخطوات متسرعة لوقف ثقافة التحذير، واليوم لن تسمع في الجزيرة العربية مثلاً أي خطبة تنتهي بدعاء كهذا، وبات هذا اللون من التحذير منوغاً، وأصبح الخطاب المطلوب من المساجد هو التسامح والغفران، ويمكن القول إن ثمانين في المئة من الخطاب الديني قد تحول في هذا الاتجاه.



إنه ليس سحراً ولا عجائب، فما نشره في هذا الشرق هو ما حققه القانون في الغرب المتحضر، حيث كفل للناس حرية تدينهם ولا تدينهم، وقام بحماية الأقليات في اعتقادها واحترام تقاليدها، وباتت مشاريع الإخاء الديني أكثر فاعلية وانتشاراً، مع وجوب التنبية إلى الصراع المحتدم باستمرار في الغرب بين تيارات الحرية التي تطالب بحق إهانة المقدس الديني وبين التيارات المحافظة المطالبة بفرض قيود على إهانة المقدس. ويعتقد كاتب هذه السطور أن قوانين معاداة السامية التي أنجزها اليهود قابلة أن تتكرر وأن ينجز المسلمون حقوقياً شيئاً مثل ذلك لحماية مقدساتهم، وستكون كل هذه الإنجازات فرضاً جديدة لإخاء الأديان، وستنحسر مصارعة الأديان وتناحرها وتحقيرها إلى ركن مظلم وستعتبر ممارسات مناهضة للقانون.

حسام الدين درويش: قد (لا) تبدو الإشارة إلى اليهود وإلى قوانين معاداة السامية التي أنجزوها أو أسهموا مناسبة في السياق العربي والإسلامي عموماً، وفي السياق الراهن خصوصاً. فمن ناحية أولى، هي مناسبة لأن التوظيف السلي لليدين في الصراع السياسي مع الاحتلال الإسرائيلي / اليهودي لفلسطين يبلغ ذروته في هذه الأيام. ولهذا السبب فإن الاحتقان كبير في هذا الخصوص. إضافةً إلى ذلك، إن

التوسيع غير المعقول لمفهوم معاداة السامية وتوظيفاته السياسية وتطبيقاته العملية، أصبح أكثر حضوراً وأكثر سلبيةً وأكثر إثارةً للاستهجان في السنوات الأخيرة عموماً، وفي الفترة التالية على هجمات السابع من أكتوبر، خصوصاً. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، لا تبدو تلك الإشارة مناسبةً، لأن طرح أطروحة إخاء الأديان في هذا السياق يمكن أن يعطي الانطباع أنك تعتقد أن المشاكل (الأساسية) تكمن في الأديان، في نصوصها وفهمها وتطبيقاتها، وليس في الاحتلال والاستبداد والظلم وما شابه. ولهذا السبب ولغيره، يرجح أن تصطدم تلك الأطروحة، في الأجزاء الحالية، بردود فعلٍ متسلفةٍ ومتواترةٍ وغير مستعدةٍ للفهم والاستيعاب والحوار. يضاف إلى ذلك، إن ما رأيك في ذلك؟

محمد حبش: أنت على حق، ويبدو أنني لم أنتبه إلى مآلات طرح هذا المثال، فأنا غير معجب أبداً بقوانين معاداة السامية التي اتخذت شكلاً قمعياً، وتحولت إلى أداة بطش سياسي، وقد كتبت في ذلك طويلاً إبان محاكمات روجيه غارودي قبل عقدين، ولا بأس من هذا الاعتراف لأنه سيزيد الفكرة توهجاً وتوضيحاً. وما قصدته هنا كان فكرة النضال الحقوقي التي طالبت بها في غمار حملات الغضب الهاجفة التي انطلقت بعد فتوى الخميني ضد سلمان رشدي ثم شارلي أبيدو والرسام الدانمركي وغيرها حيث اجتاحت العالم الإسلامي مظاهرات مليونية غاضبة اصطدمت بالأنظمة وسقط فيها مئات الضحايا في بلاد عربية وفي باكستان وأفغانستان وإندونيسيا وإيران من دون أن يتعرض المسيء لأي أذى، حيث يحميه في أوروبا قانون الحريات، وهنا طالبت بالنضال الحقوقي ليقوم المسلمون بحماية حقوقهم عبر التغيير القانوني وليس عبر الهتاف والتظاهرات التي كانت تطالب الحكومات الغربية بالقيام بعمل غير قانوني، وهو ما جعل الحكومات الغربية في مواجهة مع الغضب الإسلامي.

أما الجزء الأخير من السؤال فإني لا أنكر أن جوهر الصراع الدموي اليوم ليس شقاق الأديان، بل هو مشاريع الهيمنة والمحاور في المقام الأول، وحتى في الحربين العالميتين وال الحرب الباردة لم يكن الشقاق الديني جوهر الصراع، وقد تضاءلت إلى حد كبير مبررات حروب العصور الوسطى في الحروب الحديثة. ولكن ذلك إنما تحقق بفضل ما أجزه فلاسفة التنوير في الغرب ضد التعصب الديني وضد سلطة الكنيسة وصولاً إلى الثورة الفرنسية وما أفرزته من قيم فصل الدين عن الدولة، ولكننا في هذا الشرق لا زلنا نعيش على تخوم القرن الثامن عشر، والصراع في

فلسطين مثلاً يتخد في الأرثوذكسيّة اليهودية والإسلامية منصات متقابلة، وتجادل إسرائيل اليوم لتأكيد وجودها كدولة دينية يهودية، وفي المقابل فإنّ الجهاد المسلح ضد إسرائيل لا يزال يلهب المجاهدين بنصوص الكراهية لليهود، وتخافت في الجانبين أصوات العقلانية والشراكة الديمقراطيّة، كما أنّ شقاق الأديان ظهر في الحرب العراقيّة الإيرانية وضحاياها المليونين بشكل أشد سوءاً على أساس صراع المذهب والمذهب، ولا شك أنّ ما أنتجه الصراع من ثقافة الكراهية تفاعل بشكل مرعب في بلاد الربيع العربي في سوريا والعراق ولا يزال، وهو أمر يفرض المزيد من الجهود للدعوة إلى إخاء الأديان وإخاء المذاهب.

حسام الدين درويش: يمكن لأطروحة إخاء الأديان أن تتشابك، تكاملاً أو تعارضًا، مع الهيمنة المتزايدة لرؤية الصوابية السياسية، والتي تمنع التناول الحر ومتعدد المنظورات لمسائل الصراع بين أطرافٍ ما بحجة عدم ملائمة وجهات النظر تلك من المنظور الأخلاقي بالإضافة إلى عدم صحته المعرفية. فمن منظور الصوابية السياسية، ينبغي عدم الحديث عن الآخر بوصفه كافراً، رغم أن منظورات دينية مختلفة تبني تلك الرؤية وترتها معبرة عن عقيدتها والحق المعرفي والأخلاقي الذي تؤمن به. وبذلك يتحول تنفيذ إخاء الأديان إلى مجرد شكليات فارغة في أحسن الأحوال شبيهة باللقاءات البروتوكولية بين أتباع الأديان، أو تتحول إلى عمليات نفaci وخداع متبادلٍ، في أسوأ الأحوال. السؤال هنا هو هل على الدولة أو القوى المسيطرة أن تنتصر - لأطروحة إخاء الأديان وتفرضها قانونيًّا واجتماعيًّا وتعليميًّا وإعلاميًّا، حتى إن كان الأساس المعرفي السائد والقبول الشعبي لها ضعيفٌ عموماً؟

محمد حبش: لم تعد مسؤولية الدولة تستطيع الانتظار، لقد أقرت قيم الدولة الحديثة، ولم يعد بوسع أي فريق سياسي أن يبقى خارج التاريخ، وعليه أن يستجيب لإعلان حقوق الإنسان وإلا فإنه لن تبقى دولة محترمة في العالم، ولعل أول إسقاطات إعلان حقوق الإنسان هو تقرير حق الإنسان في اختيار الدين وواجب المجتمع في احترام خياره، وهذا يعني أننا قطعنا أكثر من ثمانين في المئة من مشروع إخاء الأديان على المستوى الحقوقي. ولا أعتقد أن دعاء إخاء الأديان يحتاجون إلى حركة مأمونية اعتزالية متنورة تستخدم فيها أدوات الدولة، وتعرض المتشددين على السيف، لقد كانت ممارسات الخلفاء العباسيين المستنيرين الثلاثة ضارة جدًا على المستوى البعيد، وقدمت التنوير بصفة عميل للاستبداد، سرعان ما خضع المتوكل لرأي العامة ومارس البطش نفسه ضد فريق التنوير. كان ذلك قبل اثنين

عشر قرناً، ولقد أصبحنا اليوم في عصر آخر، لقد باتت الدولة الوطنية تقوم بذلك بشكل تلقائي وفي البلدان الإسلامية كما أشرنا تحقق ذلك في 52 دولة وما تبقى في الدول الحقيقة هو مسألة وقت، ولن يبقى خارج ذلك إلا أشباه الدولة.

إن الأفق مؤات تماماً لدعوة إخاء الأديان، وسيكون ترخيص أي جمعية بهذا العنوان أمراً سهلاً من الجهة القانونية، ولكن هذا لا يعني أن المواجهة سهلة، لقد تم الأمر على المستوى السياسي ولكن لا زال الشارع يغلي بغضب رجال الدين الذين يرون أن الإخاء والتقارب تمييع لثوابت الدين، وإنهاء لرسالة الدعوة والتبشير الإسلامي.

إن المنصات متاحة تماماً لبرامج حيوية وفعالة في إطار إخاء الأديان، وهي لا تحتاج من السلطة السياسية إلا الحماية في ظل القانون، وبالتأكيد لن يكون مفيداً أن تحول السلطة إلى مبشر بإخاء الأديان، إن تدخلاً فجأً كهذا سيجعل المشروع مبادرة حكومية أو حزبية، وهو ما يفقده احترامه في الشارع الثقافي والروحي، وعلى دعوة الإخاء بين الأديان أن يراقصوا التنين من دون أن يحرقهم لهيبه.

حسام الدين درويش: مشكلة الكراهية والتbagض بين الأديان وضمنها، بين الطوائف والمذاهب، مشكلة عالمية أو عابرة للدول، ومرتبطة بمشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أخرى. وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن حل هذه المشكلة يتطلب، من جهة أولى، أن يكون عالمياً أيضاً، وليس محلياً، ومن جهة ثانية، أن يتكامل مع السعي إلى حل المشكلات الأخرى المتداخلة مع مشكلة ثقافة الكراهية الدينية. ما تقييمك لعالية ولشمولية الجهود الساعية إلى الإسهام في تحقيق الحل المذكور، في الوقت الراهن؟

محمد حبش: لقد أشرت في الحوار إلى عدد من الحروب في الشرق الأوسط اندلعت بمشاعر دينية أو مذهبية كما هو الحال في الحرب الإيرانية العراقية وكذلك الحروب الداخلية في سوريا واليمن والعراق ولبنان، وبالطبع الحروب اليهودية الإسلامية. ولا شك أن وقف التحرير الدين هو مسألة وطنية سياسية بامتياز، تقوم بها الدولة وتحوكم عليها، ولكن ذلك لا يقلل من مسؤولية المثقف والقيادات الدينية الرشيدة في مواجهة ثقافة الكراهية، فمشكلة الكراهية فيرأي باتت مشكلة داخلية في المقام الأول، هي شيء يصنعه الكاهن عن عمد وإتقان، وعبارة السادة السلفية إن الله تعبدنا بالبغض للكافرين والمشركين، إنها ثقافة كاملة تدرس تحت باب كبير

اسمه الولاء والبراء يكرس على وجه عقدي ولاهوتي خالص ثقافة كراهية الآخرين
مهما بدت منهم عناصر الإحسان.

ولهذا الدور السلبي نظائره في الديانة اليهودية في فلسطين والهندوسية في شمال الهند والبوذية في بورما، وهو ينمو بشكل مربع في مناطق الصراع، ولكنها في النهاية دور الكهنة الأسود، فيما تبرأ الحكومات باستمرار من هذه المشاعر الطائفية. نعم لقد شهد التاريخ حروباً دينية ماحقة، ولكنها أصبحت من الماضي، حيث انتهت بالكامل الحروب الصليبية والغزوات الإسلامية، ولا يوجد دولة في العالم اليوم تكرس الاختلاف الديني سبباً في صراعاتها، حيث تندلع دوماً تحت اعتبارات الحرية والسيادة الوطنية، وبات المجاهدون أو فرسان الهيكل حين ينخرطون في هذه الحروب يتغافلون في تقديم مبرر لاهوتي للحرب، ولكن الخطاب الرسمي ظل دوماً يتحدث عن حقوق الإنسان والسيادة الوطنية، حتى في حروب البلقان الطائفية المقيمة وعلى الرغم من وجهاً الطائفي القبيح ولكن ظل الخطاب الرسمي للدول المتحاربة يتحدث عن حقوق وأراضٍ وسيادات وطنية وليس عن إيديولوجيات دينية، وبناء على ذلك انتهت الحرب ولا يزال التداخل الديني على أشدّه.

ربما يتعين هنا استثناء الصراع الإسلامي الإسرائيلي، حيث يتمسك الجمهور الإسرائيلي بالمعنى الديني للصراع، وقد استقدموا مهاجريهم من أطراف الأرض تحت الوعود الدينية والواجبات الشعائرية، وهو أمر يتصاعد باستمرار مع وصول اليمين المتطرف إلى الحكومة، وتبني حكومة نتنياهو رسمياً مشروع الدولة اليهودية. ويمكن القول إن الجانب العربي بات هنا أكثر انحيازاً لقيم الحضارة، وتخلى في خطابه الرسمي عن الصراع اللاهوتي، ولدينا الآن 24 دولة محيطة بإسرائيل وهي البلاد العربية وتركيا وإيران، ودون أي مبالغة فقد اختارت 23 دولة منها الحديث عن صراع سياسي على الأرض والحقوق والكرامة، ولكن بلداً واحداً لا يزال يتمسك بطبيعة الصراع الديني وهو إيران تحديداً، ومن يدور في فلكها في لبنان واليمن وال العراق وفلسطين، ولا أشك أنها الذريعة الجوهرية وراء وصول التطرف اليهودي إلى الحكم، واكتساحه الحياة السياسية في إسرائيل.

إنني أقول بصراحة ووضوح إن مسؤولية المثقفين وخاصة أولئك الذين يؤمنون بإخاء الأديان وكراهة الإنسان كبيرة و مباشرة، ولا يجوز أن يبقى هذا الصراع إسلامياً يهودياً، ولا يجوز أن يبقى الخلاف السياسي في العراق ولبنان وسوريا واليمن صراعاً بين النواصب والروافض، إنها مسؤولية المثقف أن يتوقف عن السردية القائمة

على شياطين وملائكة، وأن يتحول الوعي الشعبي إلى فهم طبيعة الصراع بين حقوق متقابلة، يحكمها القانون الدولي، وأن يقوم الدين بدور إيجابي في هذا الصراع باتجاه وقف الحرب وبناء السلام، بعد أن مارس دوراً سلبياً مدمراً على المستوى اليهودي أساساً وعلى المستوى الإسلامي أيضاً. ومن جانب آخر يتعين الإشارة إلى الإسلاموبايا والسامية فوبيا وربما في مكان آخر الصليب فوبيا، ولكن خطاب إخاء الأديان مدعو إلى مواجهة كل أشكال الكراهية ونزع فتيلها من الجذور، وسيجد بكل تأكيد حلفاء له في كل مكان في العالم.



الحوار التاسع: جهاد عبد الله - ستيب نيوز

موعد ستيب نيوز - جهاد عبد الله 2024/3/20



قدم السيد جهاد عبد الله مطالعة تفصيلية للحوار وفق ما نشرناه في كتابنا، حيث جمع الأفكار وقابلها على تفاعل الجدل الذي تشتعل به الأوساط الفقهية في مصر. وقد رأينا أن نقدم مطالعته أولاً، يليها كامل الحوار.

كتب جهاد عبد الله:

”الحجاب وعلاقة الجنسين والجنة“ 3 قضايا أشعلت الجدل بتصرิحات ”جمعة“ ومحمد حبش ”يفجر“ مفاجأة حولها

أثار مفتى مصر السابق علي جمعة، جدلاً واسعاً خلال الأيام القليلة الماضية، بعد تصريحات حول مفاهيم دينية معتبرة، تتعلق بشروط العلاقة بين الجنسين قبل الزواج، والحجاب، إضافة إلى تصريحه اللافت حول أن ”الجنة ليست حكراً على المسلمين“، ورغم الانتقادات والجدل لم يكن ”جمعة“ الوحيد الذي يرى هذه المفاهيم بتفسيرات معاصرة بعيدة عما ورد وتناقلته الأجيال دون البحث والتفكير، حيث كشف الدكتور محمد حبش عن أصل هذه التفسيرات وحقيقة لها.

وكان جمعة قال في برنامج تلفزيوني إن دخول الجنة ليس حكراً على المسلمين وحدهم، وأن العلاقات العاطفية مباحة بشرط. وفي سياق متصل، تناول جمعة قضية الحجاب، مؤكداً على أنه يجب ألا يصف ولا يشف ولا يكشف، مشيراً إلى أنه لا يوجد شكل معين للحجاب الشرعي، وأن الأهم هو تحقيق الشروط الثلاثة في أي أسلوب يتبعه الشخص.

وفتحت هذه التصرิحات باب النقاش حول تلك المفاهيم، وأثارت تساؤلات حول التفسيرات للنصوص الدينية وكيفية تطبيقها في سياقات الحياة اليومية.

الجنة ليست حكراً على المسلمين

يقول دكتور الفقه الإسلامي في جامعة أبو ظبي ومؤسس ومستشار مركز الدراسات الإسلامية، العالم والمفكر الإسلامي السوري، الدكتور محمد حبش، في حديث لوكالة ”ستيب نيوز“: ”الأدلة كثيرة على ما ذهب إليه الشيخ علي جمعة، وقد فصلت ذلك في كتابي إخاء الأديان، وأشهر الأدلة هي الآية الكريمة التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم بصيغ تكاد تكون متطابقة: إن الذين آمنوا والذين هادوا

والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجراهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، في إشارة إلى تصريح "جمعة" حول شمولية الجنة لأتباع الأديان الأخرى.



ويؤكد أن هناك نحو أربعين آية تثني على المؤمنين من أتباع الديانات الأخرى الذين أظهروا إنصافاً واحتراماً، وقد بين القرآن ذلك بكلمتين اثنتين في سورة آل عمرن، وهما: "ليسوا سواء" .. معتبراً أن "الكارثة تكون حين نضع الجميع في قالب واحد من محاربين ومسالمين ثم نحكم على الناس بناء على اعتقاداتهم، في حين أن الشريعة تأمرنا بالتعامل مع الناس وفق سلوكهم".

ويضيف: "النبي الكريم أثني باستمرار على الملك النجاشي ملك الحبشة وهو نصرياني، وحين مات قال مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبيجر قوموا بنا نصلي عليه، فأنكر ذلك بعض الصحابة وقالوا كيف نصلي على رجل من غير ديننا، فأنزل الله:

وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب.”

ويشدد الدكتور محمد حبش أن الآية واضحة في الثناء على طائفه من أهل الكتاب يؤمنون بأديانهم ويؤمنون بالإسلام ديناً كريماً، ويقرؤون آيات الله التي أنزلت عليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، والآية نص في أن الله تعالى يثبّتهم أفضّل الثواب في الآخرة، ”أولئك لهم أجرهم عند ربهم، ومقتضى- الآية الكريمة أنّ الجزاء الآخروي حق لهم، وفق ظاهر الآية {أولئك لهم أجرهم عند ربهم}.”

ويقول: ”مقتضى- هذه الآية أنّ الله تعالى يستمع الدعاء والعبادة من كل من توجه إليه بإحسان، أيّاً كانت القِبْلَة التي يتبعها أو الديانة التي يتزمهَا، حيث هو سبحانه مُنْزَه عن الجهات والمكان، وهو أقرب إلى عباده من حبل الوريد.”

ويتابع: ”إضافة إلى ذلك فقد روى الطبرى عن قتادة أنّ هذه الآية نزلت في النجاشي أيضاً، فحين دعاهم الرسول للصلوة عليه وأنزلت آية آل عمران كما بينا، عاد بعض الصحابة فاعتراضوا وقالوا: إنه لم يكن يستقبل قبلتنا ولا يعرف صلاتنا فأنزل الله تعالى: {ولله المشرق والمغارب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}.”

ويجدد ”حبش“ تأكيده أن الآية صريحة في قبول إيمان أهل الأديان، سواء كانوا من أهل القِبْلَة أم من قبلة غيرها طالما عبدوا الله بإحسان وأحسنوا في عباده، حسب وصفه.

وبالوقت عينه يعود الدكتور محمد حبش لمناقشة الرأي الآخر، مشيراً إلى أن هناك آيات معارضة لذلك، منها: ”ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين“، مشيراً إلى أن هذه الآية قد وردت للإشارة إلى أن الأديان جمِيعاً تنتهي إلى الإسلام الذي هو إسلام الوجه لله، وقد نص القرآن الكريم أن الإسلام دين كل الأمم والمملل التي تؤمن بالخالق العظيم سبحانه.

ويليفت أيضاً إلى أن هناك آيات شديدة وردت في المحاربين من ”الكافار“ وهي لا تنطبق على المختلف في الاعتقاد إذا كان مسالماً لا يعتدي على المسلمين.

ويستطرد قائلاً: ”الأدلة مترادفة، ومن آمن بظاهر هذه الآيات تأول الآيات الأخرى، وكذلك فعل الطرف الآخر، والخلاصة في آية واضحة في سورة الزلزلة التي يشرح

الله فيها قيام الناس للحساب يوم القيمة يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فقد تحدث بصيغة الناس وليس بصيغة المسلمين أو المؤمنين أو الصحابة، وهناك ختم بهذه الآية العظيمة: فمن يعمل (من الناس) مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل (من الناس) مثقال ذرة شراً يره.”

وكان العديد من الفقهاء يجزمون بدخول غير المسلم حكماً إلى النار، كما قال العالم الإسلامي الشيخ عبد العزيز بن باز: ”من مات على الكفر: يهودي أو نصراني أو غيره، إذا مات على دينه فهو في النار، الله توعّدهم بالنار، فالكافر في النار يقيناً، وال المسلمين في الجنة يقيناً.”

أما عن القضية الأخرى التي أشعلها الشيخ علي جمعة، حول الحجاب وشروطه الثلاثة، فإن الدكتور حبس يجدد تأكيده على صحة هذه التصريحات.

ويقول: ”اتفق الفقهاء بدون استثناء أن الحجاب أدب إسلامي كريم، واتفقوا أنه ليس من أركان الإسلام والخمسة ولا هو من أركان الإيمان الستة.”

ويضيف: ”اتفق الفقهاء الذين قاموا بإحصاء الكبار أن ترك الحجاب ليس منها، واتفقوا أن الأمر بالحجاب قد ورد في الكتاب والسنة، واتفقوا على أنه فرض في الصلاة والحج.

وقد وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم مرتين: مرة بصيغة المضارع المسبوق بلا م، (وليضر بن بخمرهن على جيوبهن) ومرة بصيغة المضارع الماضي (يدينين عليهم من جلابيبيهن) وورد مرة ثالثة متروكاً لتقدير المرأة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها).

ويتابع الدكتور ”حبش“ للنظر بالرأي الآخر، مشيراً إلى أن الفقهاء اختلفوا أيضاً: ”هل الأمر بالحجاب أمر واجب أم أمر استحباب؟.. الجمهور على أنه أمر واجب... ونختار أنه أمر استحباب للأسباب التالية: إن أمر الوجوب والفرض يقترب عادة بالحدود والعقاب أو بالغضب الإلهي والوعيد بالعذاب، وهذا هو شأن الأمر بالوجوب في ترك القتل والخمر والسرقة، وليس في الأمر بالحجاب شيء من ذلك.“

ويرى الدكتور "حبش" أن تعليل الحكم بالخوف على المسلمة من الأذى وفق الآية (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يجعل تقدير الحجاب في يد المرأة المسلمة، فهي تضعه متى شاءت وتتركه متى شاءت وفق تقدير ما تتعرض له من أذى وضرر.

وحول أمر الوجوب أو الاستحباب وما ورد فيهما يقول: "هناك 62 أمر صريح في القرآن الكريم يراد به الاستحباب وليس الوجوب، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: "واضربوهن" فالأمر هنا أمر إباحة وليس أمر واجب، ولو أن رجلاً نشرت عليه امرأته ولم يضرب امرأته فلا يقال له عاصياً ولا فاسقاً بل إن رسول الله نهى عن ضرب النساء وهو يرتل الآية فاضربوهن.... ومثل ذلك قوله "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" ... فلو أن رجلاً لم يتزوج مثنى ولا ثلاث ولا رباع فلا يسمى عاصياً ولا فاسقاً".

ويشرح أن الأمر بالاستحباب ورد أيضاً آية المدانية فقد ورد فيها الأمر بكتابة الدين سنت مرات متتابعة: "إذا تداینتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق، ولا تسأموا أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً إلى أجله، ولا يضار كاتب ولا شهيد"، مشيراً إلى أنه مع وجود ستة أوامر صريحة بالكتابة اتفق الفقهاء تيسيراً على الناس أن الكتابة مستحبة وليس واجبة وأن الديون تثبت بالبينة ولو لم تكن وثيقة مكتوبة.

ويقول: "ما ترويه الوعاظات من سلخ جلود النساء بسياط من نار وكيف بالعذاب والسعير والحريق وتعليق النساء من أثدائهن فهذا كله كذب وتخريف وتشويه للدين الحنيف واحتقار للمرأة".

ويخلص الدكتور "حبش" إلى أن أمر الحجاب متوك للمرأة فهو قرارها وحريتها ومسؤوليتها، مشيراً إلى أن واجبنا أن نشرح لها الحقائق الشرعية، وأن تعلم أن الدين يسر وليس عسراً وأنه رحمة وليس عذاباً.

ورغم أن هناك تيار واسع يعارض هذا التفسير، إلا أن غالبية الفقهاء اتفقوا على أن الحجاب واجب على المرأة بينما اختلفوا بأمر النقاب من حيث تغطية الوجه واليدين.

فمذهب الإمام أحمد والصحيح من مذهب الشافعي أنه يجب على المرأة ستر وجهها وكفيها أمام الرجال الأجانب ، لأن الوجه والكفين عورة بالنسبة للنظر، ومذهب أبي حنيفة ومالك أن تغطيتهما غير واجبة ، بل مستحبة ، لكن أفتى علماء الحنفية والمالكية منذ زمن بعيد أنه يجب عليها سترهما عند خوف الفتنة بها أو عليها، وظلت هذه المسائل عالقة بين سطور التفسيرات للعلماء والفقهاء.

شروط العلاقة بين الرجل والمرأة

بينما كان للدكتور محمد حبش وجهة نظر مختلفة نسبياً عن علي جمعة حول قضية العلاقة بين الرجل والمرأة بدون زواج، حيث أنه بالوقت الذي يحررها بعض الفقهاء تماماً، اعتبر "جامعة" أن لها ضوابط بسيطة منها معرفة الأهل مثلاً.

بينما يقول الدكتور "حبش": "العلاقة الاجتماعية التي تكون بين الطالب وزميلته والجار وجيرانه والرجل وقرباته والزملاء في العمل فهذه أبواب أذن الله تعالى فيها بالمحبة والخير والتراحم، والمؤمن إنسان اجتماعي بطبيعة، وقد أمرنا أن نقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، ولا يعجبني المسلم المعزول أو المسلمة المنعزلة لا تائف ولا تؤلف، وقد قال رسول الله: المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف".

ويضيف: "الشروعط فلا أعتقد أنها من مهمة الوعاظ أو الرقيب بل هي مهمة الإنسان، وكل نفس بما كسبت رهينة، وبل الإنسان على نفسه بصيرة، واستفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك"، بينما يؤكد أن "العلاقة الجنسية فهي محمرة قطعاً إلا في ظل الزواج الشرعي والعقد الذي أمر به الله تعالى".

ورغم ذلك هناك تيار يواصل فهم بعض النصوص بوجوب تحريم المخالطة بين الرجل والمرأة، كما قال ابن باز: "نص العلماء على تحريم عمل المرأة مع الرجل في مكتب واحد وعمل واحد، يتمكن من الخلوة بها والنظر إليها والنظر إلى ما حرم الله منها ونظرها إليه نظر الشهوة والفتنة هذا من المحرمات"، واستند إلى تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه بقول الله جل بالآية القرآنية : "وَقَرَنَ فِي بَيْوْتَكُنَ وَلَا تَبَرُّجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا،

وَإِذْكُرْنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُبُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا
[الأحزاب: 33، 34].

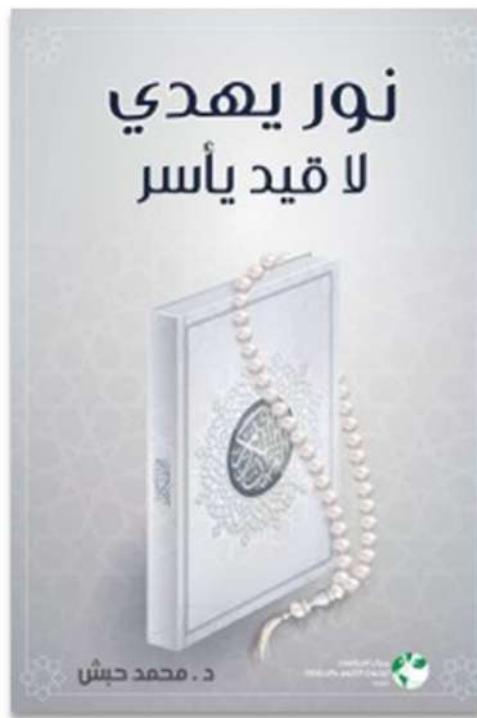
النصوص الدينية نور يهدي وليس قيد يأسر

ومع الجدل المثار حول النصوص التفسيرات وهي ليست وليدة اليوم ولم تقف مع تصريحات "جمعة وحبش"، فيرى الأخير أن "النصوص الدينية كما أخبر القرآن الكريم منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه ومنها ما هو ناسخ ومنها ما هو منسوخ ومنها المخصوص والمقييد والمؤول والموقوف فيه... وهذه قواعد أصولية كثيرة وضعها الفقهاء لإتاحة المجال للعقل ليختار ما يناسب الناس في كل زمان ومكان".

ويقول: "القرآن الكريم وهي من الله أشرق به في قلب النبي الكريم محمد عليه السلام، وهو الإشراق نفسه الذي شعر به الأنبياء والحكماء وال فلاسفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح الندية والقلوب السليمة".

ويضيف: "القرآن نص أدبي وتربيوي، ولذلك فهو حمال أوجه ويحتمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارة".

ويوضح أنه ليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر.



ويقول: ”أما العبادات فيتم استكمالها بما روي من الأحاديث الكريمة وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة بيرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحتكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.“

وبالوقت عينه يؤكد أن القرآن نص مقدس ولكنه محكم بالزمان والمكان، تقيده أسباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصيص العام وتقييد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشابه، مشيراً إلى أنه أيضاً ”حقيقة ومجاز.“

ويشدد على أن النظر إلى القرآن على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف ”غلو ومباغة“، قائلاً: ”المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.“

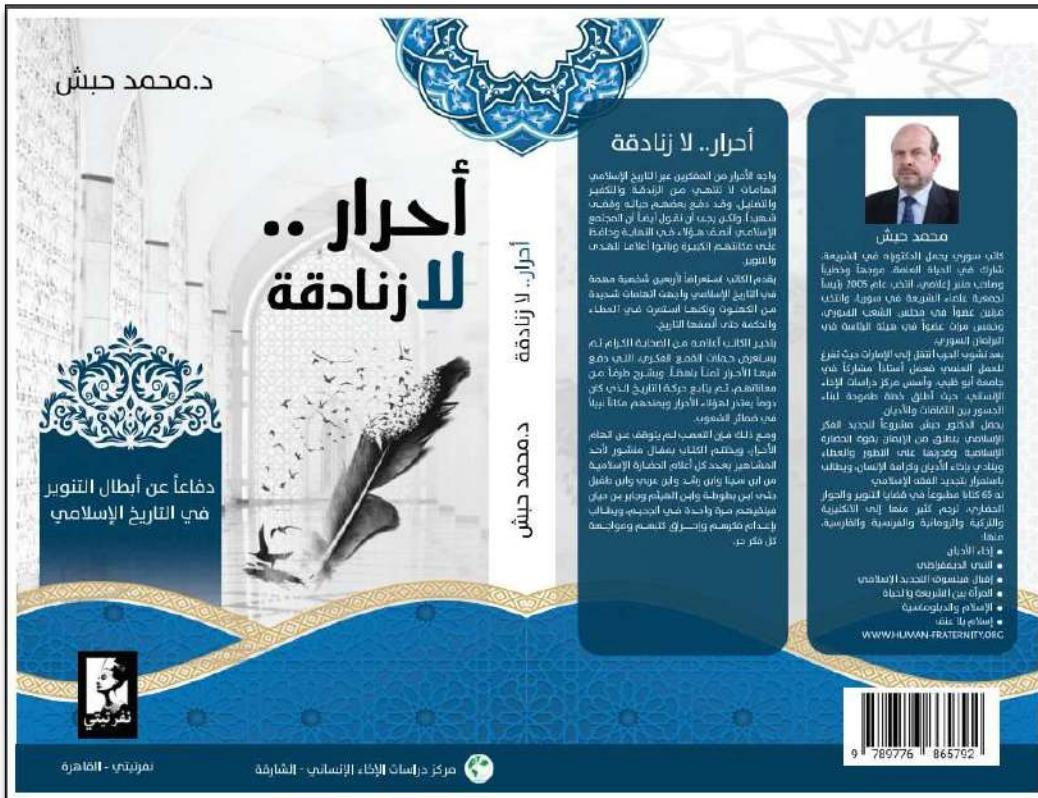
تساؤل آخر؟!

ويأتي الجدل المثار حول هذه القضايا في ظل توارث التفسيرات التي هي أيضاً نتيجة اجتهاد فقهاء من الناس وليسوا أنبياء، مما يجعل تفسيرهم يحتمل الصواب والخطأ، على اعتبار أن البشر ليسوا معصومين من الخطأ سوى الأنبياء، بحسب المتعارف بالدين الإسلامي.

وحول ذلك يقول الدكتور "حبش": "ال التربية السلفية هي التي أقنعت المسلم بأن الخير في الماضي والشر في المستقبل، وأننا نرتدي كل يوم إلى أرذل العمر، وأن السلامة في ترك كل جديد والعودة للقدماء. هذه القناعة هي حركة عكس التاريخ وعكس المنطق القرآني أيضاً الذي أمرنا بالضرب في الأرض واكتشاف سنن الله تعالى والعمل وفقها والاحتكام إلى العقل والعلم بعيداً عن رأي الأولين أو الآخرين".

ويضيف: "نقرأ التاريخ كله، ونتابع باهتمام وعي السلف وفهم السلف وجدهم السلف، ولكن لا ينبغي أن نتحنط في شيء من ذلك، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب والرسول الذي كان يأمر بالشيء ويحلف عليه الأيمان كان يتراجع عنه عندما يتغير الظرف والزمان والمكان، والقرآن نفسه الذي كان يحكم بالأمر في مسألة كان يقوم بنسخها حين يظهر أمر جديد، ومع أنني لا أميل للمبالغة التي ذهب إليها ابن الجوزي وابن حزم بالقول بنسخ 225 آية في القرآن المسطور ولكنني أذهب إلى القاسم المشترك بين الصحابة والسلف والفقهاء وهو القول بنسخ 21 آية من القرآن الكريم نفسه في حياة الرسول".

ويتساءل الدكتور محمد حبش "متى سنملك الجرأة والشجاعة ونحاكم التاريخ الإسلامي أيضاً وفق مسطورة القرآن وقواعده، فنتخاذل نوراً يهدي لا قيداً يأسر، ونملك الشجاعة والجرأة أن نمارس النقد البناء بشجاعة واحترام، دون أن نتهم بالتأمر على الأمة والزندقة في أحکامها والطعن في الثوابت، متى نستطيع القول عن جيل السلف كله من صحابة وتابعين وفقهاء مثل ما قال القرآن عن الأنبياء: إنهم أمة قد خلت لها ما كسبت لكم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون.. ويل لأمة تتقن تقديس ماضيها ولا تعمل لتقديس مستقبلها".



(النص الأصلي للحوار) 18/3/2024

1- انتشرت مؤخرًا تصريحات لعلي جمعة مفتى مصر السابق، أثارت جدلاً، حيث تحدث عن أن غير المسلمين يمكن أن يدخلوا الجنة أيضاً، برأيك هل هناك دلائل على ذلك وعلى ماذا استند العالم الأزهري؟

بالطبع الأدلة كثيرة على ما ذهب إليه الشيخ علي جمعة، وقد فصلت ذلك في كتابي إخاء الأديان، وأشهر الأدلة هي الآية الكريمة التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم بصبح تكاد تكون متطابقة: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وهناك نحو أربعين آية تثني على المؤمنين من أتباع الديانات الأخرى الذين أظهروا إنصافاً واحتراماً، وقد بين القرآن ذلك بكلمتين اثنتين في سورة آل عمرن، وهما: ليسوا سواء.. إن الكارثة تكون حين نضع الجميع في قالب واحد من محاربين ومسالمين ثم نحكم على الناس بناء على اعتقاداتهم، في حين أن الشريعة تأمرنا بالتعامل مع الناس وفق سلوكهم.

وفي مثال واضح فإن النبي الكريم أثني باستمرار على الملك النجاشي ملك الحبشة وهو نصراني، وحين مات قال مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبيجر قوموا بنا نصلي عليه، فأنكر ذلك بعض الصحابة وقالوا كيف نصلي على رجل من غير ديننا، فأنزل الله: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب} الآية واضحة في الثناء على طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بأديانهم ويؤمنون بالإسلام ديناً كريماً، ويقرؤون آيات الله التي أنزلت عليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، والآية نص في أن الله تعالى يثبthem أفضـلـ الثوابـ فيـ الـآخـرـةـ،ـ أولئـكـ لـهـمـ أـجـرـهـمـ عـنـدـ رـبـهـمـ،ـ وـمـقـضـىـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ أـنـ الـجـزـاءـ الـأـخـرـوـيـ حـقـ لـهـمـ،ـ وـفـقـ ظـاهـرـ الآـيـةـ {ـأـوـلـئـكـ لـهـمـ أـجـرـهـمـ عـنـدـ رـبـهـمـ}.

ومقتضى هذه الآية أن الله تعالى يستمع الدعاء والعبادة من كل من توجه إليه بإحسان، أيًّا كانت القِبْلَة التي يتبعها أو الديانة التي يتزمهـاـ،ـ حيثـ هوـ سـبـحـانـهـ مـنـزـهـ عنـ الجـهـاتـ وـالـمـكـانـ،ـ وـهـوـ أـقـرـبـ إـلـىـ عـبـادـهـ مـنـ حـبـلـ الـوـرـيدـ.

إضافة إلى ذلك فقد روى الطبرى عن قتادة أن هذه الآية نزلت في النجاشي أيضاً، فحين دعاهم الرسول للصلوة عليه وأنزلت آية آل عمران كما بينا، عاد بعض الصحابة فاعتراضوا وقالوا: إنه لم يكن يستقبل قبلتنا ولا يعرف صلاتنا فأنزل الله تعالى: {ولله المشرق والمغارـبـ فـأـيـنـماـ تـولـواـ فـثـمـ وـجـهـ اللهـ إـنـ اللهـ وـاسـعـ عـلـيـمـ}.

والآية صريحة في قبول إيمان أهل الأديان، سواء كانوا من أهل القِبْلَة أم من قبلة غيرها طالما عبدوا الله بإحسان وأحسنوا في عباده.

نعم هناك آيات معارضة لذلك، منها: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" وفي الواقع فإن هذه الآية قد وردت للإشارة إلى أن الأديان جميعاً تنتمي إلى الإسلام الذي هو إسلام الوجه لله، وقد نص القرآن الكريم أن الإسلام دين كل الأمم والملل التي تؤمن بالخالق العظيم سبحانه.

وهناك آيات شديدة وردت في المحاربين من الكفار وهي لا تنطبق على المختلف في الاعتقاد إذا كان مسالماً لا يعتدي على المسلمين.

بالطبع الأدلة متقابلة، ومن آمن بظاهر هذه الآيات تأول الآيات الأخرى، وكذلك فعل الطرف الآخر، والخلاصة في آية واضحة في سورة الزلزلة التي يشرح الله فيها قيام الناس للحساب يوم القيمة يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فقد تحدث بصيغة الناس وليس بصيغة المسلمين أو المؤمنين أو الصحابة، وهناك ختم بهذه الآية العظيمة: فمن يعمل (من الناس) مثل ذرة خيراً ييره، ومن يعمل (من الناس) مثل ذرة شراً يره

2-أيضاً سلطت وسائل الضوء على تصريح حول الحجاب بأن له شروط، وهو موضوع جدل قديم، برأيك هل حقاً الحجاب فرض أم هو كما يتداول البعض عادة سنتها التقاليد على مر السنين؟

اتفق الفقهاء بدون استثناء أن الحجاب أدب إسلامي كريم، واتفقوا أنه ليس من أركان الإسلام والخمسة ولا هو من أركان الإيمان الستة..

واتفق الفقهاء الذين قاموا بإحصاء الكبار أن ترك الحجاب ليس منها، واتفقوا أن الأمر بالحجاب قد ورد في الكتاب والسنة، واتفقوا على أنه فرض في الصلاة والحج.

وقد وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم مرتين: مرة بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر، (وليضر بن بخمرهن على جيوبهن) ومرة بصيغة المضارع الماضي (يدينين عليهن من جلابيبيهن) وورد مرة ثالثة متزوكاً لتقدير المرأة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)

ثم اختلفوا:

هل الأمر بالحجاب أمر واجب أم أمر استحباب؟

الجمهور على أنه أمر واجب ...

ونختار أنه أمر استحباب للأسباب التالية:

إن أمر الوجوب والفرض يقترن عادة بالحدود والعقاب أو بالغضب الإلهي والوعيد بالعذاب، وهذا هو شأن الأمر بالوجوب في ترك القتل والخمر والسرقة، وليس في الأمر بالحجاب شيء من ذلك.

إن تعليل الحكم بالخوف على المسلمة من الأذى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يجعل تقدير الحجاب في يد المرأة المسلمة، فهي تضعه متى شاءت وتتركه متى شاءت وفق تقدير ما تتعرض له من أذى وضرر.

وهل في القرآن أمر وجوب وأمر استحباب؟؟

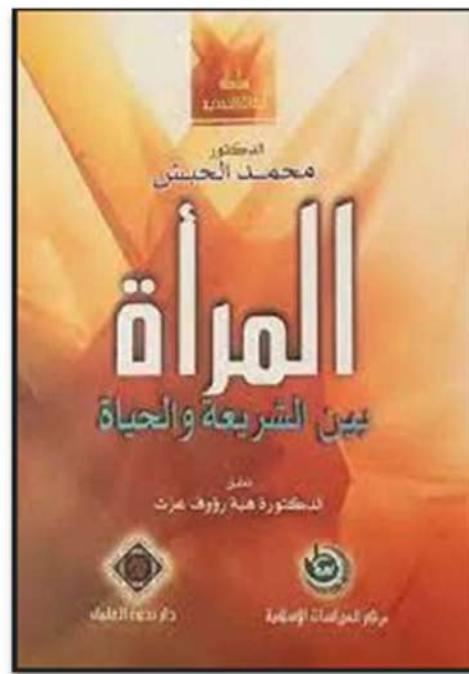
طبعاً هناك 62 أمر صريح في القرآن الكريم يراد به الاستحباب وليس الوجوب، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: **وَاضرِبُوهُنَّ**

فالامر هنا أمر إباحة وليس أمر وجوب، ولو أن رجلاً نشرت عليه أمرأته ولم يضرب امرأته فلا يقال له عاصياً ولا فاسقاً بل إن رسول الله نهى عن ضرب النساء وهو يرتل الآية **فَاضرِبُوهُنَّ**....

ومثل ذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع... فلو أن رجلاً لم يتزوج مثنى ولا ثلاث ولا رباع فلا يسمى عاصياً ولا فاسقاً ...

وأيضاً آية المداينة فقد ورد فيها الأمر بكتابة الدين ست مرات متتابعة: إذا تدأينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق، ولا تسأموا أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً إلى أجله، ولا يضار كاتب ولا شهيد، ومع وجود ستة أوامر صريحة بالكتابة اتفق الفقهاء تيسيراً على الناس أن الكتابة مستحبة وليس واجبة وأن الديون تثبت بالبينة ولو لم تكن وثيقة مكتوبة!

هذه الأدلة وغيرها بسطتها منذ عشرين عاماً في كتابي المرأة بين الشريعة والحياة، وكتاب نور يهدي لا قيد يأس...



أما ما ترويه الوعاظات من سلخ جلود النساء بسياط من نار وكيه بالعذاب والسعير والحريق وتعليق النساء من أثدائهن فهذا كله كذب وتخريف وتشويه للدين الحنيف واحتقار للمرأة.....

والخلاصة: إن علينا أن نترك أمر الحجاب للمرأة فهو قرارها وحريتها ومسؤوليتها، وأن نشرح لها الحقائق الشرعية، وأن تعلم أن الدين يسر وليس عسراً وأنه رحمة وليس عذاباً،

ورسالتي أن نحترم المحجبة والمسافرة، وندعو باحترام إلى الحشمة والعفاف وعدم التبرج، وأن نوسع على الناس في الدين، يريده الله بكم اليسرـ ولا يريد بكم العسرـ، ولست عليهم بمصيطر وما جعلك الله علهم رقيبا ولا حسيباً ولا شهيداً....

3-الموضوع الثالث الذي أشعل الجدل هو العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، حيث رأى العالم الأزهري أنها مباحة بشرطـ، هل تتفق معهـ، وإلى أي مدى يمكن لهذه العلاقة أن تنجح والضوابط التي يجب مراعاتها خلالها؟

العلاقة الاجتماعية التي تكون بين الطالب وزميلته والجار وجيرانه والرجل وقراباته والزماء في العمل فهذه أبواب أذن الله تعالى فيها بالمحبة والخير والترابم، والمؤمن إنسان اجتماعي بطبيعة، وقد أمرنا أن نقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، ولا يعجبني المسلم المعزول أو المسلمة المنعزلة لا تألف ولا تؤلف، وقد قال رسول الله: المؤمن يالف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

أما الضرب والشروط فلا أعتقد أنها من مهمة الوعاظ أو الرقيب بل هي مهمة الإنسان ، وكل نفس بما كسبت رهين، وبل الإنسان على نفسه بصيرة، واستفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك

أما العلاقة الجنسية فهي محرمة قطعاً إلا في ظل الزواج الشرعي والعقد الذي أمر به الله تعالى

4-برأيك هل هناك نوع من أنواع تقديس النصوص الدينية بحروفتها أكثر من فهم محتواها ورسالتها التي قد تكون نزلت بزمان ومكان محددين؟

النصوص الدينية كما أخبر القرآن الكريم منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه ومنها ما هو ناسخ ومنها ما هو منسوخ ومنها المخصوص والمقييد والمؤول والموقوف فيه... وهذه قواعد أصولية كثيرة وضعها الفقهاء لإتاحة المجال للعقل ليختار ما يناسب الناس في كل زمان ومكان.

القرآن الكريم وحي من الله أشرق به في قلب النبي الكريم محمد عليه السلام، وهو الإشراق نفسه الذي شعر به الأنبياء والحكماء وال فلاسفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح الندية والقلوب السليمة.

القرآن نص أدي وتربوی، ولذلك فهو حمال أوجه ويتحمل تأویلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأویل واحد، وفيه آیات محکمات هن أم الكتاب وفيه آیات متشابهات لا يعلم تأویلها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنین ولا يزيد الظالمین إلا خسارةً.

ليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصوص هي نور يهدي وليس، قيدها بأسر، أما العبادات فتتم استكمالها بما روى من الأحاديث الكريمة

وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة ببرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.

والقرآن نص مقدس ولكنه محكم بالزمان والمكان، تقييده أسباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلالاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصيص العام وتقيد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشابه، وفي سائر الأحوال فهو أيضاً حقيقة ومجاز.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف غلو ومباغة، وهو المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

5- هل ترى أن التربية الدينية التقليدية بالمجتمعات العربية ساهمت بتشديد الخطاب الديني وأبعدت فكر تقبل الاختلاف بالرأي فيه

بالطبع التربية السلفية هي التي أقنعت المسلم بأن الخير في الماضي والشر— في المستقبل، وأننا نرتد كل يوم إلى أرذل العمر، وأن السلامة في ترك كل جديد والعودة للقدماء.

هذه القناعة هي حركة عكس التاريخ وعكس المنطق القرآني أيضاً الذي أمرنا بالضرب في الأرض واكتشاف سنن الله تعالى والعمل وفقها والاحتكام إلى العقل والعلم بعيداً عن رأي الأولين أو الآخرين

نقرأ التاريخ كله، ونتابع باهتمام وعي السلف وفهم السلف وجهد السلف، ولكن لا ينبغي أن نتحنط في شيء من ذلك، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب والرسول الذي كان يأمر بالشيء ويحلف عليه الأيمان كان يتراجع عنه عندما يتغير الظرف والزمان والمكان، والقرآن نفسه الذي كان يحكم بالأمر في مسألة كان يقوم بنسخها حين يظهر أمر جديد، ومع أنني لا أميل للعبارة التي ذهب إليها ابن الجوزي وابن حزم بالقول بنسخ 225 آية في القرآن المسطور ولكنني أذهب إلى القاسم المشترك بين

ال الصحابة والسلف والفقهاء وهو القول بنسخ 21 آية من القرآن الكريم نفسه في حياة الرسول.

إنه الماضي... بكل ما فيه، وأجمل ما فيه وأروع ما فيه القرآن والسنة، ولكنه الماضي، وحين يكرر القرآن الكريم علاقة المسلم بالتاريخ يبسطها في صورة مدهشة، وبعد أن يحدثنا عن تاريخ الأنبياء في سورة البقرة وتحديداً إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنساط وموسى وعيسى. وينص تحديداً على ما أوي النبيون من ربهم يقول بمنتهى الوضوح: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

إنهم أنبياء الله ورسله، وليسوا مجرد صحابة أو فقهاء.. إنهم أنبياء ورسلون ولكنهم في نظر القرآن الكريم أمة قد خلت، نقرأهم للاعتبار والادخار، نوراً يهدي لا قيداً يأس.

إنهم الأنبياء وصحابتهم وكتبهم وصحفهم وألواحهم وعلماؤهم وفقهاؤهم، يقدمهم القرآن الكريم في غاية التمجيل والاحترام ولكنه يكرر مرتين بعد رواية أخبارهم: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

متى سنملك الجرأة والشجاعة ونحاكم التاريخ الإسلامي أيضاً وفق مسطورة القرآن وقواعده، فنتخاذل نوراً يهدي لا قيداً يأس، ونمثل الشجاعة والجرأة أن نمارس النقد البناء بشجاعة واحترام، دون أن نتهم بالتأمر على الأمة والزندقة في أحکامها والطعن في الثوابت، متى نستطيع القول عن جيل السلف كله من صحابة وتابعين وفقهاء مثل ما قال القرآن عن الأنبياء: إنهم أمة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

ويل لأمة تتقن تقديس ماضيها ولا تعمل لتقديس مستقبلها.

في هذه الدراسة تقدم الباحثة لين الخطيب دراسة مفصلة بناء على لقائين مع الدكتور محمد حبش حول واقع الفتوى في سوريا ومستقبل العلاقة بين الدين والسلطة

Syria Studies Vol. 15, no. 2, 2023

3

Autocracy, Iran and Religious Transformation in Syria

Line Khatib¹

Introduction

The oversight and regulation of religion and religious leaders in Syria through both informal and formal cooptation and institutionalization is not new. Rather, it is part of the autocratic regime's familiar attempts to control the religious realm, especially the Sunni one, which is considered stubbornly autonomous and powerful and so a potential threat to the regime's monopoly on power. This is especially the case if/when religious leaders cooperate with other groups such as pro-democracy activists, since such cooperation could magnify each group's range, reach and impact. But the new political reality in Syria in the wake of the Syrian uprisings of 2011 and the ensuing Iranian interventions on the side of the Syrian regime has meant that there needed to be some kind of significant transformation, what in this paper is considered a rupture in the command structure, customary role,

¹ Line Khatib is an academic with a background in Comparative Politics, Islamic Studies, and Middle Eastern studies. Her research sheds light on the challenges facing democratic activism in authoritarian contexts. Her latest work, *Quest for Democracy*, removes the veil about liberal democratic groups and actors in the Middle East region through a detailed analysis that presents democratic activism across generations. The purpose of her work is to re-situate and to shed light on an overlooked and often dismissed movement, in an attempt to provoke a re-evaluation of the existing narrative about the ubiquity and durability of authoritarianism in the MENA region.

الحوار العاشر : شيماء المناعي



المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس



جامعة تونس المنار

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والحضارة والأداب العربية

اختصاص الحضارة

الرؤى الجهادية الحديثة والمعاصرة

محمد حبش ألموندجا

إشراف:

الدكتور محمد الرحومي

إعداد الطالبة:

شيماء مناعي

السنة الجامعية 2023-2022

تقدمت الطالبة شيماء المناعي من جامعة تونس المنار بهذه الدراسة لنيل درجة الماجستير بإشراف البروفسور د. محمد رحموني.

وقد وقعت الدراسة في 188 صفحة وتناولت المسيرة الفكرية والعلمية للدكتور محمد حبش

ومما جاء فيها:

عصره

عاش محمد حبش في النصف الثاني من القرن العشرين وما زال حيا يواكب تطورات القرن الحادي والعشرين. ومما لا شك فيه أن المنطقة التي عاش فيها (الشرق الأوسط) هي منطقة ثرية بالأحداث والتقلبات السياسية والاقتصادية. ونظراً إلى ثراء هذه الفترة ثراء لا يمكننا الإلحاد به سنتقتصر على ما له علاقة بموضوع الجهاد. وبالفعل فقد عرفت المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين والعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين أحدهما ذات طابع حربي وعسكري ارتبط معظمها بالجهاد. وتمثل هذه الأحداث في ما عرفته سوريا من انقلابات عسكرية ومن صراع مسلح بين النظام السوري والدولة الصهيونية بعد احتلال الجولان سنة 1967 وبينه وبين جماعة الإخوان المسلمين وبين هذا النظام وفصائل جهادية مسلحة منذ بدايات الثورة السورية سنة 2011.

وإذا أردنا فعلاً أن نجد وصفاً سياسياً وعسكرياً يليق بسوريا الحديثة فلن يكون سوى عبارة "دولة الانقلابات العسكرية" فما بين سنتي 1949 و1970 تعرضت سوريا إلى عشرين انقلاباً ومحاولة انقلاب⁸ مما جعل الجيش هو الحاكم الفعلي للبلاد. وربما هذا ما دفع محمد حبش إلى الحديث في مؤلفاته عن دور الجيش

⁸ - لمزيد التفاصيل حول هذا الموضوع انظر: كمال ديب، تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 2012، الفصل الثالث "حقبة الانقلابات والغوضي" صص 117-147

ومسؤوليته في بروز التيارات الجهادية المتطرفة والعنيفة. لقد عاش محمد حبش في ظل دولة بعثية ذات توجهات قومية يحكمها العسكريون مدى الحياة.

في جوان من سنة 1967 احتلت إسرائيل هضبة الجولان التابعة لسوريا والسبب في ذلك لا يعود فقط إلى أطماع إسرائيل التوسعية بل للدور الذي لعبته سوريا في احتضان الفلسطينيين الذين كانوا يجاهدون لتحرير أرضهم⁹ و كنتيجة لهذه الهزيمة القاسية حصل انقلاب عسكري بقيادة حافظ الأسد (1930-2000) يوم 16 أكتوبر 1970. وقد تمكن الأسد بالتنسيق مع مصر من إلحاق هزيمة بالجيش الإسرائيلي في حرب رمضان سنة 1973 مما قوى أكثر من نفوذ الجيش في البلدين.

أما الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين والنظام السوري فقد عرف ذروته في أحداث مدينة حماة سنة 1982. وقبل ذلك عممت هذه الحركة إلى سياسة الاغتيالات والتفجيرات في مقابل اعتماد النظام سياسة الإعدامات والتعذيب والتنكيل¹⁰

وسيكون على بشار الأسد الذي خلف والده سنة 2000 أن يواجه جيلاً جديداً من الإسلاميين الذين يرفعون لواء الجهاد منذ اندلاع الثورة السورية سنة 2011. وبالفعل بعد أن بدأت الثورة السورية بسلمية مثلما حصل في بلدان الربيع العربي ظهرت مجموعات إسلامية جهادية مدعومة من دول خليجية عديدة ورفعت لواء الجهاد في سبيل الله مما دفع بعض الباحثين إلى الحديث عن " أسلمة الثورة السورية"¹¹

خلاصة الأمر أن محمد حبش عاش في ظل دولة يغمرها الجهاد من كل حدب وصوب فالجيش السوري يعتبر حربه ضد إسرائيل جهاداً، ويعتبر جماعة الإخوان المسلمين دعوة فتنة¹² وبالتالي وجب جهادهم. وفي المقابل تعتبر حركة الإخوان المسلمين وبقية الحركات الجهادية مثل جبهة النصرة وداعش النظام السوري نظاماً بعثياً كافراً معادياً للإسلام والمسلمين ولذلك وجب جهاده.

خاتمة الفصل

⁹ - المرجع السابق، ص 283 وما بعدها.

¹⁰ - نفسه ص 555.

¹¹ - أحمد طعمة، "هل دخلت الثورة السورية مرحلة الخطير؟" منشور ضمن: ثورة المتروكين: أوراق بحثية حول تطورات الثورة السورية، تحرير آلاء الصديق، ط 1، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة - قطر، 2017، ص 74.

¹² - كمال ديب، تاريخ سوريا المعاصر، ط 1، دار النهار للنشر، 2011، ص 540.

إن أول ما يخرج به القارئ من سيرة محمد حبش هو غزارة إنتاجه وتنوعه وكثرة نشاطه رغم صغر سنه. فهو باحث وسياسي وأستاذ جامعي وخطيب ديني ورجل حوار ديني. . إلخ. كيف لا وهو صاحب مشروع فكري يبني على الأساس على تجديد الفكر الديني وقراءة الموروث الديني قراءة سلمية تركز على عناصر السلم والإخاء، كما ترتكز على العناصر التقدمية في تاريخ الإسلام وحضارته.

ورغم ذلك فمن اللافت للنظر حقا هو الجمع بين التكوين التقليدي والتدين والانفتاح على قيم العصر. مثل قيم التسامح والديمقراطية والحوار مما يطرح سؤالا عميقا حول كيفية تصنيفه بالمقارنة بأشباهه من المفكرين المسلمين فهل هو من طينة علي عبد الرازق الذي كانت له الجرأة على الفصل بين الدين والسياسة؟ هل هو من طينة محمد أركون ومحمد عابد الجابري وعبد المجيد الشرفي؟ أم هو من صنف جديد من المفكرين الذين يجمعون بين الوعظ والإرشاد والخطابة الدينية في صلاة الجمعة وفي الوقت نفسه مواجهة الفكر التقليدي الذي يتميز بموافقه المتشددة في قضایا العلمانية والمرأة ونظام الحكم والحوار مع الأديان الأخرى؟ هل إن كثرة كتاباته كانت على حساب الجودة والموضوعية؟ فنحن نعلم أن البحث الرصين والمتأنى والعميق يتطلب جهدا كبيرا ووقتا أكبر.

الحقيقة أنه لم يتسع لنا الاطلاع على كتابات تقوم فكره تقويميا علميا¹³ فكل ما وجدناه إما تحريضاً ومدحاً وإما تكفيراً. ومن بين ما كتب عنه لتكفيه مقال بقلم أحمد محمد كنعان بعنوان "حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنموي" عرض فيه مبادئ فكر محمد حبش ثم علق عليها قائلا: "وواضح ما في هذه الأفكار من تعارض كبير مع صريح القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد في كتابه "العقوبات الجسدية وكراهة الإنسان - نحو فقه إسلامي مناهض للتعذيب" الذي دعا فيه إلى إلغاء الحدود التي وردت في القرآن الكريم، ولم يكتف بهذا بل دعا إلى استبدالها بأحكام تنسجم مع موثائق الأمم المتحدة، ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، جاعلاً من موثائق هيئة الأمم شريعة بديلة عن شريعة الله عز وجل ! مما يشير إلى طبيعة البدور التي غرست في ذهنه وعقله من قبل شيخه كفتارو وأمثاله من عشاق الفكر الغربي العلماني !

¹³ - عثرنا على مقال مكتوب باللغة الإنجليزية حول محمد حبش وهو مقال أكاديمي منشور في مجلة مختصة ولكننا لم نستطع الاطلاع عليه فهو لا يقرأ إلا بمقابل مادي. المقال هو:

Paul L. Heck , "Religious renewal in Syria: the case of Muhammad al-abash" , in Islam and Christian-Muslim Relations, Volume 15, Issue 2 (2004)

ولا يتوقف حبس عند هذه السقطات القاتلة، بل نراه يعقد منهج "الخواج" في تعطيل "الحدود" التي وردت في نصوص قطعية في القرآن الكريم، فنجده يتحدث عن تطبيق هذه الحدود التي فرضها الله عز وجل على جملة من الجرائم، فيرى ضرورة استبدالها بعقوبات أخرى، تتناسب - حسب وصفه - مع كرامة السارق أو قاطع الطريق ! متجاهلاً التحذير الإلهي المزلزل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [سورة الأحزاب 36] ، هذا التحذير فيما إذا قدم المؤمنون حكماً آخر على حكم الله، فكيف ونحن نرى حبس يقدم حكم الكفار على حكم الله ¹⁴؟

لكل هذه الأسباب فإن الغوص في فكره وتفكيره هو الكفيل بأن يجيبنا عن كل هذه الأسئلة الحارقة. وسننسى إلى ذلك من خلال دراسة موقفه من الجهاد.

١- المشروع الفكري لمحمد حبش

لمحمد حبش مشروع فكري، وككل المشاريع فهو يرتكز إلى وجود مؤسس أو مؤسسين وإطار مادي وإلى وجود برنامج وكذلك مؤلفات تجسد هذا البرنامج إضافة إلى تطبيقات لهذا البرنامج. بالنسبة إلى المؤسسين فقد انطلق حبس من أفكار شيخه أحمد كفتارو¹⁵ وأما بالنسبة إلى الإطار المادي فقد أطلق مشروعه عبر مركز الدراسات الإسلامية بدمشق وعبر رابطة كتاب التنوير. وأما برنامج هذا المشروع أو أهدافه فقد لخصه محمد حبس بنفسه في ما سماه: ميثاق رسالة التجديد. وهو ميثاق يتضمن جملة من النقاط هي التالية:

- الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان بأسمائه الحسنى التي يتحبب بها إلى خلقه، وأنه وسعت رحمته كل شيء.
- الإيمان بالأنبياء الكرام وكتبهم المقدسة التي جاؤوا بها إلى أزمنتهم وأقوامه.

¹⁴ - أحمد محمد كنعان، "حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنويري" منشور في : <https://islamsyria.com>

¹⁵ - للاطلاع على البرنامج الإصلاحي للشيخ أحمد كفتارو انظر: محمد حبس، منهج التجديد والإصلاح: دراسة في فكر الشيخ أحمد كفتارو، ط2، دار التجديد، دمشق - سوريا، 1996

- الإيمان بالآخرة، وأن الله قادر على أن يعيد الخلق وهو أهون عليه، والتصديق بكل ما ورد فيها من صيغ العدل وننتأول ما ورد من مظالم بحسب الظاهر، وفق قاعدة: فمن يعمل مثقال ذرة شرّا يره.
- الإيمان بأن لكل أمّة شريعة ومنهاجا، وأن لكلّ جيل زماناً ومكاناً.
- إن الشرائع جميعها هدى للإنسان ونور أهلها الله سبحانه وتعالى في مراحل مختلفة، وهي تلخص تجارب إصلاحية فريدة قدّمت الخير والهدى للناس.
- الأديان مدارس هداية ونور، ونؤمن بأن الله أودع فيها ما ينفع الناس، وندعو إلى التعامل مع الأديان وفق الدعوة القرآنية: مصدقاً بين يديه، وهو ما يعني تبادل الاحترام والموعدة، ورفض صيغ القطعية والكراهية التي ترور في تراثنا وثقافتنا.
- إن الإنسان هو المسؤول الأول عن اختيار سلوكه في الأرض، اجتهاداً واستنباطاً وبحثاً، وعليه أن يهتدي في خياراته بمن سبّقه من الأنبياء والمصلحين والحكماء، ولا تعدّ أيّ من هذه الخيارات خياراً ملزماً.
- الاختلاف جزء من فطرة الإنسان وتكوينه، ولا ينبغي أن ينصرف جهد المصلحين إلى القضاء على الاختلاف وإنما إلى الإفاده منه في إطار التنوع والتعدد والتكامل.
- إن منهج القبول والرّد من المعارف والثقافات جميعها هو أنّنا نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم، ونلتزم لهم الأعذار فيما لا يستقيم، على أساس أنه الألائق بظروفهم وزمانهم.
- ليس لله شعب مختار، والخلق جميعاً متساوون أمام عدالته ورحمته.
- نؤمن بأن آيات الله في الآفاق والأنفس لها قوّة آياته في الكتب المنزلة.¹⁶

إنّ أهم ما في هذا الميثاق هو إيمان محمد حبش بتساوي الأديان فليس هناك دين أفضل من دين ولا أمة معينة اختارها الله من بين الأمم بل إنّ الكون كله مبني على الاختلاف فهو سنة الحياة بل لا حياة ولا عيش بدون هذا الاختلاف. إنه فعلاً فكر صادم لعامة المسلمين بل حتى للأتباع الأديان الأخرى مثل اليهود الذين يعتقدون أنهم شعب الله المختار. ولذلك ومبذلّاً فإن محمد حبش لن يكون له نفس موقف الفقهاء ورجال الفكر التقليديين من الجهاد فالجهاد كما رسم في أذهان

¹⁶ محمد حبش، رسالة التجديد، ط3، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، 2021، ص

ال المسلمين قد شرع لنشر الإسلام بين الأمم الكافرة بما في ذلك اليهود والمسيحيون.
كيف تناول محمد حبش موضوع الجهاد ضمن هذه الرؤية التجديدية؟

II - موقف محمد حبش من الجهاد

1 - الحضور الكمي لفكرة الجهاد في مؤلفاته

إن المتمعن في مؤلفات ودراسات وخطب محمد حبش يلاحظ حضور مسألة الجهاد حضوراً بارزاً طغى على مساحة جل الكتب وأخذ حيزاً كبيراً من صفحاته باعتباره موضوعاً مركزاً في القرآن وإشكالية كبرى في العصر الحديث. فنسبة حضور الجهاد في مؤلفاته وخطبته لا تقل عن تسعين بالمائة ¹⁷ منذ بداية تجربة كتابته إلى اليوم. والجهاد حاضر في فكره ليس فقط باعتباره مفهوماً فقهياً بل كذلك باعتباره مفهوماً فكريّاً وسياسياً وتربيوياً وحضارياً. لذلك لا يمكننا أن نفهم موقفه دون ربطه بتصوّره السياسيّ الفكريّ للإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً.

تدور كتبه المتعلقة بالجهاد حول غاية وحيدة وهي تبرئة الإسلام من العنف والقتل وال الحرب. لقد سعى جاهداً إلى تجاوز الفكر الديني التقليدي بتقديم رؤية حتمت تطوير مفهوم الجهاد بفصله نهائياً عن القتال والقتل.

وتكمّن طرافة الطرح في تعدد الطرق ¹⁸ خاصة وإن كانت المسألة المطروحة مازالت محلّ صراع الباحثين. فقد تمكنا من خلال مؤلفاته من تحديد طريقتين تناول بهما موضوع الجهاد:

طريقة غير مباشرة أثار فيها القيم التي تنافي العنف وتسبعد القتال كالديمقراطية والدبلوماسية والحرية وكيفية التعامل مع الآخر المختلف عقائدياً، مثل حديثه عن الديمقراطية والشوري إذ اعتبرهما من السنن النبوية التي لا يمكن الفصل بينها حتى يؤكّد النجاح السلمي الذي حقّقه الرسول في كفاحه وينفي عنه أيّ عمل عنيف مصيره سفك الدماء¹⁷. أو حديثه عن الآخر المختلف عنا عقائدياً بالمراهنة على الحوار معه لأخذ ما يطورنا بدل هدمه. فالتجددية مقصود رّباني وإبداع إلهي، فلا داعي لمقاطعته ومحاربته¹⁸.

¹⁷ محمد حبش، النبي الديمقراطي: دراسات في الملامح الديمقراطية في كفاح الرسول، ط 2، دار سائر الشرق للنشر والتوزيع، 2019.

ص 28 _ 29

¹⁸ محمد الحبش، جiran على كوكب واحد، ط 1، سلسلة أبحاث التجدد، دار ندوة العلماء، 2021، ص 20 وإخاء الأديان : محاولة لبناء إخاء إنساني رصيده الروح والعرفان، دراسة في الأصول المؤسسة في التراث الإسلامي، ط 1، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2021. ص 81

الطريقة مباشرة ترجمت منهجه الإصلاحي الإسلامي الإنساني وبيّن فيها موقفه من الجهاد أو بالأحرى موقفه من الجهاد المسلح ومن فعل القتال، وللخُصُوصَة في قوله: "وتهدِّف الدراسة إلى مواجهة الفكر المتطرف القائم على تقسيم العالم إلى فسطاطين متعادلين، على أساس دار إسلام ودار حرب، وتأكيد البديل الإسلامي الحضاري في بناء العلاقات الدولية الناجحة، العابرة للاختلاف الديني والمذهبي والعرقي والثقافي"¹⁹ وسنفصل القول أكثر في هذه الفكرة لاحقا.

2 - نوعية المقاربة من خلال العناوين:

وردت عناوين مؤلفات محمد حبش على أشكال نحوية مختلفة وصيغ جريئة في الألفاظ خاصة أنها تتصدر غلاف الكتب، هي عناوين أحياناً تكون صريحة تحيل على ما أراد قوله منذ البداية. فتكون العلاقة بينها وبين المحتوى علاقة وثيقة تلخص ما جاء مشتتاً، على سبيل المثال كتاب "إسلام بلا حروب"، وأحياناً تبدو عناوين بعيدة عن الجهاد ظاهرياً مثل كتاب "شرف الكلمة" لكنها خاضت في المسألة. وتكمِّن الطرافة من ناحية أخرى في وضع عناوين جامعة بين أشياء متباعدة في الزمان والمكان ومن الصعب الجمع بينها لعدم تطابقها، مما نتج عنه ثراء دلالياً. فكيف للجهاد وهو موضوع ذو أصل قديم مطروح منذ قرون أن يتشكل في عناوين تحمل مصطلحات حديثة مثل: "الدبلوماسية في الإسلام"؟ ومثل "النبي الديمقراطي"؟ فهذا الاختيار إن دل على شيء فهو يدل على أن مقارنته تبدو حديثة، فلم يسبق أن رأينا مثل هذا النموذج من العناوين عند غيره من المعاصرين فإذا عدنا إلى كتبهم نجد أن عناوينها تحيل مباشرة على الموقف الرجعي لصاحبه مثل عنوان مقاله "التكفير شرع الله فأين تذهبون"²⁰؟

3 - ثراء مقارنته للجهاد

كرّس حبش جهده لمحاولة إعادة قراءة للموروث الثقافي وتقويم الفهم السقِيم لهذه الظاهرة مؤكداً أنه لا خلاص لهذا الشرق إلا بسلمية غاندي وأحلام بسمارك أبو الرايخ وفون رون اللذين رسموا ازدهار العالم على أمل انتهاء الهمول العالمي وعقد

¹⁹ محمد حبش، السلام بدل الحرب: دراسة في حياة صانعي السلام في التاريخ الإسلامي، ط1، سلسلة الفكر الوسطي، دت. ص 9

²⁰ الشیخ أبو بصیر الطرطوسی، "التكفير شرع الله فأین تذهبون؟" مقال منشور على شبكة الانترنت بتاريخ 27-11-2005

http://tartosi.blogspot.com/2005/11/blog-post_27.html -

التقدّم التكنولوجي²¹. فلم تقتصر مؤلفاته على توضيح قضية واحدة تهتم بطرح الجهاد من زاوية واحدة، بل أحاطه بقضايا متعددة تخدم مفاهيمه وتشري دلالاته وترتبط به ارتباطاً وثيقاً على خلاف القدماء الذين اقتصرّوا على الحدّ الأدنى واللامسة السطحية، فحصرّوا بصفتهم في رصد الدمار والحروب وسفك الدماء.

تناول محمد حبشي الجهاد من خلال مجالات عديدة وكثيرة فنظر فيه من خلال القرآن باعتباره النص التأسيسي ثم نظر فيه من خلال التاريخ، تاريخ المسلمين منذ عهد الرسول (ص)، ونظر فيه من خلال التاريخ المعاصر.

III- موقفه من الجهاد في النصوص التأسيسية والتاريخ

1- الجهاد من خلال النصوص (القرآن - السنة - الفقه)

تحدث محمد حبشي في هذا السياق عن صنفين من الجهاد:

يتمثل الصنف الأول في دفع الصائل أو العدو، ويعتبره محمد حبشي شكلاً من أشكال الدفاع عن القواعد الخمسة، ويرى أنّ هذا الضرب من الجهاد لا خلاف فيه. وأما الصنف الثاني فهو مقاتلة الناس لإدخالهم الإسلام استناداً إلى ما طرّحه الفقهاء القدامى: الجهاد هو قتال الناس لإدخالهم في الدين²²" وهو ما يرفضه محمد حبشي حيث أقام نظريته على الجهاد على نقد هذا الصنف من أصناف الجهاد وسنحاول في هذا الإطار شرح نظرته وتفصيلها :

لا يخفى علينا أنّ هذا التصنيف من الجهاد الذي ارتأه الفقهاء والمسلمون يستند إلى أدلة شرعية تتمثل في النصوص القرآنية المندية بالقتال، ومن بين هذه الآيات: "وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" ²³يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " ²⁴. إلا أنّ هذا التأصيل يخفي في طياته إشكالية أخرى: وهي التّعارض الجليّ والصريح مع آيات أخرى تأمر بالصفح والمغفرة والصبر وتنهى

²¹محمد حبشي، إسلام بلا عنف، ط2، مركز الدراسات لبحوث التّنوير والحضارة، دار متخصصة بالدراسات الإنسانية وإخاء الأديان ، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة. د.ت، ص 19

²²أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ،الأم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001ج 8، باب الجهاد،

²³الأطفال، 8: 39

²⁴التوبية، 9: 123

عن الإكراه: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" ²⁵، "فذكر إنما أنت بمذكرة لست عليهم بمسطر" ²⁶

فمن شاء فليكفر ومن شاء فليؤمن ²⁷. فهناك إذا تقابل واضح بين الآيات المنادية بالسلام والآيات المنادية بالقتال. أما على مستوى السنة النبوية فقد كان الرسول (ص) حريصاً على السلم كما ذكرنا ويتجلّى ذلك في مواطن عديدة ارتأينا اختيارها. أبرزها رضاوه بصلاح الحديبية رغم ما ورد فيها حيث منعوه من دخول مكة.

أمام هذا التعارض ذهب الفقهاء إلى القول بالناسخ والمنسوخ باعتبار أن آيات السيف (قال تعالى "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ²⁸") قد نسخت آيات المغفرة والرحمة. والحقيقة فقد فند العلماء قدِّيماً ما روي من أن آية السيف نسخت سبعين آية وأكثر ²⁹ فمحمد حبش يرفض هذا القول ويستنكره، مستنداً إلى مجموعة من الأدلة والبراهين سنفصلها كما يلي:

هناك خطأ منهجي أشار إليه السيوطي في تحديد نسخ المعنى ناهيك عن قوله بغياب شروط النسخ ³⁰ وهي شروط يراها محمد حبش غير متوفّرة " ومن جانب آخر فقد اتفق العلماء على أنها كثيرة أشهّرها ثلاثة وهي: - القول بالناسخ يتطلّب شروطاً أن يتعدّر الجمع بين النصّين، وأن يكون الناسخ في قوّة المنسوخ أو أقوى وأن يعلم المقدّم والمتأخر" وذلك كله غير متحقّق في ما يذهبون إليها ليصل إلى القول بنسخ المتأخر أنّ الجمع بين هذه النصوص ممكّن ومبسّر ولا نقول بالناسخ إلا عندما يتوفّر نصان متناقضان لا يمكن قبول أحدهما دون رد الآخر. ليتّجه إلى أنها أحكام متشددّة نتّيجة ما خلفته الحروب الصليبية من تضارب بين الشرق والغرب. ³¹"

لقد نجح محمد حبش في تفنيـد ما ذهب إليه الفقهاء من آراء متشددـة والمشـرـعون في ما يتعلـق بنـسـخ آـيـات السـيفـ، نـاهـيكـ عنـ نـجـاـحـهـ فيـ إـيـضـاحـهـ لـمـنـهـجـ الرـسـولـ وـصـحـابـتـهـ وـأـنـتـهـاـجـهـمـ سـيـاسـةـ الـحـوـارـ بـدـلـ الـحـرـبـ وـالـقـتـالـ، ليـتـوـجـهـ إـثـرـ ذـلـكـ إـلـىـ تـفـنـيـدـ

²⁵ يونس، 10: 99

²⁶ الغاشية، 87: 21

²⁷ الكهف، 18: 29

²⁸ التوبـةـ، 9: 36

²⁹ محمد حبـشـ، رسـالـةـ الـجـهـادـ: منـ الغـزوـ وـالـفـتـحـ إـلـىـ الجـيـشـ الـوطـنـيـ، صـ 35ـ.

³⁰ جـلالـ الـذـيـنـ السـيـوطـيـ، إـلـتـقـانـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ، طـ 1ـ، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ نـاـشـرـونـ، 2008ـ صـ 256ـ.

³¹ محمد حبـشـ، رسـالـةـ الـجـهـادـ: منـ الغـزوـ وـالـفـتـحـ إـلـىـ الجـيـشـ الـوطـنـيـ، صـ 35ـ.

مجموعة أحكام تعلقت بالجهاد ويعلن رفضه لها قطعياً، وهو ما سنووضّحه في ما يلي :

رفضه التقسيم الثنائي للعالم الذي انتهجه فقهاء السلف الذين لم يقبلوا الانفتاح على العالم واختاروا تصنيفه إلى دار حرب ودار سلام_ موقف فقهي تتبناه التنظيمات الجهادية اليوم_ فقد اعتبر أن العلاقة التي يجب أن تحكمنا مع الآخر هي علاقة مودة، مخالفًا بذلك نظرة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة الذين أشاروا إلى أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي الحرب مشيرا إلى انتهاج بعض المعاصرين هذا القول كسيّد قطب (ت 1966) الذي يرى أن الطريق إلى الله هو الجهاد والقتال في سبيله من أجل تحقيق حاكمية الشريعة. وصالح اللحيدان (ت 2022)، وقد اشتهر بخطبه ودعوته إلى الجهاد - سوريا مثلاً- بمقاومة الأنظمة ومقاتلتها دون الالكتراش بالأضرار الجسدية. ولهذا السبب لم يتحدد محمد حبش عن الغنية والسيي والاسترقاء والمحاربين وقطع الطرق وتدبير الحرب بل دافع جاهدا عن التاريخ الإسلامي متباهياً بأهم الإنجازات التي تحققت بعيداً عن سياسة القتل.

ومن القضايا القرآنية المتعلقة بالجهاد والتي ناقشها محمد حبش هي قضية الفتنة باعتبار تجنبها من موجبات القتال والجهاد. فقد ربط القدماء مشروعية الجهاد بتجنب الفتنة، واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى: "وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" ³². ومن الواضح أن محمد حبش يفصل بين الفتنة والقتال/ الجهاد فصلاً واضحًا ولا يرى أي ضرورة للربط بينهما، فجراء هذا الخلط تحول الجهاد إلى فتنة لما خالف الوصيّة وخرج عن المقاصد الإلهيّة في عملية سنه، فتغيّر حالاً ل المسلمين من التقويم والإصلاح للتخرّب والهدم وهو ما يتعارض مع رسالة الجهاد" ³³.

لقد سعى محمد حبش عبر دراساته إلى تحرير فقه الجهاد من "بؤس الفتنة" _ على حد عبارته ووجوب اعتزالها مهما كانت المبررات والأهداف لأنّها ليست إلا عملاً شيطانياً يؤسّس لثقافة الكراهية والعدوانية، على خلاف الجهاد في سبيل الله. لذلك وُجب التمييز بين إرادة الله وإرادة عدوه. فالمواجهة بين اثنين ليست إلا إعلاناً عن رغبة في القتال والإصرار عليه لقيام الحرب، وهو ما رفضته الشريعة نظراً

³²الأطفال، 8: 39

³³محمد حبش، إسلام بلا عنف، ط2، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة، الإمارات، ص17، د.ت

إلى ما سببه، فالاقتتال الداخلي خلف خسائر بشرية وحرروا أهلية حلّت بال المسلمين إثر رحيل الرسول: كحادثة اغتيال عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب من المتشدد المنحرف الذي يُكفر من يشاء تحت راية "الإسلام" وفي الواقع ما هو إلا مشروع لصناعة الموت، فالتشدد والتکفير ما هما إلا صناع المتشددین استشهد في سبيلهما كثيراً من الأبرياء جراء هذا الفهم الخاطئ.

وعلى هذا الأساس فإن ما يجري في عصرنا اليوم من تشدد وحروب أهلية _ نسخة مصغرّة عن عصر _ الفتنة الأولى _ ويعود في نظره إلى غياب التمييز بين الجهاد والفتنة.

في مؤلفات تعلّقت بالسيرة³⁴ لم يتبع محمد حبش طريقة القدماء من جهة المنهج، فلغته غير لغتهم ومشاغله غير مشاغلهم. يبدو ذلك من خلال التركيز على البعد السياسي لغزوات الرسول وتحالفاته ومعاهدته، والبعدين الديني والاجتماعي بل إنه يستنكر هذه التسمية . فلا يمكن أن نفهم سياسته في الجهاد دون الإطلاع على بقية جوانب حياته. ولتحديد مفهوم الجهاد في هذه الفترة، تناول محمد حبش دراسة هذه السيرة التي نعتبرها أفضل نموذج لفهم رؤيته للجهاد من منظور السلم والعلم للرسول وهي قراءة جديدة لم يسبق قراءتها بهذه الطريقة. فكيف كانت سياسة الرسول الكريم في الجهاد ؟ وهل يعدّ هذا التطور الفقهي سياقاً تاريخياً طبيعياً في فهم النص أم انقلاباً عليه؟

لقد جعل محمد حبش من الفترات الزمنية مجرّى ومقاييساً تتبع به مفهوم الجهاد الذي تطور من الفترة المبكرة وصولاً إلى الجيش في الدولة الإسلامية الذي تحكمه ضوابط وقوانين. ينقد محمد حبش بشدة تسمية الأحداث التاريخية الدينية التي جرت فترة النبوة والتي صنفها الفقهاء والمحدثون تحت عنوان "مغازي الرسول"

فحسب رأيه لم يرد في القرآن هذه العبارة ولابد من التفريق بين "غزي" و "لم يغز" ، فيجدر تسميتها على أنها كفاح سلمي . وقد تعددت الروايات لتأكيد الإستراتيجية السلمية للرسول وتبئته من كل فعل حربي.

لقد أمضى الرسول أكثر من نصف عمر رسالته يواجه أشدّ أشكال الصدود والأذى من خصومه في قريش، ولكنه اختار أن يتعامل معهم بسلام ودبلوماسية، والتزم بما رسمه له القرآن الكريم من مبدأ المودعة والسلام. ولعل أكبر مثال على ذلك ما

³⁴ محمد حبش ،صفوة السير: سيرة رسول الله، ط 40، دار أفنان، دمشق، 2020

حصل في غزوة الخندق: "وفي يوم الخندق، وصلت قريش بعشرة آلاف مقاتل لاجتياح المدينة. وقد قام الرسول الكريم بحفر الخندق حول المدينة إصراراً على تجنب الحرب، وهو عنوان واضح على إرادته الجامحة نحو السلم ورفضه للحرب".³⁵ هذا المزعزع السلمي لم يكن خاصاً بالرسول بل اتبعه صاحبته أيضاً فليتّخذوا العنف وسيلة لمواجهة الآخر وردعه، فقد كانت فلسفتهم واستراتيجيتهم في الدفاع عن أنفسهم شبيهة بسياسة الرسول، فقد اتّخذوا منه قدوة يحتذى بها والمثال على ذلك أنّ "جعفر بن أبي طالب ظلّ سبع سنوات أخرى في الحبّشة، يمارس فيها دوراً دبلوماسياً رائداً".³⁶

والخلاصة أنه رغم الحصار الشديد الذي فرضته قريش على المسلمين، ظلّ الرسول يحّبّذ الهجرة على الخيارات العنيفة ومصداق ذلك، أن انتهت المرات التي جرى فيها الالتحام بالصلح والمواعدة فتحولت إلى معاهدات سلمية.

لم يكن العهد المكي إذا أرضيّة للقتال ولم يكن يؤصل حتى للجهاد، بقدر ما كان حركات تنويرية تلتزم بقيم القرآن والشريعة، وهو بذلك يقف على طرف نقىض مع أولئك الذين يتّخذون سيرة الرسول مصدراً أساسياً في حديثهم عن jihad المسلح. وإذا كان لا بد من وجود حرب وقتال وجihad قتالي في الإسلام فهو بالتأكيد متاخر عن العصر النبوّي، فالجهاد في عصر النبوة كان جهاد النفس والهوى.

2- الجهاد في التاريخ

خلافاً لكثير من الدارسين للجهاد لم يهتم محمد حبش بتاريخ الفتوحات الإسلامية لا تمجيداً ولا نقداً بل أعرض عن ذلك وعوضه بالحديث عما سماه "الدبلوماسية في الإسلام" ونشرـ لهذا الغرض كتابين مهمين هما "الإسلام والدبلوماسية" (2013) و"دبلوماسية السلام". (2023).

استهل كتاب الإسلام والدبلوماسية بالآية 13 من سورة الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًاٰ وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾. وهذا التصدير ينسجم مع رؤيته التجديدية التي لا يفرق فيها بين دين وأديان وأمم وأخري. ويؤكد هذا المعنى في المقدمة بقوله: "تنطلق هذه الدراسة من مسلمة منطقية يتفق عليها العقل والنقل وهي أن هذه

³⁵ محمد حبش، السلام يدلّ الحرب، دراسة في حياة صانعي السلام في التاريخ الإسلامي، ط.1. ص 19.

³⁶ المصدر السابق، ص 14.

الرسالة الخاتمة جاءت لخير الإنسانية العام، وأنها بسطت خطاب المحبة والسلام في الأرض على أساس من مصالح الناس، وأن الأصل في العلاقات الدولية التوازن والاحترام والمصالح المتبادلة، وليس الخصام والحروب.³⁷ ثم يعززه بالإشارة إلى سبب انتشار الإسلاموفobia في العالم بقوله: "ولكن الدور الأكبر انشر الإسلاموفobia في العالم اليوم إنما يقع على عاتق أولئك المتطرفين الذين يرسمون سورة قاسية عن الإسلام في العالم، حين يقسمون العالم إلى فساطين اثنين يتبادلان ثقافة الكراهية، ويتناوبان النفح في كير الحروب، ويقدمون موقفهم على أنه الجهاد الذي فرضته الشريعة."³⁸

انطلاقاً من هذه الأفكار قسم حبش كتابه إلى تمهيد (تعريف الدبلوماسية) وأربعة فصول خصص الأول منها للحديث عن الفقه الدبلوماسي في الإسلام، والثاني للقيم الدبلوماسية في الإسلام، والثالث للدبلوماسية في الكتاب والسنة وأما الرابع فكان بعنوان "المشتراك بين الإسلام والدبلوماسية الحديثة". ثم ختم كتابه بملحقين الأول بعنوان: "نموذج من التعامل الدبلوماسي لرسول الله"، والثاني بعنوان: "نموذج من الخطاب الدبلوماسي لرسول الله". وما يهمنا بدرجة أساسية في هذا الكتاب ما ورد في الفصل الرابع ونظراً لأن محتواه مختصر- وفي شكل نقاط نورده بالكامل:

- إن المنجز الدبلوماسي الذي تحقق للبشرية وأسهم في تنظيم العلاقات بين الدول وقطع أسباب الحروب هو منجز إنساني وليس منجزاً غربياً، وإن الإسلام شريك في هذا المنجز الحضاري .

- إن الإسلام لا يؤيد مبدأ الصراع بين الحضارات وإنما يسعى للحوار بينها والتحالف والتكامل .

- إن صدام الحضارات مشروع أمريكي متطرف ونظيره من الثقافة الشرقية قسمة العالم إلى قساطلين، ومن مسؤولية الدبلوماسية الإسلامية تصحيح صورة الإسلام في التعاون البناء مع كل أمم الأرض .

³⁷ - محمد حبش، الإسلام والدبلوماسية: قراءة في القيم الدبلوماسية في الإسلام، منشورات المعهد الدبلوماسي، الدوحة، قطر، 2013، ص. 5.

³⁸ - المرجع السابق، ص. 6.

● إنّ علاقـة الأمة الإسلامية بـغيرـها من الأـمم يـجب أن تـأسـس عـلـى التـوازن والـاعـتـدـال والـمـامـلـة ولـيـس عـلـى التـعـالـي ولا عـلـى التـبـعـيـة والـاتـكـال .

● الأمة الإسلامية وشعوب الأرض جـيرـان عـلـى كـوكـب وـاحـد وـالـأـصـل فـي العـلـاقـة هو السـلـم وـالـتـعـاون وـهـذـا لا يـلـغـي حـقـ الأـمـة فـي الدـافـع عـن نـفـسـها إـذـا تـعـرـضـت لـلـأـخـطـاء مـنـ الـخـارـج .

● تـأـكـيد الـاتـفـاق فـي الـمـبـادـئ وـالـأـهـدـاف بـيـن الـفـقـه الـإـسـلـامـي الـمـسـتـنـير وـمـا وـرـد فـي دـبـاجـة اـتـفـاقـيـة 1961 لـلـعـلـاقـات الدـبـلـوـمـاسـيـة بـيـن الـدـوـل، وـوـجـوب الـتـعـامـل بـاـيجـابـيـة مـعـ التـفـاصـيـل الإـجـرـائـيـة لـهـذـه الـاتـفـاقـيـات الـدـولـيـة .

أما كتاب دـبـلـوـمـاسـيـة السـلـام فـقـد اـسـتـهـلـه بـآـيـتـيـن هـمـا الـآـيـة 208 مـن سـوـرـة الـبـقـرـة ﴿يـا أـيـهـا الـذـيـن آـمـنـوا اـدـخـلـوا فـي السـلـم كـافـة وـلـا تـبـيـعـوا خـطـوـاتـ الشـيـطـانـ إـنـه لـكـم عـدـوـ مـبـيـنـ﴾، وـالـآـيـة 46 مـن سـوـرـة الـمـائـدـة: ﴿كـلـمـا أـوـقـدـوا نـارـا لـلـحـرـب أـطـفـأـهـا﴾ تـأـكـيدـا مـنـه عـلـى المـنـع السـلـمـي لـلـقـرـآن وـلـلـإـسـلـام. وـلـعـلـ أـهـمـ ما فـي هـذـه الـكـتـاب تـخـصـيـصـه فـصـلاـ كـامـلـا لـلـحـدـيـث عـمـن سـمـاـهـم عـبـاقـرـة الـدـبـلـوـمـاسـيـة فـي إـسـلـام وـهـمـ:

- محمد رسول الله (ص)
- عمر بن الخطاب
- الحسن بن علي
- عمر بن عبد العزيز
- المستنصر الحاكم الأموي في الأندلس
- الناصر لدين الله العباسi

يـقـول فـي المـقـدـمة مـوـضـحـا رـؤـيـتـه الـجـديـدة لـعـلـاقـة الـمـسـلـمـين بـغـيرـهـم مـن الـأـمـم وـالـدـوـل، وـهـي رـؤـيـة تـسـتـبـعـدـ الجـهـاد الـقـتـالـي باـعـتـبـارـه الـمـحـدـد لـعـلـاقـة الـمـسـلـمـين بـغـيرـهـم: "كـثـيـرة هي الـكـتـبـ الـقـيـ اـهـتـمـت بـدـرـاسـة الـعـلـاقـات الـدـولـيـة لـلـمـسـلـمـين بـسـوـاهـمـ مـنـ أـمـمـ الـعـالـمـ مـنـذـ فـجـرـ إـسـلـامـ إـلـىـ الـيـوـمـ. وـكـانـ اـهـتـمـامـ الـبـاحـثـيـنـ فـيـ الـغـالـبـ منـصـبـاـ عـلـىـ الـصـرـاعـ التـارـيـخـيـ الـذـيـ دـارـ بـيـنـ إـسـلـامـ وـالـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ، فـالـدـرـاسـاتـ الـتـيـ خـصـصـتـ لـلـحـرـوبـ الـصـلـيـ比ـيـةـ وـلـلـغـزـوـاتـ وـالـفـتوـحـ وـمـخـتـلـفـ الـحـرـوبـ (...) لـاـ

تحصى— ولا تعد. وبالمقابل كم هي قليلة الكتب التي اهتمت بدراسة ما يقرب بين المسلمين والأمم الأخرى.³⁹"

من الواضح أن محمد حبش يرمي إلى استبدال تاريخ الفتح والجهاد بتاريخ дипломатиче من ذلك حرصه على تأصيل نظرته للجهاد في تاريخ المسلمين فعندما تحدث عن عمر بن الخطاب لم يربطه بالعدل كما يفعل المسلمون في العادة بل ركز على ما سماه إصلاحات لفقه الجهاد قام بها هذا الخليفة فالمعاهدات التي أنجزها هي بمثابة إصلاح لفقه الجهاد الذي انتشر- بفعل سوء فهم للقرآن⁴⁰. وفي هذا السياق فإنّه يعتبر موقف الحسن بن علي في صراعه معبني أمية موقفاً دبلوماسياً أصيلاً منسجماً مع تعاليم الإسلام⁴¹ بل هو يعتبر الحسن بن علي "عميد الوحدة الإسلامية".

هكذاقرأ محمد حبش النصوص التأسيسية لنظرية الجهاد في الإسلام وهكذاقرأ تاريخ المسلمين فلا وجود في رأيه لجهاد قتالي لنشر الإسلام وإنما الإسلام دعوة سلام. ومن ناحية ثانية فالبطولة في التاريخ الإسلامي لم ترتبط في رأيه بالقتال وال الحرب وإنما بالسلم والدبلوماسية ولذلك غير صفة البطل بصفة العقري فهو لم يتحدث عن أبطال الجهاد وإنما عن عبارة السلام.

IV- موقفه من قضايا الجهاد في العصر الحديث

1- قضية التكفير

بحث محمد حبش في ظاهرة التكفير التي انتشرت في الآونة الأخيرة في صفوف المسلمين عامة من خلال الفتاوى التي أصدرها صنف مخصوص من الفقهاء. وهي ظاهرة ربطها بالجهاد ولذلك لابد من الوقوف عندها.

حمل حبش مسؤولية نشأة "التكفير" إلى الفتاوى التي عُرفت عند العرب وعُلقت على الجدران، ولقيت حظاً كبيراً من النجاح حتى إنه استمرت طباعتها ونشرها دون

³⁹ محمد حبش، دبلوماسية السلام: السلام بدل الحرب، ط1، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، 2023، ص.9.

⁴⁰ - المرجع السابق، ص80-81.
⁴¹ نفسه، ص104 وما بعدها.

التفظن إلى ما تحرّض عليه ودون الانتباه إلى مدى فهم الناس لها. وهو يشير بذلك إلى فتاوى ابن تيمية (661-728 هـ) صاحب الـ 428 وبعنوان "يستتاب وإلا قتل". إنه لا ينكر شهرة ابن تيمية عند العرب ويقرّ بشهادته العامة عن أهميّته التاريخية ودوره في المؤسسة الدينية فلُقب "بشيخ الإسلام" ولكنّه لا يتّوافق مع الفتوى التي أصدرها بل يرفضها لما خلّفته من فظائع شنيعة وقاسية تحت الرأية السوداء. قائلاً: "هذه سلسلة فتاوى لا يحقّ لدولة محترمة أن تؤذن بروايتها على لسان عاقل ويعيّن محاكمة من يفتي بذلك وزجه في السجن".⁴² ومن بين الفتوى التي أصدرها ابن تيمية فتوى تتعلّق بنواقض الإسلام تتضمّن عشرة نواقض تُكفر من أخلّ بثلاثة منها ويطبقّ عليه حكم الردة ويشرّع مقاتلته. ويرفض حبش هذا النوع من الفتوى التي يمكن أن تُكفر المجتمع بأكمله إذا استجبنا لشروطها. إذ تتصل هذه الأحكام بتأویلات قابلة للتعديل ولا تمتّ أيّ صلة بسلوك يستحق التكفير.

يتسأّل حبش عن كيف يمكن للمسلم أن يكفر أخاه بينما هو شأن إلهي لا يجوز التدخّل فيه بل إن الله نهى عنه، في قوله: "لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً".⁴³

نستخلص مما سبق أنّ تلك الفتوى هي السبب الرئيسي المباشر لانتشار التكفير، خاصة إذا كانت من أعلام بارزين في الفقه وهو ما يسهّل عملية الإقناع والتأثير والتوجيه. والمطلوب في العصر—الراهن مواجهة أيّ خطاب وأيّ ممارسة مآلها التكفير والتصدي إلى ثقافة الكراهية التي تنتهي بالقتل.

نلاحظ، حسب رؤية محمد حبش، أنّ المسلم هو المسؤول الأول عما يحدث من الحروب والقتل المعتمد حتى أنه صرّح بأنّنا من بسطاناً أرضيّة القتال للمحتلّ وحملناه الأسلحة، يقول في هذا السياق: "لا ريب أنّ كل ما يجري هو نتيجة الاحتلال، لم يكن له أن يمضي بمشروع الموت هذا لو لم نوفر له الأدوات الساذجة البلياء التي ترتكب الموت في الأبراء وتحتسّبه عند الله جهاداً".⁴⁴

إذن فليس الإشكال في التكفير بقدر ما هو إشكال فكري يقتصر على الجدال بدل الحوار ولا يقبل الآخر المختلف دينياً ولا يحترم اعتقاده. فإذا افترضنا أنّ الشريعة

⁴² محمد حبش، إسلام بلا عنف، ص 88.

⁴³ النساء، 94: 43

⁴⁴ محمد حبش، إسلام بلا عنف، ط 2، ص 36.

تسمح بهدر دم الكافر فإنّها لرد العدوان فقط. فلا بدّ من هدم هذه الثقافة التي كرسّها أعداء الشريعة والاقتناع بحرية الاعتقاد الحافظ لحقوق الإنسان.

فمن مبادئ القرآن حرية الاعتقاد ولا يوجد أيّ حديث يصرّح بقتل أحد بسبب موقفه الاعتقادي. ما فائدة الإيمان إذا كنّا نكفر ببقية الكتب السماوية، شيئاً أم شيئاً نحن في قرية كونية وجيران في القيم الإنسانية.

2- موقفه من الحركات الجهادية المعاصرة

لم يكتف محمد حبشي مثل كثيرين بإدانة إرهاب الحركات الجهادية الحديثة واعتبارها من صنع الاستعمار الأمريكي للعراق خاصة بل سعى إلى فهم وتفكيك الأسباب العميقية التي جعلت مثل هذه التنظيمات تظهر وتسيطر على عقول الشباب خاصة.

كتب مفسراً ظاهرة داعش: "كيف يمكن لهذا التنظيم من إقناع الناس بأنّ الأمة لم تقوم بتنفيذ شريعة الله خلال أربعة عشر قرناً وأنّ البغدادي اليوم يقوم بما قصر فيه علماء التاريخ الإسلامي وفقهاً من الصحابة والتابعين والأئمة الذين لا يحصلون عدداً؟ من المؤلم القول إنّ هذا السلوك لم يولد من فراغ، وإنما سببه تمهيد طويل شاركنا فيه جميعاً دون أن ندري، وقامت مدارسنا الدينية وخطابنا الإسلامي بالترويج لثقافة وجوب اتباع ظاهر النص، ولو خالف العقل والمنطق والعرف، وقمنا عن عمد بنشر بحوث مطولة عن وهن العقل وعجزه، وضلال العرف وفساده، وأقنعنا الجيل كلّه بأنّ أكثر الناس لا يفهون ولا يعقلون ولا يبصرون، إنّهم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً".⁴⁵ وبخصوص تنظيم حركة الشباب الإسلامي بالصومال فقد فسر لجوء أفرادها إلى العنف المفرط بما يلي: "لا أنكر أنّ لهذا الجنون أسباباً أخرى على رأسها المظالم، ولا أنكر أنّ الظلم هو أبو التطرف وعمه وخاله، ولكن يجب الاعتراف أيضاً بأنّ هناك ثقافةً مسمومةً تلقّاها ذلك التأثير الغاضب، تستند إلى أصول عميقة من التفكير المتطرف، فقد تمّ إقناعه بأنّ الزمان قد ارتد إلى جاهلية أسوأ من جاهلية قريش وهي (جاهلية القرن العشرين)، وأنّ الناس وقعوا في (ردة ولا أبو بكر لها) وأنّ المطلوب مواجهة هذه الردة بحتف السيف، فإنّ الله بعث محمداً بالسيف رحمة للعالمين، وأنّ الله

⁴⁵ - محمد حبشي، "أفول التنظيم لا يعني أفول الفكرة"، مقال منشور بتاريخ 8 ماي 2022 على موقعه الرسمي : <https://mohammadhabash.org/?p=26147>

استنفر المسلمين للجهاد وقال: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾، وهكذا فإن الناس جميعاً وقعوا في الردة وتقاعسوا عن jihad ولن يتخلصوا من هذه الردة إلا ببيعة أمير jihad والقتال بين يديه، وهذا بالضبط ما يجعل المجاهدين أمناء الله على عباده اشتري الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، ومن مات وليس في عنقه بيعة jihad مات ميتة جاهلية.⁴⁶

من الواضح أن محمد حبش يحمل الموروث الثقافي والديني المتحجر مسؤولية ظهور هذه الحركات المتطرفة ولجوئها إلى الإرهاب. ولكنه يحمل المسؤولية أيضاً للجيوش الوطنية العربية والإسلامية. فكيف ذلك؟

3 - jihad والجيوش الوطنية

انتهج محمد حبش المنهج التاريخي في تتبعه لتطور مفهوم jihad من فترة النبوة إلى اليوم، من jihad المرتبط بالدفاع عن الأمة إلى jihad مستبدّ تحركه نزوات شيطانية، صارت فيه السلفية الجهادية مصدراً لاستئناف القتال والتكفير مثلاً حصل مع الحركة الوهابية 1780 في الجزيرة العربية من تكفير المسلمين رفض القوانين الوضعية.

ينقد حبش ما آلت إليه الشعوب اليوم تحت ما يسمى بالجihad خاصة مع أحداث أيلول/ سبتمبر 2001، التي اشتهر بسببها تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن (1957-2011) وأحداث 2014 التي شهدت ظهور تنظيم داعش (الدولة الإسلامية بالعراق والشام) وتأسيس الخلافة الإسلامية الجديدة على يد أبي بكر البغدادي (1971-2019).

رفض حبش تصورات تنظيمي القاعدة وداعش واعتبرهما تنظيمين متطرفين. ولكن الأهم من ذلك أنه يوجه مسؤولية ظهور مثل هذه التنظيمات إلى غياب دور فعال للجيوش الوطنية العربية: "ولو أنّ الجيوش الوطنية في البلاد العربية أخذت بمبادئ الشرعية الغراء وهدي النبي الكريم في العدل والإحسان وأخذت من نجاحات الشعوب المتحضرة تلك الآليات المزدهرة في فرض القانون على سلوكيات الجيش ومحاصرة الفساد والمحسوبية فيه لأصبح لدينا في البلاد الإسلامية جيوش

⁴⁶ - محمد حبش، "جihad الدم: قراءة من الصومال"، مثال منشور بتاريخ 1 فيفري 2023 على موقعه الرسمي.

جهاد تتكامل مع مصالح الأمة ولا تتصادم معها.⁴⁷ فهو يرى أن بطش الجيوش العربية بمواطنيها وعدم اهتمامها بمصالح الوطن عائد إلى سببين اثنين: أولهما أن هذه الجيوش لم تقتد بمنهج الرسول وسياسته في إدارة شؤون الدولة فخيرت إهانة المقدس الديني، وثانيهما عدم استفادتها من الشعوب المتحضرة فعجزت عن تحقيق الأمن. والمثال على ذلك الجيش السوري الذي يعتبره نموذجاً في هذا المجال: "ويعتبر هذا الجيش ظاهرة عجيبة في تاريخ الجيوش في العالم، فلم يسبق لجيش وطني أن قام عن عمد بالدبابات والطائرات والصواريخ الوطنية بتدمير مدن بحالها في الوطن وتشريد نصف الأمة...".⁴⁸

إن موقفه واضح من هذه الناحية فهو يرى أن الجهاد بما هو قتال هو من مسؤولية الدولة فـ"الشرع لم يأذن بالقتال إلا عندما تحولت الكتلة إلى دولة مستقلة يجب عليه الدفاع عن وجودها الوطني"⁴⁹ ولكن بشرط أن لا توظف الدولة هذا الجهاد ضد الشعب وضد الأمة فذلك هو سبب ظهور الحركات الجهادية المتطرفة. فالجيش ينبغي أن يكون هو الحاضن الطبيعي للراغبين في الجهاد.

4- الجهاد والقيم الحديثة

لا يمكن نشرـ ثقافة الديمقراطية والحرية دون مراجعة جذرية لمفهوم الجهاد⁵⁰ وفي هذا الإطار عمل محمد حبش على حل إشكالية مصطلح الديمقراطية الذي طالما مثل إشكالاً كثيراً إذ يراه كثيرون لا تتماشى مع الإسلام. ولكن محمد حبش يرى أنه وإن كانت الديمقراطية مصطلحاً غربياً إلا أنه نابع من مقاصد الشريعة الإسلامية. فالديمقراطية في مفهومه قيمة تهدف إلى المساواة وحقوق الإنسان ونبذ العنف، وهو بذلك يرفض قيام أحزاب ثيوقراطية⁵¹، ويشجع على قيام أحزاب ديمقراطية فالشوري من السنن النبوية المرادفة للديمقراطية والعدالة". وكذلك الشأن بالنسبة إلى "الدبلوماسية" فهي مصطلح لا يتعارض مع الإسلام بتاتاً، بل الدبلوماسية من القيم التي نصّ عليها في سبيل تأسيس علاقات ودية إيجابية مع الآخر بغضّ النظر عن انتمائه واعتقاده الذي كان سبباً من أسباب الحروب. وهو

⁴⁷ محمد حبش، رسالة الجهاد من الغزو والفتح إلى الجيش الوطني ص 79. نسخة إلكترونية بدون معطيات حول النشر (التاريخ، المطبعة، البلد)

⁴⁸ - المصدر السابق، ص. ن

⁴⁹ المصدر نفسه ص 17

⁵⁰ محمد الرحمن، القرآن ومجتمع اللادولة، ط 1، ص، 251، الشبكة العربية، 2019.

⁵¹ ثيوقراطية "مذهب يقوم على تعليم السلطة السياسية لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني" معجم المعاني الجامع.

يعتبر مشروع تصاصم الحضارات الذي تتبناه أمريكا لا يختلف عن تقسيمات الفقهاء القدامي العالم إلى فسطاطين أو دارين (دار الإسلام ودار الحرب)⁵²

إن الديمقراطية والدبلوماسية والحرية مصطلحات تتناقض مع مصطلح القوة والاستبداد والقتال. وهي من المصطلحات التي نادى بها قصداً وعلناً ليبرهن أنّها من صلب الإسلام، وأنّ كل ما يتصل بالعنف والغطرسة ذهب مع فترة الجاهلية، ولا يتواافق مع المفكرين المحدثين. وللأقناع بذلك اعتمد القرآن مصدرًا أساسياً وكذلك كتب السيرة لاحياء البرنامج الدبلوماسي الذي سار عليه الرسول في كفاحه ونجاحه السلمي في تحقيق النبوة، وتصديره للغرب مشرّعوا ديمقراطياً دينياً سياسياً إدارياً.

ومن القيم الحديثة ذات العلاقة بالجهاد التي دافع عنها محمد حبش مسألة إلغاء عقوبة الإعدام⁵³ فهو يعتبر عقوبة الإعدام من قبيل القتل مثلما أنّ الجهاد في التصورات المتطرفة هو قتل غير مشروع. وفي المقابل دعا إلى تعويض هذه العقوبة بعقوبات أخرى بدليلة مدعماً رأيه ببراهين شرعية⁵⁴ وحجج واقعية (عرض إحصائيات عن الدول التي توقفت نهائياً عن تطبيق عقوبة الإعدام باستثناء بعض الدول الإسلامية مثل إيران والعراق ومصر).⁵⁵

وهو يرى في هذا السياق ضرورة التفريق بين "القصاص" الذي يتصل بالعدالة، والإعدام، والقتل، الذي لم يذكر في القرآن وماعمل به إلا رغبة في إلغاء الإنسان من الوجود الذي هو شأن إلهي. فالله يقرر من سيبقى على الأرض.

لقد مانع حبش في تطبيق عقوبة الإعدام والقتل حتى على المرتد "أما قتل المرتد فهو أمر معارض لروح الشريعة في التسامح".⁵⁶

خاتمة الفصل

شهد مفهوم الجهاد عند محمد حبش نقلة نوعية فقد أخرجه من أبعاده الفقهية التي تقتصر على القتال وثقافة الكراهية ورفض الآخر المختلف عقائدياً ومن ثمة تكفيره، إلى أبعاد فكرية تأسيسية لا نظير لها. وهي نظرة قائمة على الاجتهاد وإعادة

⁵² محمد حبش ، النبي الديمقراطي ، ص ص 33، 28.

⁵³ محمد حبش ، ضد الإعدام: أساليب الشريعة في مناهضة عقوبة الإعدام ، ط 1، مركز الدراسات لبحوث التنشير والحضارة

.2021

⁵⁴ - النساء ، 4:93

⁵⁵ محمد حبش ، ضد الإعدام: أساليب الشريعة في مناهضة عقوبة الإعدام ، ص ص 3، 5.

⁵⁶ المصدر السابق ، ص 30.

قراءة الموروث الثقافي فلم ير أنّ حدّ الجهاد يقف عند الدفاع عن الدين والنفس فقط، بل جرّده من الفهم السطحي ليربطه بقضايا عديدة تلامس الواقع وتخدم العصر الحاضر.

فمن ناحية إعادة قراءة الموروث لم يكتف محمد حبش بموقف دفاعي ينفي فيه عن الإسلام تهمة العنف بل أضاف إلى ذلك النبش والبحث عن المسكون عنه وهي العلاقات الدبلوماسية، وبالاستناد إلى آيات القرآن وسنة الرسول، عزّز محمد حبش موقفه وأنتج فكراً إسلامياً مع التي أقامها المسلمون منذ عهد الرسول (ص) وكونوا بفضلها علاقات سلمية كانت بديلاً عن الحرب والجهاد القتالي. ومن ناحية الرؤية التجددية فقد سعى محمد حبش إلى تأصيل القيم الحديثة في نصوص الإسلام التأسيسية أي القرآن والسنة وكذلك في التاريخ الإسلامي لذلك لم يجد أي حرج في نعت النبي بأنه ديمقراطي وأن أبطال الإسلام الحقيقيين هم عباقرة الديبلوماسية من أمثال عمر بن الخطاب والحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز وليسوا خالد بن الوليد ولا صلاح الدين الأيوبي.

هذه المواقف كانت صادمة للفكر التقليدي فكانت موضوع نقاش عند المتشددين فقد نعته أحدهم بأن يعتنق مذهب الخواج في تعطيل الحدود التي وردت في نصوص قطعية⁵⁷؛ في حين اتهمه البعض الآخر بتلميع صورة حاكم الإمارات محمد بن زايد.⁵⁸ ووصل الأمر ببعضهم إلى رميه بأبشع النعوت فقد ورد في مقال منشور على "شبكة الدفاع عن أهل السنة" ما يلي: "إن المتأمل الناظر في مقالات وكتب المدعو محمد حبش مثل: المرأة بين الشريعة والحياة!!، والنبي الديمقراطي!!، وإسلام بلا عنف!!، والمصارف والربا، يجد القارئ فيها بقوة رائحة أهل العصرنة والحداثة، وهم أخطر وأخبث أهل البدع والأهواء في هذا الزمان، وهم مدحومون بقوة من قبل أعداء الإسلام، فكم هذا وأمثاله كانوا ثلماً على الإسلام حاضراً ومستقبلاً"⁵⁹

⁵⁷ - أحمد محمد كنعان، "حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنموي"، مقال منشور على شبكة الانترنت: <https://islamsyria.com>

⁵⁸ - تمام أبو الخير، محمد حبش وعدنان إبراهيم ومهمة تلميع ابن زايد، مقال منشور بتاريخ 13 فيفري 2012 في الموقع التالي:

<https://www.noonpost.com>

⁵⁹ - مقال بعنوان "حقيقة المأفون محمد حبش وبعض ضلالاته" منشور بتاريخ 13 جويلية 2011 على الموقع التالي:

<https://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=131461>

ولكن هناك من انتقد نقداً موضوعياً ومن بين هذه الانتقادات التي نراها وجيهة ومصيبة ما كتبه صالح بوزان في مقال له بعنوان: "الدكتور محمد حبش متنوراً". ويمكننا تلخيص هذه الانتقادات في النقاط التالية:

- ارتباط محمد حبش بالنظام السوري فقد كان عضواً في مجلس الشعب وبالتالي كان بوقاً من أبواق النظام الاستبدادي في سوريا
- تجنيه على التاريخ الإسلامي ومحاولة تبرئته من العنف
- فصله تجاوزات التاريخ الإسلامي عن العقيدة إذ لا يمكن الفصل بين ما هو سياسي وعقدي
- اعتماده منهجاً انتقائياً يخفي بموجبه كل ما ينافق فكرته⁶⁰

الخاتمة العامة

من المؤكد أن بعض القراء سيجدون في هذا العمل شيئاً جديداً ونعني بذلك أولئك الذين لا يعرفون محمد حبش وكتاباته وآراءه الجريئة؛ ومن المؤكد أيضاً أن البعض الآخر سيصاب بخيبة أمل ونقصد أولئك الذين يعرفون فكر محمد حبش ومطلعون على تفاصيله وخفائيه. لقد كنا واضحين منذ البداية - وباتفاق مع الأستاذ المشرف - فعملنا يرتكز بالأساس على التعريف بمحمد حبش وبفكرة عسانا نوفر فرصة لنا ولغيرنا من الباحثين للتعمق أكثر في فكره وأرائه. ومع ذلك فقد حاولنا أن نقدم بعض الآراء النقدية التي قيلت في محمد حبش.

عاش محمد حبش في زمن الانقلابات والحروب والفتنة وهي ظواهر اعتبرها أصحابها جهاداً في سبيل الله. أي أنه عاش في منطقة وفي زمن غالب عليهما الجهاد. ولذلك كانت كل كتاباته تقريباً تتعلق بالجهاد والحقيقة أن الأمر ليس غريباً فعال المسلمين منذ ظهور الإسلام يحركه الجهاد كما قال الدكتور محمد الرحموني: "لقد كان الجهاد بحق معركة متعددة الأوجه دفعت التاريخ الإسلامي في مختلف فتراته".⁶¹ وقد كانت له آراء مميزة في هذا الجانب سواء في ما تعلق بالفترة النبوية

⁶⁰ - صالح بوزان، "الدكتور محمد حبش متنوراً"، مقال منشور بتاريخ 25 ماي 2018 على الموقع التالي :

https://www.ssrcaw.org/ar/show_art.asp?aid=600466

⁶¹ - محمد الرحموني، *الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة*، دار الطليعة بيروت، 2002، ص 199

والقديمة عموماً أو ما تعلق بالعصر - الحاضر ويمكننا تلخيص آراءه في ما يلي من النقاط:

*الحروب التي خاضها الرسول كانت للدفاع عن النفس

*تاريخ الإسلام لم يكن محكوماً بالفتحات وال الحرب وإنما بالدبلوماسية

*لم يقع تأسيس الجيوش العربية الحديثة على أساس عقائدي إسلامي أسوة بجيش الرسول لذلك كان جيشاً قمعياً وإرهابياً فاختار الشباب الانضمام إلى الحركات الجهادية التي وفرت لهم الإطار العقائدي الذي يحبونه.

*ليس للإسلام فضل على بقية الأديان بل هي متساوية ولذلك لا فائدة من إعلان الجهاد لنشر الإسلام.

هذه الآراء هيمنت ضد الفكر التقليدي وحتى بعض المتنورين فالتقليديون كفروه واعتبروه عدواً لأهل السنة والجماعة؛ والمتنورون اتهموه بالانتقائية والتناقض وبخدمة سياسات دولة الإمارات التي عوضت الديانة الإسلامية بالديانة الإبراهيمية. ولعل أخطر نقد وجه إليه كان من قبل شيخه الذي طالما اعتبره مجدداً ونسج على منواله، فقد نشرت موقع التواصل الاجتماعي وقنوات اليوتيوب في الآونة الأخيرة رابطاً لخطبة منبرية ألقاها الشيخ كفتارو يتبرأ فيها مما ينشره محمد حبش وكل ما يتحالف مع الشريعة وما يخالفه رأيه بتعلة أنها أفكار خاطئة شاذة مؤكداً أنها لا تمثله ولا يوافق حتى عليها قائلاً: "... والمجددون حقيقة هم الذين ينفون عن الإسلام تحريف الغالبين وانتهال المبطلين وتأويل الجاهلين، وليس من التجديد في شيء أن نؤول النصوص بجهل وغرور ثم ننسب هذا إلى التجديد" ⁶². فهل يمكن بعد هذا القول إن التلميذ قد تمرد على أستاذه؟

لقد وجه له النقد من جميع الاتجاهات وقد ذهب أحد الباحثين إلى وصمه بالتلتفيق وبالتالي نزع عنه كل جهد تجديدي: "لم يستمر حبش على منهج التصوف

<https://youtu.be/fupuhwlaayl>⁶²

الذي درسه على شيخه أحمد كفتارو بل منزج ذلك بمناهج ضالة جديدة فأخذ من جودت سعيد أسوأ ما عنده، وتابع حسن الترابي في ضلالته⁶³

فمن نصدق؟ الحقيقة أن اختلاف هذه الآراء إلى حد التناقض تبين ثراء فكر محمد حبش وأنه فكر يدفع إلى التفكير ويثير العقول الجامدة والخاملة. ومن ناحية ثانية لا يمكن نقد موقفه من الجهاد إلا عبر تقييم شامل لمنطلقاته الفكرية والسياسية والمنهجية. وهذا ما نعد به في المستقبل.

اه - من كتاب شيماء المناعي



⁶³ - فادي فرقرة، " من دعوة الفتنة والضلالة في عصرنا" ، مقال منشور بتاريخ 3 جويلية 2016 على الموقع التالي: https://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=7439

وبعد....

فهذا حصاد حوارات جادة قام بها مفكرون محترمون، قصدوا الكشف عن مقاصد الرسالة النبيلة التي نحملها في الإخاء الإنساني.

وأخص بالشكر الأساتذة المفكرين الكبار دكتور مولاي صابر، والدكتور حسام الدين درويش، والدكتور عبد السلام شرماط، والبروفسور محمد رحموني، وكذلك الأكاديمية الوعدة شيماء المناعي التي خصصت رسالتها في الماجستير لمناقشة رسالتنا في الإخاء الإنساني واللاغعنف. والأساتذة الإعلاميين الكبار أسامة ياغي ومصطفى الخليل وأحمد كامل وجهاز العبد الله ومحرو رو يكتي ميديا

إنني أوجه لكم شكري واحترامي، وأعلم أنهم مفكرون أصحاب مشاريع تنويرية حقيقة، نتفق ونختلف، ونلتقي ونفترق، وأرى أن ما قاموا به يندرج تحت باب التواضع، والرغبة في اكتشاف المعرفة، وتبصيرها للناس.

أكرر لهم شكري وأسعد ما قدموه وفاقاً أو فرacaً، وإن بوارق الحقائق تتبع من مصادمة الأفكار

المحتوى

- الحوار الأول: مؤمنون بلا حدود مع الدكتور مولاي صابر
- الحوار الثاني: صحيفة المثقف مصطفى الخليل
- الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط
- الحوار الرابع: أنفاس بريس
- الحوار الخامس: صحيفة نينار أسامة ياغي
- الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية
- الحوار السابع: أحمد كامل - مركز حوار الثقافات
- الحوار الثامن: د. حسام الدين درويش - رواق ميسلون
- الحوار التاسع: جهاد عبد الله - ستيب نيوز
- الحوار العاشر: شيماء المناعي - جامعة تونس المنار

ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء



نحو إسلام حضاري، وإخاء إنساني

حوارات ومواجهات

مع الدكتور محمد حبش

أهم الحوارات الفكرية التي أجرتها
المراكز العلمية مع الدكتور محمد
حبش عام 2024

شكلت أفكار حبش خلال العقود الماضية إضافةً جديدةً وجريئةً لساحة الفكر الإسلامي والتنوير العربي، حيث طرح الأسئلة الكبيرة في السلام والجهاد واللاعنف، وفي إخاء الأديان وكرامة الإنسان، وفي رفض احتكار الحقيقة والخلاص، وفي الدعوة إلى نقد حقيقي و مباشر للموروث الديني، وتأصيل رؤية حضارية من داخل الفقه الإسلامي لقضايا العصر، تحقق الوحدة الداخلية للمجتمع، وتأسيس لوفاق بين المجتمع الإسلامي والأسرة الدولية، وتعزز مبدأ المواطنة بين المختلفين في الدين والطائفة.

انطلق الدكتور حبش من موقعه داخل المؤسسة الدينية بعد أن عمل فيها لأكثر من ثلاثين عاماً، وصل فيها إلى رئاسة جمعية فقهاء الشريعة في سوريا وهي الجمعية الوحيدة التي تجمع رجال الدين في سوريا، ثم خاض انتخابات مجلس الشعب السوري عن المقاعد المستقلة لدمشق وفاز بها مرتين، وترأس مركز الرئاسات الإسلامية في دمشق، وقد حظيت جهوده باعتراف حكومي رسمي حيث تمت توأمة نشاط المركز مع جامعة دمشق، وبات مركزاً متقدماً للإسلام التنموي الحضاري، واستقبل مئات الوفود العالمية الباحثة عن صورة متقدمة للإسلام.

ولكن مع بداية ثورة الغريات في سوريا 2011 وانحياز الدكتور حبش إلى مطالب الناس اصطدم بالسلطة الفاشية لنظام البعث، الذي قام بإغلاق المؤسسة والمركز ومنع د. حبش من العمل العام، وبعد مغادرته البلاد أصدر النظام الفاشم حكماً غيابياً بالإعدام على د. حبش ورفاقه من الفقهاء، وهو الحكم الذي سقط حكماً بانتصار الثورة السورية 2024.

في هذا الكتاب اختزنا أهم الحوارات التي أجرتها الدكتور حبش مع المراكز العلمية والثقافية، وقد اقتصرنا على الحوارات الفكرية، وتجاوزنا حوارات الراهن السياسي، ومع أن كل الحوارات منشورة في موقعها، ولكننا قمنا هنا بتوفيرها وترتيبها للباحثين، وأشارنا إلى روابط النشر في موقعها.

وقد اقتصرت الحوارات على ما أجراه الدكتور حبش عام 2024، ونعد القراء الكرام أن نصدر لكل عام كتاباً خاصاً.